

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة وهران 1
قسم التاريخ وعلم الآثار

ظاهرة الاغتيال السياسي في نظام الحكم
العثماني بالجزائر 1519 - 1830

مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث الدولة والمجتمع

إشراف الأستاذ:

رنيمة أحمد

من إعداد الطالبة :

جبور ميلودية

2015/06/25

أعضاء المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
محمد دادة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 01
احمد رنيمة	أستاذ محاضر	مشرفا	جامعة الشلف
بن عمر حمادو	أستاذ محاضر	مناقشا	جامعة وهران 01
فتيحة سيفو	أستاذة محاضرة	مناقشا	جامعة وهران 01

السنة الجامعية: 1435 هـ - 2014م / 1436 هـ - 2015



إهداء

إلى أحن وأرهف قلب في هذا الوجود أمي العزيزة ، إلى الوالد
الكريم الذي حرص على مساعدتنا في مشوارنا الدراسي ، وإلى الجدة
، أطال الله في عمرهم جميعا ورزقهم الصحة والعافية .

أهديها لأختوتي مصطفى ، زاهية ، محمد ، بشير ، وإلى كل العائلة
الكبيرة.

تحياتي القلبية إلى أفضل صديقاتي وأصدقائي ، أخص بالذكر رشيدة
، سامية ، حليلة ، نسيم ، وهيبه ، إيمان ، خديجة ، وإلى كل زملاء الدراسة
على كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيعية أهدي هذا العمل المتواضع.

جبرور ميلودية

شكر

شكري الخالص أتوجه به إلى الأستاذ المشرف رنيمة أحمد الذي
لم يبخل علينا بإرشاداته وتوجيهاته بغية تكملة البحث والرسالة .
والشكر موصول إلى كل أساتذتي بقسم التاريخ جامعة وهران
وعلى رأسهم صاحب المشروع دادة محمد.

جبرور ميلودية

قائمة المختصرات

باللغة العربية

ط : الطبعة

د . ت : دون تاريخ

جز : الجزء

تر : ترجمة

تح : تحقيق

باللغة الفرنسية

ED : EDITION

RA : REVUE AFRICAINE

ROMM : REVUE DE L'OCCIDENT MUSULMAN ET DE LA MEDITERRANEE

S . D : SANS DATE

TRAD : TRADUIT

T : TOME

المقدمة

تعتبر الثلاثة قرون من تاريخ الجزائر مرحلة فقدت فيها السلالات البربرية السلطة لصالح الأتراك العثمانيين لأسباب أمنية وجيوستراتيجية، فضل على إثرها سكان الجزائر بعد فقدان الثقة في الحماية الزيانية والحفصية طلب المساعدة من العثمانيين القوة الصاعدة عالميا آنذاك، ومنه أصبحت الجزائر القاعدة العسكرية والأمنية الأبعد غربا في جناح الدولة العثمانية بعد تعيين خير الدين بربروس كأول حاكم من فئة البايالرييات، ليتم الاستغناء عن هذه الفئة واستبدالها بفئة البشوات تم الأغوات ليكون عهد الدايات آخر هذه العهود السياسية الأربعة.

طغى على الحياة السياسية خلال هذه الفترة بالجزائر ظاهرة خطيرة هددت الاستقرار الأمني للبلاد وهي ظاهرة اغتيال الحكام، وفي ظل عدم كفاية الدراسات التي تطرقت إلى حوادث القتل التي انتهت بها الكثير من بشوات الجزائر. ورغم اهتمام الباحثين بمعالجة المواضيع السياسية إلا أن ظاهرة الاغتيال مازال يشوبها الغموض إذ لم يتم طرحها بشكل يزيل تلك التساؤلات ويجيب عنها بطريقة مرضية علميا وموضوعيا، وتجنب الذاتية والتحيز التي تهدف إلى إثارة الدعاية والتشويه خاصة ما كتب بأقلام أجنبية أمثال "هايدو HAEDO"، "دوقرامون DEGRAMMONT" و"مارسي MERCIER"، والدين كثيرا ما كانت نظرتهم إلى حكام الجزائر نظرة دونية فيها كثير من الاحتقار والحق من قيمتهم، ناهيك عن تلك النعوت والأوصاف التي ألصقت بهم.

ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة الموسومة بـ "الاغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر 1519-1830" كموضوع حاولنا من خلاله تبيان أصل الظاهرة وتطورها والأسباب الكامنة وراءها وما كان يترتب عنها من اضطراب وسوء الأحوال، وذلك طيلة العهد العثماني والفترات السياسية الأربعة.

وعن الدوافع التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع للدراسة، منها ما هو شخصي نابع من دراستنا لهذه المرحلة التاريخية واهتمامنا منا بالجانب السياسي بعدما أثار انتباهنا استفحال ظاهرة الاغتيال التي لم تمس حكام الجزائر فقط، وإنما تعدتها إلى ولاية المقاطعات والموظفين السامين في الدولة، ضف إلى ذلك أن الدراسات التي تناولت الجانب السياسي لم تتطرق إلى الظاهرة بشكل كافٍ، وإنما عالجتها بسطحية، فكان الفضول والبحث عن إجابات مقنعة إضافة إلى الرغبة في المساهمة بعمل قد يجلي بعض الغموض ومحاولة للتخلص من الأحكام المسبقة التي لا يمكنها أن تتصف التاريخ ولا الحقيقة التاريخية.

أما عن الدراسات التي تناولت الظاهرة فكانت بشكل جزئي في حدود ما اطلعت عليه، خاصة المواضيع التي عالجت المؤسسة العسكرية كدراسة "هلايلي حنيفي" ونذكر أيضا رسالة الماجستير لـ "محمد بوشنافي" حول الجيش الانكشاري، وكتاب صالح عباد "الجزائر خلال العهد التركي".

فالباحث المهتم بدراسة التاريخ لا يتوقف عن طرح الأسئلة وتحويلها إلى إشكالات علمية معرفية للبحث عن إيجاد الإجابات الممكنة لها. فهل ظاهرة الاغتيال السياسي خاصة جزائرية شخصية أم أنها ظاهرة عثمانية أو عالمية، وكيف نفسر هذه الظاهرة، هل هي صراع على السلطة أو محاولة للاستيلاء عليها باستعمال القوة والعنف؟ وما هي الأسباب والدوافع المحركة لهذه الحوادث التي جعلتها أكثر انتشارا في العهد العثماني، وهل فعلا الانكشارية هي المخطط والمنفذ الوحيد لإنهاء حياة الحكام في الجزائر أم كانت وسيلة يحركها أصحاب المؤامرات والمصالح لإنجاح مخططاتهم، أم هي سياسة ارتبطت بالعثمانيين وطريقة حكمهم خاصة وأن الظاهرة برزت في الدولة العثمانية وهددت سلاطين آل عثمان؟

وهل هناك من كان يسعى إلى تهديد الاستقرار الأمني للبلاد؟ وكيف يمكن أن نفسر سياسة بعض البشوات في إصدار أوامر العزل والاعتقال في حق ولاية المقاطعات؟ وهل كانت لظاهرة الاعتقال نتائج ايجابية في الحد من الطغيان ونشر الانضباط في أوساط الحكام المستبدين، أم تطغى عليه الصفة السلبية؟

إن الطبيعة الموضوعية التي تتمحور حول التاريخ السياسي قد ألزمتنا اختيار المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة والتحقيق في إطار احترام التسلسل الزمني، وتتبع الحقيقة التاريخية وتحليلها وعرض الروايات التاريخية المحلية والأجنبية وترجيح المنطقي منها تحقيقاً لمبدأ الموضوعية.

وعن استعمالنا لمصطلح البشوات، في أحيان قصدنا به البشوات المعينين لثلاث سنوات، وفي أحيان أخرى وظفناه كلفظ عام أطلق على الحكام في العهد العثماني، وبالنسبة للفظ القرصنة فاستعملناه كمصطلح ذكرته الكتابات الأجنبية، والذي هو في حقيقة الأمر غزو أو جهاد بحري .

قادنا موضوع الدراسة إلى الاستعانة بقائمة ببليوغرافية، جمعت بين تلك المكتوبة باللغة العربية أو المعربة أو التي كتبت باللغة الأجنبية والتي ساعدتنا مادتها التاريخية في الإلمام بجوانب الموضوع ويمكن تصنيفها إلى:

مصادر محلية: رغم قلتها، إلا أنها تعتبر مصدراً هاماً تبين لنا وجهة النظر الجزائرية في تاريخ هذه المرحلة الزمنية، ومن ذلك نذكر مذكرات خير الدين بربروس التي لا يمكن للدارس للقرن السادس عشر أن يستغني عنها والذي ترجم عن اللغة التركية مؤخراً من طرف "محمد دراج"، نضيف إلى ذلك كتاب "ابن المفتي" في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، الذي ركز الحديث على حكام الإيالة من عهد البايلربيات إلى بداية

فترة الدايات مبينا تاريخ توليتهم، كما حمل المصدر إشارات إلى بعض حالات الاغتيال نذكر أيضا أحمد الشريف الزهار ومذكراته التي ركزت على الفترة الأخيرة من الدايات والذي نجد فيه سردا لحوادث الاغتيال التي استهدفت الدايات المتأخرين، إضافة إلى حمدان خوجة وكتابه المرأة الذي أورد فيه لمحة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية، مركزا فيه على بعض الدايات وسياستهم، كما استعنا في الحديث عن اغتيال البايات إلى مصادر أوردت روايات هامة، من هؤلاء العنثري وكتابه فريدة منسية، الذي لا غنى للباحث عنه فيما يخص أوضاع الإقليم الشرقي وباياته، نشير أيضا إلى مسلم بن عبد القادر في أنيس الغريب والمسافر وكذلك المزاري في طلوع سعد السعود، ومن المصادر معربة منها مذكرات وليام شالر 1816-1824، ومذكرات كاتكرت قنصل أمريكا.

إلى جانب ذلك استعملنا مصادر أجنبية، التي أغلب أصحابها كانوا متواجدين بأرض الجزائر في فترات معينة منهم "HAEDO" وكتابه HISTOIRE DES ROIS D'ALGER والذي تطرق من خلاله إلى بايلرييات وبشاوات الجزائر، نشير أيضا إلى "LAUGIER DE TASSY" في HISTOIRE DU ROYAUME D'ALGER، و"DE PARADIS" وكتابه ALGER AU XVIII SIECLE، وإن كانت هذه الكتب تحمل الكثير من الرؤى الذاتية والتحيز، إلا أن ذلك لا ينفي أهمية المعلومات التي أوردتها.

ومن المراجع العربية والأجنبية نذكر كتاب المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني "ورقات"، إضافة إلى ألتر سامح ومرجعه "الأتراك العثمانيون بشمال إفريقيا" وإن كانت أغلب مادته مستقاة من المؤرخ الفرنسي DE GRAMMONT، ومن المراجع المعربة جون وولف، ووليام سبنسر، ومن المراجع الأجنبية التي تناولت التاريخ العثماني عامة نذكر "DEGRAMMONT" في HISTOIRE D'ALGER SOUS LA DOMINATION

TURQUE ، وكذلك HISTOIRE GENERAL DE L'ALGERIE لـ "GARROT" إضافة إلى "DEVOLUX"، "SHUVAL" وغيرهم.

ولا تكتمل القائمة البيبليوغرافية إلا بالاعتماد على مجموعة من المقالات من مجلات مختلفة عربية وأجنبية والتي أعانتنا بمادتها المركزة على دراسة جميع المباحث وظاهرة الاغتيالات، إضافة إلى أطروحات ودراسات جامعية أكاديمية.

أما الأرشفة للأسف لم نستطع الإطلاع عليه واستغلاله نظرا لصعوبة الحصول عليه. وقلة الإمكانات وبعد المسافة التي أعانتنا في التنقل إلى الجزائر العاصمة أين يتواجد مركز الأرشفة.

أما الدراسة فقسمت إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة. جاء الحديث في الفصل التهدي أو المدخل عن تأسيس إيالة الجزائر وتوطئة عن بداية ظاهرة الاغتيال في الجزائر من خلال اغتيال عروج لشيخ مدينة الجزائر سالم التومي.

وجاء في الفصل الأول والمعنون "بالتنظيم الإداري والعسكري للجزائر" الذي تطرقنا فيه إلى التنظيم الإداري على مستوى السلطة المركزية بدار السلطان، ثم أدرجنا وصفا لهذا التنظيم على المستوى المحلي في البايك، كما تحدثنا عن الإنكشارية كمؤسسة عسكرية قائمة بذاتها مبيّنين طريقة التجنيد ومهامهم والامتيازات المحصل عليها، ولا يجب أن نغفل دور البحرية الجزائرية باعتبارها أشد المنافسين للأوجاق وتنظيمهم وتبيان مساهمتها في فرض هيبة الجزائر الدولية.

وورد في الفصل الثاني المعنون "الاغتيال السياسي فترة ما قبل الدايات 1518-1671"، وفيه أبرزنا ظاهرة الاغتيالات السياسية في العهود الثلاثة مبرزين في كل عهد حوادث الانقلاب التي مست حكام الجزائر العثمانيين، أسبابها وطريقتها كما لم نهمل

المحاولات التي استهدفتهم حتى وإن لم تكن ناجحة إضافة إلى حوادث العزل التي وردت في حقهم متتبعين تسلسل الظاهرة زمنيا.

أما الفصل الثالث المعنون بـ "الاغتيال السياسي فترة الدايات 1671-1830" تم إدراج هذا الفصل بمعزل عن الفصل السابق، لكونه من أطول العهود زمنا وأكثره انتشارا لظاهرة الاغتيال، خاصة في الفترة الأخيرة منه، تطرقنا فيه إلى نظام الدايات والطريقة المتبعة في الحكم معالجين الظاهرة من خلال التطرق إلى كل حاكم والمحاولات التي استهدفته والطريقة التي قتل بها. وجاء الفصل الرابع والأخير بعنوان "الاغتيالات في أوساط المقاطعات وتأثيراتها"، وفيه أوردنا حكم البايات والشروط التي على أساسها يتم تعيينهم على مقاطعات البلاد الثلاث، ثم أشرنا إلى بايات الإقليم الشرقي والغربي موضحين أحكام العزل والاغتيال التي صدرت في حقهم، إلا أننا لم نتطرق إلى بايلك التيطري لقلة المعلومات وندرته، وأخيرا وضحنا الاحتياطات التي اتخذت لتفادي المصير المأساوي من طرف حكام العهد العثماني، والانعكاسات الناجمة عن هذه الحوادث وتأثيرها على الاستقرار السياسي للبلاد.

إضافة إلى خاتمة أدرجنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

أما فيما يخص التهميش فقد تم استعمال الطريقة الجديدة APA، وهي المنظومة التي جعلتها الجمعية الأمريكية للدراسات التقنية، كطريقة تهميش في مجال الدراسات التي تخص العلوم الإنسانية، والذي يعتمد في مجمله على التهميش داخل المتن، بوضع لقب صاحب المصدر أو المرجع بين قوسين ثم فاصلة، ثم تاريخ الطبعة ثم نقطتين ورقم الصفحة، أما التهميش الذي يأتي في أسفل الورقة فنتبع الطريقة المعتادة، يكمن التغيير في كتابة لقب واسم المؤلف بشكل سميك، أما عنوان الكتاب فيكتب مائلا، وكل ما كتب باللغة العربية من مصادر، مراجع ومقالات فيسطر تحت عنوانها.

البحث في التاريخ يتطلب توفر عوامل مختلفة تساعد الباحث للتفرغ لعملية البحث وجمع المادة التاريخية التي تمكنه من إيجاد أجوبة على كل التساؤلات التي سبق وأن طرحها، ومنها الوقت الذي لم يساعدنا كثيرا لممارستنا وظيفة التعليم في المتوسطة، وهي مهنة شاقة تجهد الجسم والعقل، ومن الصعوبات الأخرى قلة المعلومات التي تناولت موضوع البحث خاصة في الفترة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر وعدم توفر المعلومات التي تجعلنا نستشف الأسباب الحقيقية والمحرضين على الظاهرة، وعدم استعمالنا للوثائق الأرشيفية للأسباب المذكورة أعلاه، ولذلك اكتفينا بالمادة التي كانت تحت أيدينا وفي متناولنا لإخراج هذه الدراسة التاريخية كما ينبغي لها أن تكون.

والله ولي التوفيق

مدخل

بسقوط غرناطة آخر حصون المسلمين بالأندلس سنة 1492م، اشتدت رغبة الإسبان في غزو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط حيث تقع دول المغرب التي كانت مفككة ومتصارعة فيما بينها. ولعل رغبة الإسبان في الإستلاء على بلدان المغرب يعود بالدرجة الأولى إلى دافع أمني عسكري، إذ خشي هؤلاء تحالف الأندلسيين المهجرين واستتجادهم بسكان بلاد المغرب وإعادة غزوهم شبه الجزيرة الإيبيرية وإرجاعها إلى الحاضرة الإسلامية كما حدث زمن يوسف بن تاشفين³، لكن الإسبان هذه المرة قد تعلموا من الدرس واستفادوا من التاريخ محاولين تأمين ما حققوه من إنجاز بانتهاج أسلوب الهجوم لا الدفاع.

وما شجع الإسبان للسيطرة على الدول المغربية الثلاثة، هو ذلك الضعف الذي أصبحت عليه بعد تقاسمها لأملاك الدولة الموحدية بعد انهيارها سنة 1260م، فالدولة الحفصية سيطرت على تونس وتوسعت على الشرق الجزائري الحالي، أما الدولة الزيانية فحكمت تلمسان وغرب الجزائر بينما الدولة المرينية فاستقلت بالمغرب الأقصى، إذ طغى على علاقتهم التنافس والصراع وأصبحت كل دولة تنتهج سياسة التوسع على حساب جارتها.

تردي أوضاع المغرب الأوسط وانحطاطه برز بانحصار الدولة الزيانية التي فقدت جزء من أراضيها بسبب الفتن الداخلية بين أمرائها، ما فتح المجال أمام بعض المدن للاستقلال عن البيت الزياني، من ذلك نذكر مدينة الجزائر التي أصبحت تحت حكم الثعالبة⁴ وشيخها سالم التومي، كما تشجع أحمد بن القاضي الذي أسس إمارة

3- يشير ابن دينار إلى استتجاد سكان الأندلس بيوسف بن تاشفين في قوله "...بعث إليه أهل الأندلس لنصرتهم[...]. وكان رسولهم المعتمد بن عباد، فلقية في أحواز طنجة، فشكا إليه بحال أهل الجزيرة، وما عليها من الخوف والذل فوعده بالمسير إليهم[...]. فاجتمع له خلق عظيم ودخل إلى الأندلس يقصد الجهاد سنة تسعة وسبعين وأربعمائة، وكانت له الواقعة المشهورة بالزلاقة". أنظر: ابن دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، دون تاريخ، ص 102.

4- الثعالبة: قبيلة عربية تنتمي إلى المعقل. انتقلوا إلى المتيجة أواخر القرن السابع، وقد انتصر الثعالبة للموحدين وكان رئيسهم آنذاك سباع بن ثعلب، من علمائهم عبد الرحمان الثعالبي أنظر: الناصر أبي راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم، الجز 02، منشورات CRASC، وهران، 2008، ص 14-15.

كوكو بجبال جرجرة. وانفصلت مدينة تنس هي الأخرى التي أصبحت تحت حكم مولاي عبد الله، والحال نفسها في كل من مدينة شرشال، دلس وجيجل⁵.

فالوهن والضعف الذي أضى عليه المغرب الأوسط لم يكن خافيا على الإسبان بفضل تلك المعلومات والتقارير الدورية التي كان يبعث بها جواسيسهم وعملاتهم المتواجدين في المنطقة من هؤلاء نذكر "فرناندوا دوزافر" الذي كلف منذ سنة 1492م بتتبع حركة المهجرين الأندلسيين، وهذا ما مكّنه من جمع معلومات قيمة حول أوضاع الساحل الجزائري⁶، والتي سيستثمرها الإسبان لاحقا في إخضاع مدنه، بداية بإرسال حملة عسكرية إلى ميناء المرسى الكبير سنة 1505م وذلك بحكم قربه من إسبانيا، ولاعتباره من أهم موانئ المقاطعة الغربية حيث استطاعوا السيطرة عليه ما زادهم حماسا لإخضاع مدينة وهران سنة 1509م ثم جاء الدور على مدينة بجاية سنة 1510⁷.

أمام هذا الخطر الداهم قد أصاب بقية المدن الساحلية في الجزائر آنذاك هلع شديد من امتداد الزحف الإسباني، ولأنّ هذه المدن لم تكن تملك القوة الكافية للمجابهة قررت تقديم الولاء والاستسلام منها مدينة شرشال، مستغانم، دلس والجزائر، هذه الأخيرة التي اجتمع أعيانها وعلمائها حيث خلصوا إلى ضرورة التودد للإسبان كحل لتفادي الدخول في حرب غير متكافئة القوى، وعليه توجه سالم التومي شيخ الثعالبية إلى مدينة بجاية أن يتواجد القائد "بيدرون فارو". هذا الأخير الذي ألزمه بدفع ضريبة باهظة وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين⁸، كما فرض عليه التوجه إلى إسبانيا ليعترف في

5- **Berbrugger Adrien** *Le pègon d'Alger ou les origines du gouvernement turc*, Libraire commissionnaire pour l'Algérie et l'Orient, Paris, 1860, p09 .

6- **Braudel Fernand**, *les espagnols et l'Afrique du nord de 1492-1877*, in revue Africain, N°63, 1928. , p211.

7- **De la primandaie Elie**, *le commerce et la navigation de l'Algérie*, Paris, 1860, p248.

8- **المدني أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الط. 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص111.

حضور الملك فرديناند بالسيادة الإسبانية على مدينة الجزائر وليسلمهم الجزيرة
المقابلة للمدينة.⁹

بسيطرة الإسبان على مدينة الجزائر هدفوا إلى تمتين وجودهم، ببناء قلعة
محصنة أو ما عرف بحصن البنيون، والتي كانت لا تبعد عن مدينة الجزائر سوى
بثلاثمائة متر¹⁰، هذا القرب في المسافة كان له انعكاس سلبي على السكان، بعدما
أصبح الإسبان يراقبونهم عن كتب حيث سلطوا عليهم مختلف أعمال التضيق
بتفتيش السفن الداخلة إلى الميناء¹¹، وهذا ما أشار إليه حسن الوزان صاحب كتاب
وصف إفريقيا مبينا الخطر الذي أصبح يهدد سلامة السكان من جراء القذائف التي
كانت تنطلق من الحصن والتي كانت تصل إلى غاية اليابسة.¹²

أمام هذه الظروف الصعبة التي آل إليها سكان مدينة الجزائر مع عدم توفرهم
على العدة العسكرية الكافية، جعل سيد مدينة الجزائر سالم التومي وأعيانها يفكرون
في الاستجداد بالأخوة بربروس المتواجدين خلال هذه الفترة في تونس. ليخلصهم من
العدو الإسباني المسيطر عليهم لعدة سنين¹³، فنتشجج سكان مدينة الجزائر لطلب
المساعدة بعد وفاة الملك فرديناند الكاثوليكي في 22 جانفي 1516م والمعروف بنصرته
للمسيحية الكاثوليكية ونزعتة التوسعية في وقت انتشر فيه صيت وشهرة الإخوة
بربروس كل حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك بعد الانتصارات التي أحرزوها
ضد أعدائهم لدرجة أضحى سماع اسم بربروس يجعل معظم السفن المسيحية تستسلم
فورا¹⁴.

9-Devoulx Albert ,*Alger étude archéologique et topographique sur cette ville*, in R.A
N°20,1876,p66.

10 -Garrot Henri, *Histoire générale de l'Algérie*, ed crescenzo ,Alger,1910, p349.

11- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 1505-1792، دار هومة للنشر، الجزائر،
2012، ص134.

12- ابن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الط. 02، الجزائر، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 1983، ص38.

13 -Rozet et carette ,*les etas tripolitaine*, éd Bouslama ,Tunis,1850 ,p126.

14- ألتز سامح، الأتراك العثمانيون بشمال إفريقيا، تر. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989،
ص46.

غير أننا نجد تضارباً في الروايات التاريخية حول الشخصية التي طلبت النجدة حيث لم يشر خير الدين في مذكراته إلى هوية الشخصية التي رأت الوفود إذ اكتفى بما أورده في قوله: "وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية كان أهمها وفد مدينة الجزائر [...] يرجون تدخلنا لانقاذهم"¹⁵، ويشير ابن سحنون الراشدي إلى أن أحمد بن القاضي هو من طلب المساعدة من الأتراك لما رأى خطر الصليبيين¹⁶، أما ابن رقية في الزهرة النائرة أورد أن سكان المدينة أرسلوا لعروج وهو بمدينة جيجل رسالة ورد في فحواها: "سمعنا أنكم أناس تحبون الجهاد [...] ونصرتم الدين فهنيئاً لكم أيها المجاهدون لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي الملاحين الكفرة، لأننا في محنة عظيمة وذلة شديدة"¹⁷، غير أن الأثر يعوز الأمر إلى السكان الذين اجتمعوا بزعيمهم التومي وقرروا دعوة الإخوة بربروس للعيش والإقامة في المدينة غير أن المصادر الأجنبية "كهايدو" و"دوتاسي" يجمعان على أن سالم التومي هو من طلب النجدة.

رغم اختلاف الروايات وتضاربها فإن عروج لبّ النداء، لأنّ هذا العرض بالنسبة إليه فرصة لن تتكرر، ما سيمكنه وأتباعه من وضع يدهم على مركز ممتاز يضاهي بجاية وجيجل وسيجعل لاحقاً مدينة الجزائر منطلقاً وقاعدة للغزو البحري في البحر الأبيض المتوسط¹⁸، وعلى الفور بادر عروج استعداداته لمغادرة تونس متجهاً إلى الجزائر، فأرسل القوة الأولى بقيادة أخيه خير الدين عبر البحر والمكونة من ستة عشرة غليوناً وخمسة آلاف تركي وثلاثمائة جندي نزل بها مدينة شرشال إضافة إلى ثلاثمائة من السكان المتطوعين الذين انظموا إليه بينما اتخذ عروج طريق البر

15- بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين، تر. محمد دراج، الط. 01، شركة الأصالة، الجزائر، 2010، ص74.

16- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار الكتاب للنشر، الجزائر، ص16.

17- ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 03، الجزائر، 1967، ص04.

18- DE TASSY LAUGIER, *Histoire du royaume d'Alger*, chez Henri du sauzet Amsterdam, 1725, p12.

مع ثمانمائة جندي نزل بها مدينة شرشال ثم مضى بعدها إلى مدينة الجزائر وسكن بقصر سالم التومي. (DE TASSY, 1725:10).

شرع عروج إثر وصوله إلى تنفيذ المهمة التي استدعي من أجلها فراسل القائد الإسباني يعرض عليه ترك القلعة والمغادرة، إلا أن محاولته هذه لم تؤت بنتيجة، عندها نصب مدافعه قبالة الحصن وبدأ في قصفه لعشرين يوما متتالياً دون تحقيق هدفه. هذا الفشل يمكن إرجاعه إلى مناعة الحصن من جهة ومن جهة أخرى استعمال مدافع محدودة المسافة (ROZET ET CARRETTE, 1850:116)، وبهذه النتيجة خابت آمال السكان، اللذين أصبحوا يرتابون في أمر عروج ومرافقيه، كما توجس التومي خيفة من تقلص سلطته وضياح مكانته لصالح الأتراك، وهذا ما أدى إلى صراع خفي بينهما، عمد فيه كل طرف للتخلص من الآخر.

استطاع في النهاية عروج اغتيال شيخ مدينة الجزائر سالم التومي، غير أن هذه المسألة هي الأخرى لم تتفق حولها الروايات التاريخية، فأحمد توفيق المدني يؤكد من خلال وثيقة مكتوبة باللهجة العامية والمحفوظة بأرشف سيمانكس بإسبانيا أن سالم التومي هو من بادر بخيانة عروج مع حاكم تنس مستعينا بأعدائه الإسبان حتى يحافظ على سلطانه المهدد، ومما جاء في فحوى الرسالة "...الذي نعرفكم به هو أن ابن سلطان تنس هو ابنكم، وكذا ابن التومي صاحبكم في الجزائر انذبح عليكم وعلى خدمتكم وغفلتم عليه [...] فإن كنتم تعملون على همتكم اعزموا للجزائر قبل ما تجي عمارة التركي فيستولي على هذا البر الكل" (المدني، 1984:175) ونفس الرأي يذهب إليه سبنسر مشيرا أن سالم التومي لما وجد حكمه في خطر انسحب إلى النتيجة عند قبيلته وذلك حتى يجمع الدعم ويخطط لإخراجهم من المدينة، لكن عروج تظن للحيلة، وحتى يستميله إليه أظهر الولاء والطاعة متحينا الفرصة المواتية

لاغتياله¹⁹. أما المصادر الأجنبية ومن جملتهم هايديو يؤكد أن عروج خطط للأمر مسبقا مستغلا تواجد التومي في الحمام يتوضأ لصلاة الظهر، فتسلل إليه خفية وخنقه جاعلا الأمر يبدو وكأنه توفي نتيجة حرارة الحمام العالية²⁰، فهذا الاغتيال المخطط له لم ينفذه عروج لوحده، وإنما كان بالتواطؤ مع عمال القصر الذين سهلوا عليه المهمة. (82: 1873, Sander, et Ferdinandain) غير أن رواية "دوتاسي" التي انفرد فيها يوعز سبب اغتيال سالم التومي إلى إعجاب عروج بزوجة التومي الأميرة زفيرة، ولهذا الهدف قتله حتى يتزوج بها هو لاحقا، معللا وجهة نظره بما أورده من رسائل كانت متبادلة بينهما تتهمه في إحداها بأنه قاتل زوجها وأنه ملك المدينة بالقوة والعنف (DE TASSY, 1725:17)،

هذه الرواية تبقى ضعيفة ومشكوك في صحتها لأنه هو الوحيد الذي أوردها، ثم أن هذه الرسائل لا تشير بقول صريح أن إعجابه بالأميرة زفيرة هو من جعله يغتال التومي، كما أن هذه الرواية قد قللت وحطت من شأن عروج ومرافقيه وهدفهم الجهادي، حيث غالبا ما وصفتهم الكتابات الأجنبية بالقرصنة ولصوص البحر، وهذا الرأي يبقى مستعبدا لأنه لا يعقل أن يغتال سيد مدينة الجزائر لأجل سبب مثل هذا، لو لم تكن دوافع أخطر من ذلك وأكثر منطقية، ومنها خوفه الوقوع بين عدوين التومي وأتباعه بالداخل يترصدونه ويريدون خيانتة بالارتقاء في أحضان الإسبان، وبين هؤلاء الذين يراقبون تحركاته للتخلص منه بأية طريقة.

وازداد أمر الإخوة بربروس سوءا لما تجاهلهم سلطان تونس الحفصي وامتنع عن مساعدتهم، وهذا ما صرح به خير الدين في مذكراته قائلا: "...غادرت جيجل متجها إلى تونس الذي كان سلطانها قد جاهر بعداوتة لنا..." (بربروس، 2010: 74)

19- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تر. عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980، ص 40.

20- HAEDO DE DIEGO, *Topographie et histoire générale d'Alger*, trad. de l'espagnole par Monnereau et Berbrugger, Alger, 1870, p 28.

لكن السؤال الذي يطرح في هذا المقام وفي ظل اختلاف الروايات وتضاربها، كيف لسالم التومي أن يستدعي عروج ويستتجد به ثم يفكر في الانقلاب عليه وخيانتة؟.

تقودنا الإجابة على هذا السؤال إلى طرح ثلاث احتمالات أساسية أولها أن استتجاد التومي بالأخوين بربروس في أغلب الظن كان بضغط من السكان لما أصبح يعانونه من الإسبان في قلعة البنيون، عندها وجد التومي نفسه مجبرا على طلب العون، خاصة وأنّ مذكرات خير الدين التي أشارت إلى الاستتجاد بهم لم تشر إلى هويته، وإنما اكتفت فقط بذكر الوفود التي وصلت إليهم بتونس وبمدينة جيجل في قوله: "وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية، كان أهمها وفد مدينة الجزائر [...] يرجون تدخلنا لإنقاذهم" (بربروس، 2010: 74)

أما الاحتمال الثاني، وإذا اعتبرنا أن سالم التومي هو من بعث في الاستتجاد بهم لمدة محددة حيث ينتهي وجودهم بتحقيق الهدف الذي جاء من أجله خاصة بعدما عرف عنهم من حب الجهاد والذود عن أمة الإسلام من أعدائهم الإسبان، إلا أنّ الإخوة بربروس لم يستطيعوا تحقيق الهدف المنشود لتخليصهم من الإسبان في صخرة البنيون، ونظرا للازدياد قوة عروج ونفوذه في الجزائر جعل التومي يرتاب في وضعه ويخاف من ضياع سلطانه ما يجعلنا أمام احتمال آخر لخيانة التومي.

فإقدام عروج على الاغتيال لم يكن إلا خطوة ليؤمن نفسه من الغدر وليقوي مكانته وهيبته بين السكان، وهكذا تمكن من وضع يده على المدينة باللجوء إلى الاغتيال بعدما اصطفاه أتباعه ليكون ملكا عليهم وعلى مدينة الجزائر، رافعا رايته ذات الثلاث ألوان الأخضر، الأصفر والأحمر. (GARROT, 1910: 360)

استمر حكم عروج لمدينة الجزائر لفترة زمنية لم تدم طويلا قضاها في ضبط أوضاع الجهة الغربية بعد تردي الأحوال في البيت الزباني وضعف الحكام ولجوئهم

إلى الإسبان كلما وجدوا ملكهم في خطر ولو على حساب الإسلام والمسلمين، ما جعل السكان يتذمرون من الوضع ولهذا فضلوا الاستعانة بالأتراك في مدينة الجزائر القريبة منهم جغرافيا.

سارع على إثر هذا الطلب عروج إلى تلمسان حيث أزاح أبو حمو موسى عن عرشه وأجلس مكانه أبا زيان²¹ عندها أثر أبو حمو طلب مساعدة الإسبان في مدينة وهران الذين أمدوه بجيش قدره عشرة آلاف جندي، ولأن قوات الإسبان كانت تفوق قوة عروج، فضل هذا الأخير إخلاء المدينة والتحصن بالقلعة وكخطوة لطلب المدد استعان بسلطان المغرب الذي وعده بالمساعدة لكنها لم تصله، ولهذا بقي محاصرا في المدينة لستة أشهر (بربروس، 2010: 89). لما أدرك خير الدين المتواجد بمدينة الجزائر حاجة أخيه للدعم أرسل له المدد عبر البر لكن القوات الإسبانية تفتنت للأمر وقطعت عليه طريق المرور، وبذلك تمكنت من محاصرة عروج وجيشه القليل عددا وعدة. (فكاير، 2012: 121).

أمام هذه الظروف العصيبة قرر عروج مغادرة القلعة ليلا حتى يغيب عن أنظار الإسبان، لكن اكتشف أمره، وتمت ملاحقته إذ اجتمع الطرفان في معركة غير متكافئة دافع فيها عن نفسه إلى أن قتل وجميع مرافقيه سنة 1518.

أما عن المكان الذي قتل فيه فلم يتم الاتفاق حوله "فمارسي" يرجحه على بعد 21 كلم جنوب غرب وجدة قرب سيدي موسى²²، أما "دوقرامون" فيجعله قرب جبال بني

21 - شوفالبيه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص36.

22- **MERCIER ERNEST**, *Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française*, Tome troisième, éd Ernest Leroux, Paris, 1868 p23.

سناسن قرب فاس²³، بينما يعتبره "بربروجر" في الطريق الرابط بين تلمسان وجبال سناسن أي 22 كلم شرق تلمسان عند واد إسلي.²⁴

لكن الشائع والمرجح بين المؤرخين ومنهم جمال قنان أنه استشهد في واد المالح، لأن المسافة بين تلمسان وبني سناسن بعيدة، وهذا ما قد يشكل خطرا على الإسبان لبعد قاعدتهم العسكرية²⁵.

وفاة عروج الشخصية المسيطرة المهابة شكلت حملا ثقيلًا على أخيه خير الدين الذي وجد نفسه أمام الإسبان المتلهفين إلى جعل مصيره مثل أخيه، إذ اعتبروا أن الجزائر قد دانت لهم باستشهاد عروج، ما جعل الموقف السياسي لخير الدين ضعيفا، وفتح باب المؤامرات والدسائس لطرده وأتباعه من الجزائر، هذه المؤامرات والخطط التي كانت تحاك ضده لم تقتصر على أعيان مدينة الجزائر فقط، وإنما عمت مناطق أخرى من البلاد، وقد صور خير الدين الصعوبات التي يواجهها بقوله: "قد رأيت ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان واستعانت به علينا بغير أهل ملتنا [...] وصاحب تونس الحفصي الذي لا رأي له في نصرنا". (بربروس 2010: 74)

فبدل أن يجتمع أبناء الوطن يدا واحدة في مواجهة أعدائهم الإسبان المتربصين بهم اختاروا الخيانة والغدر وما صاحب ذلك من الوهن والضعف، وانقسام في الكلمة بل وأكثر من ذلك الاستعانة بالإسبان والقبول بشروطهم المخزية، مفضلين التمسك بمصالحهم والترفع على عروشهم على حساب مصلحة الوطن، وخير مثال على ذلك أحمد ابن القاضي الذي كان في وقت من الأوقات حليفا للإخوة بربروس أصبح الخصم اللدود لخير الدين حيث يرجع شوفالييه ذلك إلى تحريض سلطان تونس له

23-DE GRAMMONT HENRI, *Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*, ed Ernest Leroux editeur, Paris, 1868, p23.

24-BERBRUGGER ADRIEN, *la mort du fondateur de la régence d'Alger*, RA ,N°04, Alger 1860 , p32

25- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2010، ص48.

حتى يبعد خطرهم عنه. (شوفالييه، 1991:38)، غير أن هؤلاء القادة الذين اختاروا الانقلاب على الأتراك استغلوا العامة لتحقيق مآربهم، وهذا ما جعل خير الدين يفقد الثقة في المحيطين به، لأن هذه الزعامات كانت تتحين الفرصة للتخلص منه²⁶، وما زاد الأمر تأزماً نقص الذخيرة الحربية والعتاد اللازم تحسباً لأي طارئ، ضف إلى ذلك أن خير الدين في هذه الفترة الحرجة لم يتمتع بشعبية وصدقات من طرف السكان حتى تمكنه من استمالتهم إليه والاستعانة بهم في درء أي خطر قد يهدده²⁷ فكان على عاتق خير الدين في هذه الحالة تقوية نفوذه وتجميع قوته العسكرية لأنه في مواجهة لقوة إسبانية مهيمنة على البحر الأبيض المتوسط، ولهذا استخف به الإسبان وبنجاحه في صدّهم، وهذا ما نستشفه من الرسالة التي أرسلها الملك شارلكان عن طريق رسوله يطلب منه المغادرة وأن لا يفكر في مواجهة الإسبان مما جاء فيها "لقد مات أخوك، فكسر جناحك، من تحسب نفسك حتى تقف في وجه أقوى ملك مسيحي (بربروس، 2010:93).

أمام تمسك خير الدين بموقفه وإصراره على الصمود، أقدمت إسبانيا على خطوة عملية بشن حملة عسكرية قادها هيغودومونكاد 1518، لمحاصرة مدينة الجزائر وافتكاكها منه إلا أن القائدان المشرفان على الحملة لم يتفاهما، ما جعل خير الدين يستغل الموقف لصالحه وبذلك باءت حملتهم بالفشل الذريع. (شوفالييه، 1991:37).

وما كان يثير مخاوف خير الدين قلة عددهم في الجزائر مما يجعل التخلص منهم أمراً يسيراً وقد أشار إلى ذلك خير الدين نفسه في مذكراته قائلاً: "نحن في إفريقيا لسنا سوى حفنة من الأتراك يمكن القضاء عليها في رمشة عين". (بربروس، 2010:93)

26- دراج محمد، تأسيس إيالة الجزائر، في مجلة عصور، مخبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 16، 2010، ص 48.

27- التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية المغربية، العدد 06، تونس، 1976، ص 117.

دفعت هذه الظروف المتوترة على الصعيدين الداخلي والخارجي خير الدين إلى التفكير في المغادرة إلى إسطنبول وترك مدينة الجزائر، ولهذا عمد إلى جمع أعيان المدينة وأئمتها وخطب فيهم قائلاً: "إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم..." [ترك في بلادكم أكثر من أربعمئة مدفع، ولم يكن في بلادكم ولو مدفع واحد...] (ابن رقية، 13:1967)، لكن هذا القرار لم يرضي السكان الذين وقفوا إلى جانبه وأصروا عليه في البقاء لحمايتهم من العدوان الإسباني المهدد لهم، ولأن خير الدين كان مدركاً لخطورة الوضع بعزلة البلاد من جهة، ونقص السلاح والذخيرة وقوة يمكنه الالتجاء إليها وقت الحاجة من جهة أخرى لذلك اشترط البقاء في المدينة الدخول في طاعة السلطان العثماني سليم²⁸ باعتبار أن الدولة العثمانية كانت أكبر قوة إسلامية ضاربة في هذا الزمن وقد أورد ابن رقية ذلك في قوله: "قد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان، فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه". (ابن رقية، 14:1967)

ولأن اقتراحه وجد قبولاً من طرف أعيان مدينة الجزائر بادر بإرسال وفد يترأسه الشيخ أبي العباس أحمد بن القاضي ومعه حاجي حسين آغا يحملون رسالة سكان المدينة إلى الباب العالي، وقد نقل هذه الرسالة إلى اللغة العربية ونشرها في المجلة التاريخية المغربية عبد الجليل التميمي مما ورد فيها "...إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية..." [فخير الدين قد دافع عنا [...] فكرس نفسه وماله للجهاد على أن محبتنا له خالصة، ومفاد ما يريده عبيدكم إعلامكم أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم...] [إلا أن عرفاء البلدة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا

28 - سليم الأول: هو ابن السلطان بايزيد الثاني، ولد عام 875هـ-1480م، وجلس على الملك سنة 918هـ، عاش أربعة وخمسين سنة، منها ثمانية سنوات قضاها في الحكم إلى أن توفي شهر شوال 926هـ، كان يحب رجال الأدب وشاعرا يميل إلى حسن النظم أنظر:
حضرة عزتلتوا يوسف بك أصف، تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مديولي، القاهرة، 1995، صص 56-59.

يرحل خوفاً من الكفار ونحن على غاية الضعف والبلاء ... " (التمييزي، أول، 119:1976).

استضاف السلطان العثماني سليم الوفد وقبل طلبه، فالتحق هذا الجزء الغربي من العالم الإسلامي قدم له على طبق من ذهب لم يكلفه عناء الحروب والمعارك، وحسب المراسيم المتبعة سلم للوفد السيف والخلة السلطانية²⁹، كما بعث لخير الدين ألفين من الجند الإنكشارية مع ضمان انخراطهم بأجور منتظمة في الأوجاق، كما تلقى فرمان تعيينه كبايلرباي³⁰ الجزائر وقائد الأوجاق ونائب للسلطان. (سبنسر، 45:1980).

بانطواء الجزائر تحت الحماية العثمانية دخلت مرحلة تاريخية جديدة، أما الإسبان فقد راقبوا هذه التطورات الأخيرة بعين حذرة دارسة لخطواتها وقراراتها.

اعتبرت سنة 1519 بداية العلاقات الجزائرية العثمانية والتي استمرت لأكثر من ثلاثة قرون، قد أضفى بداية سلاطين آل عثمان لقب بايلرباي (أمير الأمراء) على بشواتهم المعنيين في الجزائر والمشرفين على حكم إيالات المغرب الثلاثة الجزائر، تونس وطرابلس الغرب، لكن مع سنة 1587 أحدث الباب العالي تغييراً جديداً بتعيين الباشا لمدة ثلاث سنوات، أما التغيير الآخر فكان داخلياً باستحواذ القوة البرية الإنكشارية على زمام السلطة سنة 1659، أو ما اصطلح على تسمية بعهد الأغوات الذي خلق الثنائية في الحكم، فالآغا المعين والباشا المبعوث من اسطنبول، ليكون عهد الدايات سنة 1671 آخر العهود السياسية، الذي عرف هو الآخر بفترة الازدواجية تم سرعان ما أصبح الداوي السيد المطلق إلى نهاية الحكم العثماني بالجزائر.

29- الخلة السلطانية: اسم عربي بالتركي قفطان، وهو نوع من الملابس الخارجية الذي كان السلطان يكسبه على ولايته أو وزرائه إعراباً عن رضاه أنظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص 103.

30- الباييرباي: أمير الأمراء، وهو أعلى المناصب في الدولة العثمانية، كان في العهود الأولى مسؤولاً عن الجيش نافذ الكلمة يأتي بعد السلطان، ولما توسعت الفتوحات عين على الولايات المفتوحة أنظر. (صابان، 2000: 64).

تراوحت العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية بفترات تميزت بالصلة القوية والتعاون، وذلك بحكم تعرضهما للخطر المشترك والمتمثل في القوى الأوروبية المسيحية المتربصة بهم لتشهد في فترات أخرى ضعفا وفتورا وذلك لما ستتعارض مصالحهما.

أول مظهر من مظاهر العلاقة تجلى في تعيين البايالرييات، وقد اتخذ في ذلك السلطان العثماني سياسة رشيدة اعتمدت على اختيارهم من أصحاب الكفاءة والحنكة السياسية والخبرة الحربية كقادة للأساطيل، خاصة في وضع كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لعدة معارك حربية، ضف إلى ذلك الرقابة التي كانوا يتعرضون لها، وذلك ما نلحظه من خلال تلك الشكاوي التي كانت ترفع إلى بلاط السلطان العثماني والتي كانت تلقى آذانا صاغية، من ذلك نذكر الشكوى التي رفعها سكان مدينة الجزائر ضد البايالرياي محمد بن صالح رايس، والذي جاء الأمر بعزله وإرجاع الأموال المسلوقة التي اتهم باختلاسها³¹.

وقد تميز هذا العهد بتسرب النفوذ الفرنسي بالجزائر، وذلك بحكم العلاقات الجيدة التي جمعت الدولة العثمانية وفرنسا، بحرص هذه الأخيرة الحصول على امتيازات اقتصادية على أرض الإيالة، وقد تحقق لها ذلك ببناء حصن الباستيون 1561³²، ليتبع لاحقا بتمثيل دبلوماسي بوصول أول قنصل فرنسي سنة 1564³³، والذي لم يمارس مهامه إلا بعد مرور أربعة عشرة سنة.

وعلى الرغم من القوة التي اتسم بها البايالرييات في حكمهم لإيالات المغرب الثلاثة، إلا أن بوفاة البايالرياي العلي سنة 1587، اضطر السلطان العثماني إلى

31- مروش منور، دراسات الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، الجز. 02، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 187.

32- حصن الباستيون: تم تأسيسه من طرف المارسيان كارلن ديدي وتوماس لنشر يقع في شاطئ يبعد عن القالة بثلاث أميال غربا ويحتوي حصنا مكونا من 60 جنديا وحوالي 300 شخص يسكنونه، أنظر: عربي إسمهان، البيستون الفرنسي بالقالة من خلال مراسلات محلية، مجلة عصور، العدد 17، جامعة وهران، 2011، ص 36

33- CAT E, *Petite histoire de l'Algerie, Tunis, Maroc*, T.01, éd Adolphe Jourdan, Alger 1888, p274.

تغيير هذا النظام بعهد البشوات مع تحديد مدة ولايتهم بثلاث سنوات، وذلك لتخوفه من استقلال الجزائر عن اسطنبول خاصة في ظل القوة والهيمنة التي أضحت عليها البحرية الجزائرية، ولهذا من مصلحة الباب العالي التمسك بها غير أن العلاقة بين الطرفين خلال هذا العهد تميزت بطابع المرونة فلا التبعية المطلقة ولا الاستقلال التام، حيث حافظت الجزائر على الباشا المعين، بينما جعلت زمام الأمور بيد الديوان³⁴

غير أن أخطر ما يمكن ملاحظته تدخل عناصر خارجية لتوجيه سياسة السلطان العثماني، خاصة فرنسا بحكم الامتيازات التي حصلت عليها، فعندما تولى الخضر باشا للمرة الثالثة سنة 1603 حاول الحد من هذه الامتيازات، فهدم المركز التجاري الفرنسي وأسر عددا من الفرنسيين (ألتر سامح، 1989: 315)، على إثرها تقدمت فرنسا بشكوى إلى السلطان العثماني، فاستجاب الباب العالي لطلبها وبعث محمد كوسة الذي تولى إعدام الخضر باشا (CAT, 1888; 277). فهذا التأثير وقوة النفوذ التي أضحت عليها فرنسا لدى بلاط السلطان العثماني، مكنها عن طريق سفرائها بالتحريض على عزل باشوات الجزائر إن هم خالفوا مصالحها³⁵.

اتجه أغلب البشوات المعنيين إلى رعاية مصالحهم وإشباع رغبتهم في جمع المال في وقت ما فتى نفوذ الإنكشارية يتضاعف من خلال الديوان. هذا الأخير وللنفوذ التي أصبحت عليها الإيالة قرر وضع الباشا الجديد علي باشا سنة 1659 في غليوطة وإرساله إلى أزمير، وذلك بسبب خروج الأوضاع عن السيطرة والتأخر في دفع رواتب الجند³⁶، فهذه الخطوة الأخيرة التي أقدم عليها الديوان وضعت العلاقات العثمانية الجزائرية على المحك إذ وصلت إلى درجة القطيعة، وهذا ما جعل اسطنبول

34- ابن المبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجز. 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1964، ص 149.

35- وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 240.

36 - محرر أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص 78.

تقدم على إصدار جملة من الإجراءات المشددة للتضييق على الجزائر ومعاقبها حيث منعت الجزائر من توظيف المجندين الجدد وكذلك أوقفت تمويل الإيالة بالمواد الغذائية كالأرز والبن ووصلت العقوبات إلى درجة منع السكان من السير لأداء مناسك الحج، أمام هذا الوضع لم يجد الديوان بداً من إرسال بعثة إلى الأستانة بغرض الاعتذار وإصلاح الأمر، لكن مساعيهم لم تكن مجدية وتواصلت القطيعة إلى وفاة الصدر الأعظم³⁷، أما عهد الأغوات فأصبحت الجزائر جمهورية عسكرية³⁸، وذلك باستحواذ الإنكشارية على مقاليد الحكم في الإيالة، والتغيير الأخير يعتبر تمرداً واضحاً ورفضاً قاطعاً لسياسة الباب العالي، القاضية بتعيين بشواتها في الجزائر، فهذا النظام السياسي أسندت فيه جلّ المهام إلى الآغا مع الإبقاء على الباشا الذي منح راتباً شهرياً ومنزلاً لكنه حرم من التعاطي في الأمور التي تخص الحكومة، كما سمح له البقاء في الديوان، لكن لا يحق له التصويت أو الإدلاء برأيه إلا إذا طلب منه ذلك³⁹.

رغم اتساع الهوة بين الجزائر وإسطنبول، إلا أننا لم نشهد انقطاعاً في العلاقة إذ ظلت الجزائر تدعو للسلطان العثماني في المساجد مظهرة له الاحترام لكونه خليفة المسلمين.

انتقلت بعدها الجزائر إلى آخر عهد وهو الدايات، شهدت فيه استقلالاً ذاتياً، اتسم بالتبعية الاسمية الصورية للدولة العثمانية، وأصبح للداي الكلمة العليا على الجيش إذ يعود للديوان انتخابه، بينما يكتفي السلطان العثماني بمباركة هذا القرار وإرسال فرمان التعيين والقبطان كرمز للتولية ومع مرور سنتين أو ثلاثة أو في

37-BOYER PIERRE, *La Révolution Dite Des Agha Dans La Régence d'Alger 1659-1671*, in ROMM , N°13-14, 1973, p162.

38- BOUABA YAMILI , *les turcs au Maghreb central du 16eme au 19eme siècle* , Ed La Société National D'édition Et De Distribution, Alger, 1972, p39.

39-WATBELD E, *Pacha-Pacha deys* , in RA, N°17, 1873, p440.

مناسبات معنية تتم تجديد ولايته⁴⁰، إلا أن تغيير الدايات في الجزائر يطلع عليه الباب العالي قبل أن يبادر الداي الجديد بكتابة تقريره لطلب الشرعية وذلك بواسطة القبودان دوريا⁴¹ الذي كان يبدي حرصا شديدا في تتبع أحداث الجزائر. (حماش، 1988: 37).

الفترة الممتدة ما بين سنوات 1671-1711م، اعتبرت فترة الازدواجية في الحكم، إذ جمعت السلطة في شخص الداي المنتخب من الديوان مع الإبقاء على الباشا المعين من اسطنبول، لكن مع سنة 1711م ستتقلب الأوضاع جذريا برفض الداي علي شاوش استقبال إبراهيم باشا، وقد تبع ذلك بتقرير أرسله إلى السلطان العثماني يوضح فيه مدى الخطورة التي تشكلها الازدواجية في الحكم على الاستقرار السياسي للإيالة.

إلا أن إسطنبول لم يكن موقفها متشددا مثلما حدث في عهد البشوات، ولعل مرد ذلك إلى الوهن التي أصبحت عليه الدولة العثمانية من جراء الحركات الانفصالية إثر معاهدة "كارلوفتز" مع النمسا والبندقية وبولونيا سنة 1699م، ومعاهدة "إستانبول" مع روسيا سنة 1700م التي ألزمتها التخلي عن قسم من أراضيها⁴²، وعليه كان اهتمام الدولة العثمانية مركزا على رد الهجمات الأوروبية، فمن مصلحتها التمسك بالجزائر والحفاظ على علاقات جيدة معها حتى تضمن دعم الجزائر لها في حروبها، لأن أي موقف عكس ذلك سيؤثر عليها سلبا.

والمظهر الآخر الذي ميز العلاقات الجزائرية العثمانية يبرز في التعاون العسكري بينهما، والذي تمثل أساسا في موافقة السلطان العثماني بتجنيد الجند الإنكشارية على أراضيها، والتي كانت نواتها الأولى تلك القوات التي أرسلها السلطان

40- DE PARADIS VENTURE, *Alger au XVIII siècle*, éd Adolphe Jourdan, Alger, 1898, p104.

41 - قبودان دوريا: يطلق على أكبر منصب بحري في الدولة العثمانية يقابلها في وقتنا الحالي رئيس القوات البحرية. أنظر: (صابان سهيل، 2000: 177).

42- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، تر. التميمي عبد الجليل، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص26.

سليم الأول في وقت كانت الجزائر بحاجة إلى هذا الدعم، والذي سيتواصل على طول الفترة العثمانية، فالجزائر هي الأخرى كانت لها مواقف لا يستهان بها لمشاركتها إلى جانب الأسطول العثماني في حروبه خاصة مع الحركات الاستقلالية خلال القرن الثامن عشر، من هذه المواقف نذكر مساعدة العلي علي الذي كان قائد الأسطول في معركة "ليانت" سنة 1571م ضد الأسطول المسيحي (كوران أرجمنت، 1970: 26) كما نسجل استجابة الداي مصطفى لأوامر الباب العالي حينما أرسل في 19 ديسمبر 1799م بسفير يحمل القفطان ومرسوم في أوامر سلطانية بإعلان الحرب على الفرنسيين وأن يستولي الأسطول الجزائري على جميع السفن اليونانية⁴³ ومشاركته سنة 1827م في معركة "تفارين" ضد اليونان بسبب حربها في الانفصال عن الدولة العثمانية والتي كانت نتيجتها الفشل الذريع للعثمانيين وضربة موجعة للبحرية الجزائرية بتحطيم جميع سفنها ما عدا سفينتان⁴⁴ وبداية الانحطاط الفعلي للقوة العسكرية الجزائرية.

توثيق عرى الصداقة تمثل في تبادل الهدايا بين الجزائر والدولة العثمانية، فبالنسبة لهدايا الباب العالي، فقد اتخذت شكل المعونة أكثر من الهدية، ومن ذلك إرسال الباب العالي سنة 1785م لمجموعة من التجهيزات العسكرية منها 450 قنطارا من البارود و 200 بندقية و 17 عودا بصواري المؤخرة و 50 مجدافا و 50 قنطارا من النحاس و 20 ألف قنبلة و 10 مدافع⁴⁵، ولعل هذا النوع من الهدايا كان حرصا من السلطة العثمانية للإبقاء على القوة العسكرية الجزائرية، حتى تضمن مساعدتها إن هي احتاجت إلى دعمها، غير أن هدايا الجزائر إلى السلطان العثماني وحاشيته تميزت

43 - كاتكرت جيمس، مذكرات أسير الداي كاتكرت قنصل أمريكا المغرب، تر. العربي إسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 277.

44 - سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 324.

45 - سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 150.

بالفخامة ورقة الذوق، منها تلك الهدايا التي بعث بها الداوي محمد باشا سنة 1189هـ - 1775م والتي شملت 52 حزاما من الحرير و 60 سبحة من المرجان و واحدة من العاج واثنتان من العنبر و عشرة بنادق و خاتم للسلطان و 60 حايك من الحرير و 60 زربية صحراوية و 70 أسيرا مسيحيا مع مال قدره 16 ألف محبوب و 2000 دينار ذهبي⁴⁶.

برز الشكل الآخر لمظاهر العلاقة في الاحتفالات التي كان يقيمها الدايات بمناسبة ازدياد مولود لدى السلطان وقد أشار "الزهار" إلى المراسيم المتبعة في هذه الاحتفالات في قوله: "عند ازدياد مولود السلطان العثماني مصطفى خان أصدرت أوامر لأهل البلاد بجعل الزينة بالأسواق، واستمر ذلك سبعة أيام بلياليها"⁴⁷

يبقى أن نشير أن العلاقات الجزائرية العثمانية رغم الأزمات التي مرت بها إلا أننا لم نسجل قطيعة بينهما عدا الفترة الأخيرة من البشوات والتي لم تستمر طويلا حيث سرعان ما رجعت الأوضاع إلى نصابها، إذ تأرجحت على طول الوجود العثماني بالجزائر بفترات توطدت فيها العلاقة وأخرى تأزمت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

46- DEVOLX ALBERT, *Tachrifat, recueil des notes historique sur l'administration régence d'Alger*, éd imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p57.

47- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، الط . 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص15.

الفصل الأول :التنظيم الإداري والعسكري للجزائر

❖التنظيم الإداري

❖القوة البرية "الانكشارية"

❖القوة البحرية "الرياس "

برزت الجزائر مع بداية عهد البيلربايات كوحدة سياسية وإقليمية، جعل من الضرورة انتهاج سياسة تنظيمية لهذه الدولة ذات المساحة الجغرافية الواسعة، فكان تجزئتها إلى أقاليم الحل الأمثل لتسييرها وربطها بالسلطة المركزية، وحتى يتم ضبطها بشكل أفضل والإشراف على شؤون الرعية بها، خاصة في وقت اشتدت فيه التحرشات والاعتداءات الخارجية، حيث أضحى الإقليم الشرقي مهددا من طرف الحفصيين الذين يريدون اقتطاع جزء من هذه الأراضي وضمها إلى ممتلكاتهم، ومن جهة ثانية الإسبان ومشروعهم الاستعماري للغرب الجزائري بعد تمكنهم من احتلال مدينة وهران وجعلها قاعدة عسكرية لهم، ناهيك عن أطماع المغرب الأقصى، فهذه الظروف مجتمعة استدعت من حسن بن خير الدين تقسيم الجزائر إداريا إلى ثلاث بايلكات على رأس كل منها باي، إضافة إلى دار السلطان التي تمثل الحكم المركزي وتحت الإشراف المباشر للباشا بمساعدة جهاز إداري يتكون من الموظفين السامين ومساعدوهم، وفيما يلي توضيح للتنظيم الإداري في الجزائر خلال العهد العثماني.

1/التنظيم الإداري للجزائر

1-1/التقسيم الإداري

1-1-1/بايلك دار السلطان: يمثل السلطة المركزية، عاصمته مدينة الجزائر، تتمثل حدوده الشمالية في ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما الشرقية في بايلك قسنطينة، ومن الجهة الغربية مقاطعة الغرب ومن الجنوب الزاب وبايلك التيطري وعاصمته المدينة¹ وتحت الإشراف المباشر للباشا يضم كل من مدينة الجزائر، البلدية، شرشال، القليعة ودلس، يتولى إدارة هذه المدن موظف يلقب بالقائد. (MERCIER, 1868 : 144).

1-SHAW THOMAS ,Voyage dans la régence d'Alger , Mac Carthy ,éd Marbin, Paris 1830,p 316.

ونظرا للأهمية التي تمثلها دار السلطان، جعلت الباشا هو من ينصب القائد الذي يراه مناسبا وقادرا على إخضاع القبائل العاصية كما يضم هذا البايلك مجموعة من الأوطان حددها الزهار نقيب الأشراف بسبعة أوطان في قوله : "...يشرف على هؤلاء قائد في وطن حجوط، ووطن بني خليل يتصرف في جبل بني مسعود إلى واد الحراش، وقائد ثالث في الخشنة ورابع في يسر يحده سباو وخامس في وطن بني جعد، وقائد سادس في وطن بني سليمان ووطن سابع في ربيع." (الزهار، 1980: 48)

تمثل دار السلطان السلطة المركزية مقر الداي وبقية الوزراء، وبها ثكنات الإنكشارية وهي سبعة ثكنات وميناء مدينة الجزائر . (DE PARADIS ,1898 :84)

1-1-2/ بايلك التيطري: يعتبر أصغر الأقاليم وأفقرهم عاصمته المدينة، وهي خاضعة لحاكم تابع للديوان، وقد عين حسن باشا سنة 1548 الباي رجب كأول بايات المقاطعة³ تمثلت حدوده الشمالية في إقليم دار السلطان، ومن الشرق الزاب، أما غربا بايلك الغرب، وجنوبا بلاد الجريد. (SHAW, 1830: 316)

وعن الأسباب التي جعلت الإدارة في الجزائر تقدم على جعله بايلكا رغم قربه من دار السلطان، كان لدوافع أمنية لأنه يشكل حاجزا أمنيا خوفا من تمرد قبائل الجنوب وزحفها نحو مدينة الجزائر⁴، وقد أحيطت به من الشمال قبيلة بني صالح، بني موازية ومن الشرق بني سليمان، بني جعد وعريب (الزهار، 1980: 47)، ومن الغرب قيادات جندل أولاد حليف ومن الجنوب الأغواط وأولاد نايل وكل دوار تحت إشراف القائد الذي يتم اختياره من العائلات الغنية والعريقة ليساعد الباي في كل مسائل البايلك

3- AUCAPITAIN ET FEDERMAN, Notice sur l'Histoire et L'Administration Du Beylik De Titri, in RA, N 09, Alger, 1865, p 284 .

4- عباد صالح، الجزائر خلال العهد التركي، 1514-1830، الط. 2، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007، ص 281.

ومن ذلك اجتماع يوم الجمعة في قصر "جنان الباي". وهذه القبائل تشكل أربعة مقاطعات إدارية. (MERCIER ;1868:140)

تتمثل الأولى في التل الشمالي الذي يتكون من سبعة أوطان هي حسن بن علي . وزارة هوارنة بن يعقوب . غريب . حنانشة، أما التل الأوسط يشمل قبائل عبيد. دواير. بني حسن . التيطري . أولاد حمزة، وتضم مقاطعة الدير أولاد رئيس . أولاد فريحة . بني عقبة . أولاد سليم، أما مقاطعة الجنوب فتتكون من زناخرة . عبادلة . أولاد سيدي احمد بن بوعيش وأولاد نايل، فهذه القبائل كلها تدين بالطاعة لشخص الباي. (AUCAPITAIN ET FEDERMAN, 1865 :113-114) وهذا ما عكس الطابع الريفي للمقاطعة، فأغلب سكان البايك من ساكني الخيام أي الرحل الذين يغيرون أماكنهم باستمرار.⁵

1-3-1/بايك الشرق :

تأسس هذا البايك سنة 1568 من طرف البايبراي صالح رايس، عاصمته قسنطينة (BOUABA, 1972 :30). وهو يضم أربع مناطق جغرافية، فالجزء الشرقي يشمل ناماشة، والشمالي فيمتد من عنابة إلى بجاية، والجزء الغربي يضم سطيف إلى جبال الببيان والجزء الجنوبي فهو متاخم للصحراء⁶، أما حدوده الجغرافية أدرجها الرحالة "شاو"، فمن الشمال يحده البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق تونس ومن الجنوب الزّاب ومن الغرب دار السلطان. (SHAW, 1830,325)

5- Cano Alanco , *La régence d'Alger au XVIII^{ème} siècle*, tr. Esmat Hasaine, Dar Elquds El Arabi, Alger, 2010, p 125 .

6 - العنترى محمد الصالح، *فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة*، تعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 18

من مدنه الساحلية عنابة، ستورة، القالة، والداخلية منها سطيف، بسكرة، وفي كل هذه المدن تتواجد حامية عسكرية برئاسة الآغا (CANO, 2010: 121) بهدف تمتين الوجود التركي وفرض الأمن، ولتحقيق هذا الغرض تمت الاستعانة بشخصيات محلية ذات نفوذ واسع لإدارة بعض المناطق من هؤلاء شيخ بني عباس أحمد أمقران الذي تولى مجانة، الحصنة، الزاب، بسكرة وأولاد نايل، أما شيخ الحنانشة فتولى شؤون مدينة سوق أهراس، القالة، قالمة وتبسة. (MERCIER, 1868: 143)

يكتسي الإقليم أهمية إستراتيجية واقتصادية للجزائر بمساحته الواسعة وخصوبة أراضيه الوفيرة المنتوج من قمح، زبدة وعسل وبكميات كبيرة جعل موانئ المقاطعة الشرقية تعرف ازدهارا تجاريا من خلال تصدير هذه المنتوجات. (DE PRIMAUDAIE, 1860: 93)

1-1-3/بايلك الغرب

يعتبره المزارعي ثاني الأقاليم مرتبة، وذلك لأن الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية، عاصمته الأولى كانت مازونة وأول باياتها حسن بن خير الدين⁷، هذا البايلك له حدود مع ساحل البحر الأبيض المتوسط من الشمال، ومن الشرق مقاطعة الجزائر، ومن الجنوب جبال الأطلس ومن الغرب مملكة فاس. (CANO, 2010: 126)

مع سنة 1701 نقلت العاصمة إلى معسكر وتعود دوافع هذا التغيير إلى أن مدينة معسكر منطقة إستراتيجية لتحكمها في المسالك التجارية، ضف إلى ذلك أن

7- المزارعي بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجز 01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1990، ص 270.

المدينة كانت محاطة ومحمية من طرف قبائل بني راشد الموالية للأتراك⁸، لكن بتحرير مدينة وهران وطرد الإسبان منها نهائيا سنة 1792م من طرف فاتحها الباي محمد الكبير⁹ حولت العاصمة إليها، ومن المدن الأخرى للبايلك مدينة مستغانم، تلمسان وتتنس.

انتهجت السلطة التركية بهذا البايلك سياسة اتسمت بطابع عسكري في حكم الإقليم نتيجة اضطراب العلاقة مع المغرب الأقصى والحملات المتكررة لهذه الأخيرة على المقاطعة الغربية محاولة ضم هذه الأراضي إليها، زد إلى ذلك خطر الإسبان المتواجدين في مدينة وهران، وما شكلته الثورات الداخلية أواخر الفترة العثمانية كثورة درقاوة التي زعزعت الوجود العثماني بالجزائر. (سعيدوني، النظام، 1979:29).

تسيير دار السلطان إضافة إلى البايلاكات الثلاث، كان بإشراف جهاز إداري مكون من مجموعة الموظفين السامين والثانويين، لكل واحد مهامه واختصاصاته. بداية سنتطرق إلى التنظيم الإداري على مستوى السلطة المركزية، ثم على مستوى السلطة المحلية.

2/التنظيم الإداري على مستوى السلطة المركزية

الديوان: يعود إنشاء هذه الهيئة الإدارية إلى خير الدين بربروس، وهو مكون من مجموعة أعضاء نذكر منهم الباشا، الخليفة والموظفين السامين في الدولة.

8 - الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص22.

9 - الباي محمد الكبير: تولى سنة اثنتين وتنتسعين ومائة وألف (1778)، كان من أهل البلاغة، رجلا جسيما بالتجدير أسمر اللون، محبا للعلماء، كثير الغزو على أهل الصحراء، وصل المواضع التي صعبت على غيره وأعظم فتوحاته فتح مدينة وهران. انظر (المزاري، 1990: 129)

(BOUABA, 1972: 29) ففي بداية عهد الأتراك بالجزائر لم يكن الديوان مؤسسة قائمة بذاتها، وإنما كان عبارة عن مجلس للشورى يجمع الأتراك وأعيان المدينة¹⁰ ولعلّ تقريب الأتراك للعنصر المحلي في هذه الفترة يرجع إلى اهتماماتهم المشتركة ضد الخطر الخارجي، فالجانب العسكري كان أولى أولوياتهم خلال هذه المرحلة التاريخية.

وصل عدد أعضاء الديوان الكبير إلى الألفين عضو (مروش، 2009: 217) ما نتج عنه فوضى عارمة أثناء اجتماعاته، استدعى تغييره بالديوان الصغير ليتمّ النظر في الأمور المطروحة بسرعة ويسهل اتخاذ القرارات¹¹، هذا الإصلاح قام به علي آغا، الذي جعله مقتصرًا على الموظفين السامين والخوجات الأربعة وآغا الإنكشارية والكاهية وأربعة وعشرون آياباشي وأربعة وعشرون بولكباشي وأربعة وعشرون أوضباشي (محرز، 2011: 111)، وانظم إليه القاضيين الحنفي والمالكي، وحتى سكان المدينة كان لهم ممثلين عنهم. (قنان، معاهدات، 2010: 292)

ولفرض النظام أثناء اجتماعاته فرضت شروط صارمة على أعضائه، إذ منع شرب الخمر قبل الجلسة، كما منع حمل السلاح، فبداخل الديوان كانت تتشكل فرق منهم رياس البحر الذين بيدهم قرار السلم والحرب، كما تتبثق عن الأوجاق جماعات مسؤولة على اغتيال أحد الأغوات أو الوزراء. (وولف، 2009: 129)، فالديوان في أحيان كثيرة كان مكانا لتنفيذ خطط الانقلاب على الأغوات باعتبار أعضائه من طائفة الإنكشارية التي أصبح نفوذها خلال هذا العهد في تنامي، وهذا ما ظهر في النهاية الدموية التي آل إليها كل الأغوات.

10- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2010 ، ص290.

11- D'ARVIEW CHEVALIER, *Mémoire du CH Arview ;envoyez extra ordinaire du roi a la porte consul d'Alger, de tripoli*, T 05 ,éd Charles Jean Baptiste, Paris, S D, p21.

أما عن سير جلسات الديوان، فكان الآغا هو من يقترح موضوع المداولة، إذ يجلس الأعضاء في هيئة صفين أو متجاهين، حتى يتمكن كل عضو من الإدلاء برأيه أما في حالة القضايا المستعجلة، فيطلب من كل الأوجاق حضور الاجتماع.

كانت أيام الاجتماع، تعقد كل الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء والجمعة والأعياد ففي الفترة الصباحية يختص في النظر إلى شكاوي السكان والفصل فيها، أما فترة الظهيرة فيهتم بشؤون الدولة واستقبال القناصل. (سامح أتر، 1989:13)

ففي فترة البايليريات كان المجتمعون في نهاية اليوم يتوجهون إلى البايليري حتى يعرضوا عليه نتائج اجتماعاتهم¹²، وهذا يجعلنا نستنتج القوة التي كان يتمتع بها الديوان على الباشا نفسه. فهو ذو سلطة نافذة على البايك حيث يستطيع تثبيت وعزل الباي خلال تقديمه للدنوش¹³ ومن مهامه الأخرى التجديد السنوي للوظائف في المناسبات الدينية، وذلك بتجديد الثقة في الباشا الحاكم والباسه الخلعة السلطانية، كما يمكنه إنهاء مهامه ومنحها لآخر.¹⁴

نستشف من وراء هيمنة الديوان في فترة الباشوات رفض هذه الهيئة مبعوث الباب العالي، ما تسبب في انقطاع الصلة، ورغم اعتراف أعضاء الديوان بخطئهم

12 - قتان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1830.1500، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 44.

13 - شارف رقية، تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 03، الجزائر، 2011، ص 142.

14 - بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 18.17، رسالة ماجستير، جامعة وهران. 2002.2003، ص 5.

لدى الصدر الأعظم إلا أنه لم يغفر لهم إلا بموت هذا الأخير. (الميلي، 1964: 39) ومع سنة 1711 اختفى الديوان الصغير واستبدل بمجلس الموظفين الكبار التي تلخصت مهامه في الاحتفال بالأعياد الدينية وتوزيع أجور الإنكشارية. (سعيدوني ، النظام، 1979: 14)

ما نخلص إليه أن الديوان منذ عهد البايالرييات، الباشوات وحتى الأغوات برز كمؤسسة مهيمنة ومسيطرة صاحبة الحل والعقد، لتبدأ هذه الأهمية في التلاشي خلال أواخر عهد الدايات وهذا ما أشار إليه "شالر" في قوله: «قبل عهد الدايات كان الديوان الجهاز الحقيقي ذا القرارات النافذة لكن مع مرور الزمن أصبح مجرد شبح ومع انتقال مقر الحكم إلى القصبة أصبح وجوده صوريا»¹⁵ فتقلص دوره خلال هذه المرحلة المتأخرة لا يعكس إلا الهيمنة والسيطرة التي أضى عليها الدايات الذين فرضوا آرائهم، وتحكموا في شؤون الإيالة الداخلية والخارجية.

ب/ الجهاز الإداري للسلطة المركزية

1- الموظفون السامون في الدولة:

الخنزاجي: يتم تعيينه من طرف الدايات والديوان، من الشروط المعتمدة في توظيفه أن يكون تركيا مخلصا ومواليا حتى وإن لم يكن كفاء أو متعلم (سعيدوني، ورقات، 1999: 200) وللأهمية والحساسية التي يكتسبها هذا المنصب

15 - شالر وليام ، منكرات وليام شالر فنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تر. إسماعيل العربي،

الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 42.

جعله المرشح رقم واحد لتولي وظيفة الداي، وذلك ما تم فعلا بموت الداي علي شاوش سنة 1718 (سعيدوني، النظام، 1979: 173)

حظي هذا الموظف بصلاحيات واسعة، فهو من يحمل مفاتيح الخزينة ويحرص على جلب المال اللازم ودفع جرايات الجند. (DE PARADIE, 1898: 66) فهو بذلك قد أشرف على القلب النابض للإيالة، ومتابعة مصادر الدخل والتصرف في الأموال التي يجب إنفاقها (سعيدوني، النظام، 1979: 170) والوحيد الذي يسمح له بدخول الخزينة بينما مفاتيحها فالداي هو من يحتفظ بها.

الخزينة لا تحتوي الأموال فقط، وإنما توضع فيها البنادق والجواهر والأحجار الكريمة (PARADIS, 1898: 107) كما يقدم الخزناجي للداي وقت الدنوش كشفا بالأموال التي وضعها في الخزينة أو ما يعرف بتذاكر الخلاص. (الزهار، 1980: 29)، يساعده في مهامه موظفين من الحضرة واليهود لإحصاء الأموال المزيفة من الحقيقية. (DE PARADIS, 1898: 107) وأربعة كتاب مهمتهم كتابة مجموع الأموال التي يعلنها بصوت عال في جلسة الديوان¹⁶ فالخزناجي كان يحظى بهدايا معتبرة من البايات وقت الدنوش ومن جملتها ما أورده الزهار في قوله: "يحصل على مقدار ألفي دورو مع أثاث ومصوغ وخيل وعبيد وكسوة وحياء ويرانس وشمع وعسل وأرز من غير حصر." (الزهار، 1980: 41).

بيت المالجي: من الموظفين السامين في الدولة، من اختصاصه النظر في الأملاك والثروات التي ترجع إلى الدولة بعد وفاة أصحابها دون ترك وريث شرعي. (سعيدوني، ورقات، 1999: 200)، فأهم أعماله الإشراف على كل ما يتصل

16- PICQUIT, CH, *Aperçu Historique Statistique Et Topographique Sur L'état d'Alger*, deuxième édition, PARIS, 1830, p154.

بالوفيات،مراسيم الدفن وحراسة القبور،وبما أن المقابر خارج المدينة فانه يضع موظف عند كل باب من أبوابها ليمنحهم رخصة بالدفن.(DE TASSY,1725:159)

ولعل الغرض من ذلك التأكد من هوية المتوفي،لأن السكان كانوا كثيرا ما يخفون أموالهم عن السلطة الحاكمة خوفا من انتزاعها أو فرض الضرائب الباهظة عليهم،كما يحافظ هذا الموظف على حقوق الدولة والورثة،ويشرف على توزيع الصدقات على الفقراء كل يوم خميس،وصيانة المؤسسات الدينية (سعيدوني،ورقات،1999:229)،وهو بذلك يشكل مصدر دخل هام للخزينة،يساعده في مهامه الوكيل إضافة إلى موثقين يعرفان باسم العدول يعينان من طرف الداي (خوجة،2006: 110).

خوجة الخيل: يحتل المرتبة الثالثة في السلم الإداري للموظفين،مسؤول عن الخيول الخاصة بالجيش كما له الإشراف على الضرائب العينية من الحيوانات وغيرها(بن جبور،2002:22)، وتحت إشرافه المباشر رعية من عرب الصحراء وهم نجوع منهم نجع رحمان ونجع الزناخرة يدفعون له الخراج والزكاة،وله قائد يسمونه قائد العرب ومستقره بالمتيجة. (الزهار،1980:49) فهو يمول موظفي الدولة بالمواد الغذائية،كما يتسلم من قياد القبائل الرعوية الأغنام والزبدة،ومن سكان الجبال الشمع والعسل. (سعيدوني،ورقات،1999:227)فهو يراقب السلع الواردة إلى دار السلطان سواء من القبائل أو ما يجلب من الغزو البحري،يساعده في ذلك خوجات لضبط هذه السلع في سجل خاص. (PICQUIT,1830:155) فهو المسؤول

المكلف بإدارة شؤون البايلك وجمع الضرائب وتمويل موظفي الدولة ووسيطا بين الحكومة وعشائر المخزن¹⁷.

وكيل الخرج: ومن تسمياته أيضا وكيل خرج باب الجزيرة (DEVOULX TACHRIFAT;1852:28). يختار من طرف الداى عادة يكون كبيرا في السن وسبق له العمل في المؤسسة البحرية. (SHAW,1830:172) فهو المسؤول المباشر عن الشؤون البحرية في الإيالة، من اختصاصاته الأخرى مراقبة وحساب العتاد الحربي ومتابعة الأشغال في الميناء، كما يتولى الإشراف على صناعة السفن وتوزيع الغنائم (سعيدوني، ورقات، 1999:227) وسرعان ما ازداد نفوذه، فأصبحت صلاحياته تشمل النظر في العلاقات الخارجية، مما جعل القناصل والتجار الأجانب يتقربون ويتوددون إليه أكثر من الداى نفسه حفاظا ورعاية لمصالحهم.

يعمل تحت أوامره القبطان، قائد الميناء والرياس و12 بولكباشيا يحملون مفاتيح المخازن. (DE PARADIS, 1898 :118) فوكيل الخرج بدأت مكانته تتضاءل وتتقهقر بسبب ضعف النشاط البحري ومنافسة الانكشارية التي أصبح الحكم بيدها، فقيمة الوظيفة ومكانتها ارتبطت بنشاط عمله ومدى ازدهاره.

آغا العرب: يحتل مرتبة هامة في السلك الإداري للموظفين، فهو قائد فرق الانكشارية وفرسان المخزن. (سعيدوني، ورقات، 1999:228) كما يعتبر أقدم جندي في الميليشيا والمسؤول الأول عن الجيش الانكشاري، من مهامه عقاب المخالفين من الجند وفي سرية تامة حتى وإن أحييت القضية على الباشا فانه يحولها للآغا

17 - سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص50.

حتى يفصل فيها، وقد توسعت صلاحياته لتجمع بين الأمور التي تتصل بالأمن وتتعلق بشؤون الجيش وبين النظر والتصرف في شؤون أوطان دار السلطان (سعيدوني، ورقات، 1999: 274).

كما يتولى كبح أي حركة عصيانية اتجاء السلطة من أمثلة ذلك قيام أحد الأغوات بحملة تأديبية لقبائل بني العباس سنة 1823. (DEVOLUX, TACHRIFAT, 1852: 52) فالموظفون السامون يحضون بمكانة مرموقة في السلم الإداري للإيالة باعتبارهم المرشحين الأساسيين لتولي وظيفة باشا الجزائر.

2- فئة الموظفون التابعون

يعتبرون موظفون من الدرجة الثانية يأتي في مقدمتهم الكتاب الأربعة الذين يعينون من طرف الداى لكتابة وتدوين كل التقارير التي تخص الإيالة (PICQUIT, 1830: 153) ويلقبون بالخوجة، مهمتهم لا تتعدى إرسال الرسائل والجوازات والأوامر والتسجيل والاحتفاظ بالوثائق المتعلقة بشؤون الدولة مثل معاهدات السلم وسجلات المجندين، فهم يقومون بوظيفة الكتاب في كل ما يتعلق بوزارة القلم. (قنان، نصوص، 1987: 179).

الكاتب الأول (الباشا مقطعي)¹⁸: هو رئيس الكتاب والمسؤول على السجل الذي يحتوي القوانين العسكرية وأسماء ودرجات المجندين¹⁹، إذ اختص بالإشراف على الجهاز العسكري، وباعتبارها المؤسسة الحساسة ذات الأهمية البالغة في الإيالة لذلك اشترط على من يشرف على سجلها أن يكون عالماً بالحسابات

18- مقطعي: مصطلح مالي يطلق على الموظف المكلف بأمر المقاطعة، انظر بركات مصطفى ،

الألقاب والوظائف العثمانية 1924-1517، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص 119.

19- حمدان بن عثمان خوجة، امرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006،

والمسائل الفقهية، ولمكانته المتميزة أطلق عليه لقب "أفندي"²⁰، ومن اختصاصاته الأخرى فرض الضرائب والحفاظ على السجل الرئيسي للدولة.

الكاتب الثاني: (الباش دفترجي)²¹ يكلف بتسجيل مصادر دخل البلاد من الضرائب والرسوم العينية (سعيدوني، ورقات، 1999: 231) ويلقب بوكيل الخرج الكبير، يهتم بمخازن الإيالة ويحمل مفاتيحها. (DE PARADIS, 1898: 117).

الكاتب الثالث: يشرف على سجلات مداخل الدولة من غنائم الغزو البحري (DE TASSY, 1725: 234)

الكاتب الرابع: (رقمنجي) يتولى كل ماله علاقة بالشؤون الخارجية للدولة حيث يدون الشكاوي التي يتقدم بها القناصل حتى يتم الفصل فيها لاحقا من طرف الداى. (PICQUIT, 1830: 153)، فهؤلاء الكتاب لا يسمح لهم بالتغيب خلال ساعات العمل، يساعدهم فقط معاون واحد يتقن اللغة التركية والآخر للغة العربية (قنان، نصوص، 1987: 179) وذلك حتى يستعين بهم في مراسلة البايات والقياد، إضافة إلى الترجمان الذي عليه مراقبة وتصحيح الكتابة.

فمناصب الكتاب الأربعة كانت مربحة، فبالإضافة إلى الأجرة التي يتقاضونها كان لهم نصيب من هدايا البايات وقت جلب الدنوش. (الزهار، 1980: 143)

20- أفندي: لقب فخري وتعني صاحب المالك والسيد والمولى، استعمل هذا اللقب في الجيش العثماني كلقب للضباط. أنظر (بركات، 2000 : 151).

21 - دفترجي: من الكلمة اليونانية دفتيرا أي جلد الحيوان، فالدفتر دار لغويا هو صاحب الدفتر أو حافظ السجلات وتعني أيضا كبير المحاسبين، أهم اختصاصاته الإشراف المالي وتحصيل الضرائب. انظر (بركات، 2000 : 117، 119).

أ- فئة الخوجات

يعتبرون من صنف الكتاب، لكن يتولون أعمالاً ذات طابع اجتماعي واقتصادي يصل عددهم إلى ثمانين خوجة كل خوجة يختص بشأن معين (De Tassy, 1725: 287) هذا المنصب كان يشتري بالمال من خوجة القصر، غير آخذين في الحسبان ثقافة الشخص التي تؤهله لتولي مثل هذا المنصب. (سعيدوني، ورقات، 1999: 232) من هؤلاء نذكر خوجة العيون يتكلف بالمنشآت المائية وتصليح قنوات المياه، وخوجة الرحبة يشرف على ضرائب الحبوب في الأسواق، وخوجة الملح الذي يتولى شراء وبيع الملح بالتجزئة. (DEVOULX, 1852: 30) إضافة إلى خوجة الجلد، الزيت، ومن الخوجة اثنان يبقون عند أبواب المدينة والاثنان الآخرا يبقون تحت تصرف الداى لتلبية طلباته. (PICQUIT, 1830: 155).

ب/ فئة القياد

أطلقت هذه اللفظة على أكثر من موظف، وجرى عادة إطلاقه على كل من يمارس شأنا من شؤون الحكم، انحصرت مهامه العسكرية قيادة فرق الجيش في حالة الحرب والسلم²²، حيث كانوا يخرجون على رأس المحلات لجباية الضرائب وتأديب القبائل العاصية، فهم إذن يشكلون أهم دعائم السلطة من الناحية الأمنية والاقتصادية، ومن هؤلاء الموظفين قائد الزبل الذي يشرف على الكناسين ويحافظ على نظافة المدينة. (سعيدوني، ورقات، 1999: 235).

22- شريدي سعيد ، تطور وظيفة القايد في الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة

2005 - 2006 ، ص 36.

ج- فئة الموظفون الاجتماعيون

الشواش: وهم إثنته عشر تركيا يبقون عند باب قصر الداى تحت رئاسة باش شاوش لا يحملون السلاح، يتميزون بلباس ذو لون أخضر ويقودون أصحاب المظالم إلى الداى عندما ينادون بعبارة "شرع الله"، ويتولون القبض على المخالفين وإحضارهم للداى. (CANO,2010: 107).

الطباخين: يسمح لهم البقاء فى القصر لخدمة الداى (CANO,2010: 93) ومنهم رئيس الطباخين "أنشي باشي" يهتم بمائدة الباشا اليومية ويتذوق الأكل قبل أن يتأوله الباشا كاحتياط خوفا على حياته من الموت مسموما. (DEVOLUX, TACHRIFAT,1852:29).

يعتبره "دوبرادى" شخصية قوية قد يتدخل فى بعض الأحيان لتتصيب الداى الذى يراه مناسبا لتولى السلطة وهو من يعلن عن وفاته فى حالة الموت الطبيعى (DE PARADIS,1898:105)، وهناك عدد منهم ارتقى إلى منصب الداى من هؤلاء الداى أهشى مصطفى سنة 1700²³.

شيخ البلد: يحرص على مراقبة أصحاب الحرف كالخياطين وهو من يحدد الضرائب التى تدفع كل شهرين إلى الخزينة. (DEVOLUX, TACHRIFAT,1852:33) كما يفصل فى النزاعات التى قد تحدث بين الحرفيين، فهو بذلك يرتبط بعلاقة مباشرة مع الداى بحكم قربه من دار الإمارة.²⁴

23- SHUVAL TAL, *La Ville d'Alger Vers La Fin Du 18 Siècle*, éd CNRS, Paris, 1998, p 72.

24- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1830.1700 مقاربة اجتماعية اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، صص 63 - 64 .

المحتسب: يسهر على مصلحة السكان من صيانة الشوارع وتنظيم حركة مرور الدواب فيها ويراقب الأسواق وجودة البضائع. (غطاس، 2007: 63-64)

المزوار: يحرص على الأخلاق والحفاظ على العلاقات الاجتماعية، ومراقبة النساء اللاتي يمارسن الدعارة إذ يبقين تحت رقابته ولا يسمح لهن بالخروج إلا برخصة ويقدم في الصباح تقريراً للداي عن الوضع الأمني للمدينة خلال الليل. (PICQUIT, 1830:157).

2-2/ الإدارة المحلية

الإدارة المحلية برئاسة البايات لا تختلف كثيراً عن الإدارة المركزية، إن لم نقل هي صورة مصغرة عنها، فالباي له موظفون سامون وآخرون ثانويين يشرفون على تسيير أمور البايك المختلفة، فالباي سيد مقاطعته، يعين من طرف الداي لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد. سنخص صاحب هذا المنصب ومهامه بدراسة مستفيضة كما سيأتي لاحقاً في الفصل الرابع.

2-2-1/ المساعدين الرئيسيين

الخليفة : يأتي في المرتبة الأولى بعد الباي، وهما خليفتان أحدهما ينوب عنه في الخروج إلى الرعية لأخذ مال الدولة، والآخر خليفة الكرسي ينوب عنه في حال غيابه، مكلف بالامتثال أمام الداي كل ستة أشهر (الزياني، 1978: 190) لدفع الدنوش الصغير إلى الداي، وهو من يشرف على أوطان البايك من خلال تعيينه للقياد، وحرصه على تحصيل الضرائب من قبائل البايك.²⁵

25- Vayssettes E, *Histoire Des Derniers Beys De Constantine*, in R A, N°03, 1858, p 111.

الخنزاجي (الخنزدار): يكلف هذا الموظف السامي في البايك بإحصاء جميع الأموال التي تدخل الخزينة (VAYSSETTES, 1858: 112)، فالأصل التركي في تعيين الخنزاجي لم يكن شرطاً إجبارياً، فقد جعل الباي محمد الكبير باي المقاطعة الغربية أحد أسراه وهو "تدينا" خزنداراً له، يؤكد هذا الأخير أن وظيفة الخنزاجي صعبة حساسة ومربحة وقد جاء في مذكراته قوله: "... من واجبه أن يعلم بقيمة الذهب والفضة المزورة، ومن واجبه أن يدور ويزن ويحسب كل الذي يقدم إلى الباي وبواسطته يتم تعيين الموظفين بعد دفع مبلغ من المال" ²⁶.

فالفساد الإداري لم يعم السلطة المركزية فحسب فحتى بقية الأقاليم انتشرت بها ظاهرة الرشوة التي حالت دون تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب.

آغا الدائرة: يتولى هذا الموظف قيادة فرسان المخزن، ففي باييك الشرق يشرف على تسعة وثلاثون قبيلة، كما يدخل في جملة اهتماماته إخضاع القبائل المتمردة (VAYSSETTES, 1858: 112) ويرافق آغا الدائرة الباي إلى مدينة الجزائر لدفع الدنوش كل ثلاث سنوات، واستخلاص الضرائب، كما يوكل إليه الداوي مراقبة البايات، وتقديم تقرير عن نشاطهم، ومن اختصاصاته الأخرى تنصيب هؤلاء بعد تعيينهم من طرف الداوي، وتنفيذ أوامر العزل الصادرة في حقهم. (سعيدوني، وركات، 1999: 244) وبذلك فهذا الموظف يتمتع بمكانة هامة في البايك، وتكاد سلطته تعادل سلطة الباي نفسه.

26- عميرايوي أحمدية، *الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر في العهد العثماني*، مذكرات تدينا نموذجاً، دار

الهدى، الجزائر، 2009، ص 43 - 45.

قائد الدار: بمثابة قائد الشرطة يتولى تحديد عشور الحبوب ويشرف على الموظفين في المساجد، ويراقب النقابات الحرفية، عن طريق أمين النقابة، (VAYSETTES 113_112:1858)، كما ينوب الباي في تسيير البايك عند غيابه ويتصرف في مرتبات الجند ويوزع عليهم المؤونة شهريا²⁷، ومن الموظفين التابعين في البايك نذكر الباش كاتب الذي يتولى كتابة رسائل الباي وإليه يعود إمساك دفاتر وأملاك الدولة كما يراقب رسائل الكتاب الذين هم تحت مسؤوليته المباشرة. (VEYSETTES, 1858 :112)

الباش سيار: يختص بإيصال بريد الباي إلى الباشا فهو إذن أمين سره وذلك لحساسية المهمة الموكلة إليه. (AUCAPITAIN ET FEDERMAN, 1867:296)

آغا الدواير: لا يتولاه من الناس إلا من كان من أهل البيوتات الكبار فوظيفة الآغا لا يتحصل عليها إلا من يدفع مبلغا وافرا من المال، وهو الذي ينظر في أمر الشكاوي ثم يعرضها على الباي لتنفيذ العقاب المناسب للمخالفة (المزاري، 1990: 272) بالإضافة إلى مجموعة من الشواش منهم باش مكاحلي الحرس الشخصي للباي، والباش سايس يختص برعاية خيول الدولة، ونذكر أيضا الباش سراج، الباش قهواجي. (المدني، محمد، 1986:143)

27- المدني أحمد توفيق، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766.1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص143.

فئة القياد:

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر قائد السوق أو مفتش الأسواق الذي يحرص على جودة السلع، وقائد الزيل، يهتم بنظافة الشوارع وقائد القصبة (المزوار) هو الآخر يتولى الحراسة في الليل وإقرار الأمن ومتابعة المجرمين إضافة إلى البرّاح، الذي ينادي في الناس بالأسواق والشوارع ليعلم الرعية بأوامر الباي.

وبهذا لا نكاد نجد اختلافا بين موظفي دار السلطان وموظفي البايلاكات الثلاث. إلا في أهمية المنصب باعتبار أن دار السلطان تمثل مركز الحكم ومقر البشوات والقناصل. أما فالباي مع هؤلاء الموظفين يسيرون شؤون الرعية، لكن استئجاب الأمن وضبط التمردات فمن اختصاص قبائل المخزن التي تتمتع بمكانة هامة في سلم التنظيم الإداري، باعتبارها الواسطة بين السلطة المركزية والقبائل الموزعة في الداخل.

القبائل المخزنية

المخزن كلمة مشتقة من "خزنة" وهو المكان الذي يخزن فيه المال أما مفهومها اصطلاحا، فهي عبارة عن تجمعات تعميرية اصطناعية مختلفة في أعراقها، فمنها ما أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سدا لهم ومنهم من أعطيت لهم أراضي، ومنها من استخدم كأفراد ومتطوعين ليؤلفوا جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة²⁸، وإنشاء قبائل المخزن كان ضرورة

28- سعيدوني ناصر الدين، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7. 8، تونس، 1977، ص 75.

ملحة للأتراك، فهم من يعتمد عليهم في محلات جمع الضرائب عن القبائل فكل بايلك من البايلاكات الثلاث إضافة إلى دار السلطان إلا وتشكل قبائله المخزنية قوة عسكرية لا يستهان بها في مساعدة الجيش النظامي الانكشارية، فبايلك قسنطينة من خلال مخزن الحراكمة الذي يضم أولاد سعيد، وأولاد خنفار وأولاد عومارة تتبثق عنهم 32 قبيلة صغيرة فهم يوفرون للسلطة ما بين 300 إلى 4 آلاف فارس، أما مخزن زمول فقد تصل قدرتهم العسكرية إلى 500 فارس، أما قبيلة أولاد عبد النور وهي من أكبر قبائل بايلك الشرق تساهم بألف فارس يتزعمه قائد تركي.²⁹

أما بايلك التيطري فيعود إلى الباي مصطفى الوزناجي تنظيم المخزن به، المكون من قبائل زمول، عبيد ودواير (Aucapitaine et Ferderman, 1865:286) أما بايلك الغرب حسب المزاري فهو خمسة أعراش هم الدوائر الزمالة، الغرابية، البرجية والمكاحلية، فالمخزن أهل جرة ورأي وتدير. (المزاري، 1990:331)

يتضح من العبارة الأخيرة أن قبائل المخزن كانت تستشار في شؤون البايك، خاصة ما تعلق بخوض المعارك أو السير في حملات لتأديب القبائل المتمردة، فهذه القبائل مجتمعة، ومن خلال ما توفره من قوة عسكرية شكلت سندا داخليا للحفاظ على سلطة الأتراك، خاصة بعد انخفاض عدد المجندين أواخر القرن الثامن عشر إلى أقل من 4 آلاف رجل. (سعيدوني، ورفات، 1999: 261)، كما كانت سدا منيعا أمام الثورات والانتفاضات المعادية للحكم العثماني ولا سيما في أواخر عهده في الجزائر.

29- Louis Rinn, *le royaume d'Alger sous le dernier dey*; R A , N°42, Alger, 1898, pp130_131.

مقابل هذه الخدمات كان المخزن يتمتع بامتيازات مشجعة، فكل من يريد الانضمام إليه كفارس يسجل نفسه حيث يمنح له حصان وبندقية، تعود بوفاته إلى الحكومة. (Aucapitaine et Ferdermaine, 1867, 358)، كما يسقط عنهم حق دفع الضرائب ما عدا العشور والزكاة التي كانت تدفع عينا من إنتاج الأراضي، في حين القبائل الأخرى ونقصد بها تلك القبائل التي لا تنتمي إلى المخزن فكانوا يدفعون الغرامة نقدا وهذا ما زاد وضعها سوءا لأنها في غالب الأحيان تضطر على بيع إنتاجها بثمن بخس لتسديد ما عليها من إتاوات، وإلى جانب هذه الامتيازات منحوا أراضي زراعية لاستغلالها حيث يتم توزيعها على أفراد العشيرة، لكن لم تكن لهم حقوق الملكية لأنها أراضي تابعة للبايلك. (سعيدوني، وضعية، 1977: 70). فهؤلاء الفرسان شكلوا قوة داعمة للنفوذ التركي في الجزائر، وعن رواتبهم فكل فارس يتقاضى ما قدره ثمانية فرنكات شهريا، بينما شيخ القبيلة فأجرته تصل إلى خمسة وعشرين فرنكا شهريا.³⁰

توزعت هذه القبائل المخزنية على مناطق إستراتيجية في البايك، وذلك حتى تتمكن من تأدية المهمة التي أنشئت لأجلها، من شن الهجمات على القبائل العاصية والتصدي لأخرى وحتى يكون تدخلها سريعا وفعالا، تركزت حول الأبراج حيث تقيم الحاميات العسكرية، وذلك لتكون على أهبة الاستعداد لخوض المعارك. (BOUDICOUR, 1853: 287)

كما اعتبرت الأسواق أماكن هامة، باعتبارها ملتقى لتجمع القبائل المختلفة قصد البيع والشراء، إذ خلالها يتمكن قادة المخزن من مراقبة أفراد القبائل العاصية

30-ROBIN, Note Sur L'organisation Et Administratives Des Turcs Dans La Régence Kabylie, in RA, N°17, 1873, p119.

ورصد الحاضرين والمتغيبيين. (سعيدوني، وركات، 1999:268). ومن ثم يستطيع القبض على أفراد القبائل المتمردة على السلطة حتى يرجعها إلى صفهم بجعلهم رهائن لن يطلق سراحهم إلا بتقديم الولاء والطاعة، فتحصل على مرادها دون إراقة الدماء وخوض المعارك، كما استقرت القبائل المخزنية على مقربة من طرق المواصلات والمسالك المهمة في المدن الكبرى كمدينة وهران، معسكر وقسنطينة (سعيدوني، وركات، 1999:269). بما أنها أهم المدن التي تتركز فيها النشاطات الاقتصادية ولأنها تشكل همزة وصل مع المدن الأخرى في الداخل.

فالمخزن رغم أنه شكل دعامة أساسية للسلطة العثمانية بالجزائر من خلال خدماته، إلا أنه من جانب آخر شكل نقمة على الرعية التي أرهقتها الضرائب الثقيلة، مما انعكس سلبا على وضعيتها الاجتماعية التي ازدادت تدهورا مع أواخر الفترة العثمانية، رغم ذلك لا نستطيع التغافل عن مساهمة هذه القبائل في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، ومعاقبة القبائل الموالية لهم من بني عامر ووقوفها حصنا منيعا أمام الثورات الداخلية كثورة ابن الأحرش ببايلك قسنطينة، وثورة درقاوة ببايلك الغرب (سعيدوني، وركات، 1999:271)، فهذه الثورات المتتالية كادت أن تعصف بالعثمانيين وهددت وجودهم خاصة ثورة درقاوة التي استمرت ثمانية سنوات، خلفت خلالها آثارا خطيرة على المقاطعة الغربية للبلاد.

2/ القوة البرية "الانكشارية"

المؤسسة العسكرية في الجزائر بشقيها البري والبحري، جعلت الإيالة تتبوأ مكانة هامة في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة بعد أن كان هدفهم الأساسي الجهاد ومقارعة الأعداء، فالانكشارية برزت نواتها الأولى في تلك القوة التي بعث بها السلطان العثماني سليم الأول لدعم خير الدين في وقت كان الجزائريون

يتخبطون في ظروف صعبة، لتزداد هذه الفئة عددا ونفوذا بعد أن سمح سلاطين آل عثمان بتجنيدهم من الأراضي العثمانية، وفي هذا الصدد سنبرز التنظيم والتطور الذي مرت به هذه القوة ومكانتها في الجزائر خلال العهد العثماني.

2-1/ الانكشارية أصلها وتجنيدها

يطلق على الانكشارية³¹ مصطلح الأوجاق³²، وهو بدوره يدل على ثلاث معان منها أورثة وهي الوحدة العسكرية، كما يدل أيضا على الجيش النظامي، وفي أحيان أخرى يشير إلى الإيالة (حماس، 1988: 97)، أما عن أصلهم فأغليبتهم من الأتراك العثمانيين، وما يؤكد ذلك سجلات تجنيد الانكشارية التي توصل من خلالها "Colombe" إلى اعتبار الأناضوليين هم الغالبية المكونة للانكشارية بالجزائر، إضافة إلى أعراق أخرى من ألبانيا، البوسنة، قبرص ومن جزيرة رودس. (SHUVAL, 1998: 59).

كل الكتابات التي تطرقت إلى هذا الموضوع قد أقصت الجزائريين من العمل العسكري في المؤسسة البرية، إلا أن هذه الأحكام المسبقة يجب تفاديها لأن العنصر المحلي كان منتما للأوجاق، وهذا ما أشار إليه "جمان قنان" بضرورة التخلص من الفكرة المسبقة والتي مفادها أن الأوجاق عناصر تركية لا وجود للعنصر المحلي بداخلها. (قنان، معاهدات، 2010: 294)، فمن خلال الدراسة التي قام بها "shuval" بالاعتماد على وثائق أرشيفية فنّد هذه الفكرة والأكثر من ذلك أثبت أن المنخرطين من السكان لم يكونوا

31- الانكشارية: كلمة تركية مكونة من "يني" بمعنى جديد و "جيري" بمعنى المعسكر، إذن هي تعني العسكر الجديد، وقد أنشئت في عهد السلطان أورخان 1326، عندما سحب فرقة منهم إلى الشيخ بكتاش ليباركها، حيث وضع يده على أحدهم وقال "أن هذه القوات ستعمل اسم "ينيجري" انظر: (بركات، 2000: 175).

32- الأوجاق: كلمة تركية لها عدة معان منها كل تتفخ وتشعل فيه النار، وأطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد، كما أطلق على صنف من الجند وهم فرق من العساكر في الجيش الانكشاري، انظر سهيل (صابان، 2000: 46).

من مدينة الجزائر فقط وإنما من مدن أخرى وهذا ما تبينه أسماء المدن التي ارتبطت بأسمائهم وكأمثلة عن هؤلاء "قدور اوضباشي العنابي"، محمد يولداش الشرشالي" (63: 1998, SHUVAL)، وبالنظر إلى الإحصائيات والنسب التي أوردها "shuval" خلال القرن الثامن عشر أكد أن ما بين سنة 1699-1701 شكل العنصر المحلي نسبة 12,5%، أما من سنة 1786-1792 انخفضت النسبة إلى 9% لتعرف ارتفاعا مع أواخر القرن الثامن إلى 18%. (SHUVAL, 1998: 69).

يتم تجنيد الانكشارية في أزمير حيث يستعمل وكلاء التجنيد أسلوب الترغيب بمنحهم الطعام مجانا وبعض الأموال وذلك لإعلاء همّتهم وإقناعهم بالخدمة في الجزائر. (57: 1898, PARADIS) ولم يكن يسمح للوكلاء بالتجنيد إلا بموافقة السلطان الذي يصدر أوامر فرمانية بذلك³³ أما الطريقة الأخرى للتجنيد فكانت تتم من طرف الأتراك الموجودين في الإيالة، حيث يعودتهم إلى وطنهم يحضرون معهم أفرادا جدد قصد الانضمام إلى المليشيا حيث الارتقاء إلى أعلى المناصب بها مفتوح (خوجة، 2006: 81).

أما عن خصالهم فيصفهم "D'ARVIEW" بأنهم من "أصحاب الجرائم والمتمردين" (D'ARVIEW, SD: 244) وينعتهم "DE TASSY" بأنهم "دون أخلاق وحثالة المجتمع" (DETASSY, 1725: 205) ويصفهم "وولف" بالأمية والغلظة. (وولف، 2009: 101)

وربما هذا وصف طبيعي لأنهم تربوا تربية عسكرية جبلتهم على القسوة، بينما يشير صاحب المرأة حمدان خوجة إلى وضعيتهم الاجتماعية في قوله: "...دون أخلاق فمن

33- شويتام ارزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830، دار الكتاب

العربي، الجزائر، 2010، ص 15.

النادر وجود المجرمين ومرتكبي المخالفات ضمنهم" (خوجة، 2006: 81) وهذا ما يتعارض مع الكتابات الأجنبية التي لم تترك أي سلوك مشين إلا وألصقته بهم للحط من قيمتهم ومن قوة الجزائر خلال هذه الفترة.

أما عن طريقة التجنيد فكانت تتم خلال القرن الثامن عشر كل خمسة أو ستة سنوات، بينما مع بداية القرن التاسع عشر أصبحت سنويا ويعود ذلك حتما إلى الوضعية السيئة التي أصبحت عليها الإيالة وحاجتها إلى قوة عسكرية كبيرة. وهنا يذكر حمدان خوجة أن تدهور الحكومة خلال القرن التاسع عشر يعود إلى عملية التجنيد التي أصبحت لا تفرق بين الصالح والپالاح، حيث أصبح الانخراط في المؤسسة العسكرية كضرورة للحصول على الرزق، وهذا ما كان له التأثير السلبي على الرعية (خوجة، 2006: 81) ولعل مرد ذلك بحث الدايات على زيادة العدد على حساب النوعية لتغطية العجز العسكري خاصة في المرحلة الأخيرة. أما عدد الجند فلم يعرف استقرارا إذ تحكمت فيه عدد من المعطيات فيعرف ارتفاعا كلما وصل مجندين جدد من المشرق، ويتعرض إلى التناقص بفعل الخسائر البشرية في الحروب والأمراض الفتاكة التي كانت تعصف بالإيالة.

(D'arview ,S.D , 250)

عرف القرن السادس عشر ارتفاعا كبيرا للمليشيا وصل إلى حوالي اثنان وعشرون ألفا ليعرف انخفاضا إلى اثنتا عشر ألفا. وأول رقم صحيح يرجع إلى سنة 1745 حيث وصل إلى 9322 عاملا و 2575 متقاعدا (وولف، 2009: 124) في حين عرفت نهاية القرن التاسع عشر تراجعاً ملحوظاً إلى ما بين خمسة آلاف إلى أربعة آلاف (شوتيام، دراسات، 2010: 51) ما يجعلنا نستشف الضعف العسكري

الذي مَسَّ المؤسسة العسكرية وانعكس سلبا على الجزائر خلال أواخر عهدها ما جعلها عرضة للهجمات الخارجية المتكررة .

2-2/الرتب العسكرية للجيش ورواتبهم

بمجرد وصول المجندين الجدد إلى مدينة الجزائر تفتح لهم أبواب الارتقاء إلى أعلى المناصب في السلم العسكري، حيث تتحكم في هذه الرتب الأقدمية وفيما يلي توضيح لهذه الرتب بنسق تصاعدي.

اليولداش: وتعني رفيق الطريق. يبقى في الخدمة لثلاثة سنوات يرتقي بعدها إلى ايسكي يولداش يزود بلباس رسمي ومسدسين يلصقان في حزامه (سبنسر، 2006: 69-70) فاليلولداش مجبرين على الخدمة في النوبة بالمدن، الأبراج والطرق الرئيسية للإيالة وذلك في سنتهم الأولى، بينما يحق لهم في سنتهم الثانية العمل في المحلة المكونة من 300 إلى 400 انكشاري لمرتين في السنة إلا أن السنة الثالثة هي فترة استراحة يستطيع خلالها اليولداش العمل في السفن البحرية (BOUABA, 1972: 34)، فهو بذلك يعتبر جنديا بسيطا يتقاضى أجرا زهيدا، حيث تزداد أجرته كلما أثبت جدارته في الحروب بنصف ضبلون أو متى عين باشا جديد بضبلون ونصف (60: 1870 HAEDO, TOPOGRAPHIE)، وبهذا فهم يمثلون الأغلبية فما بين 1699-1701 شكلوا نسبة 80% من المجموع العام وما بين 1780-1803 حوالي 79%. (68: 1998 SHUVAL).

باش يولداش: يرتقي إلى هذه الرتبة كل من عمل ثلاثة سنوات، مهمته الإشراف على فرقة عسكرية يتراوح عدد أعضائها ما بين 16 إلى 20 جنديا (شوتيام، دراسات، 2010: 18).

أوضباشي: ويعني رئيس الغرفة، وهو الذي يرأس فرقة عسكرية مكونة من 10 إلى 20 إنكشاري فأكثر حسب ما يحدده الآغا. (HAEDO, TOPOGRAPHIE, 1870: 60) حيث شكلوا نسبة 3,77% ما بين 1786-1803 (SHUVAL, 1998: 69) يتميزون بوضع شريط من الجلد من أسفل الرأس إلى الظهر تمييزاً لهم عن غيرهم. (PICQUIT, 1830: 205)

بولكباشي "نقيب": وهو من يرأس الفرق العسكرية ومع الأقدمية يترفع إلى أياباشي وتتراوح المجموعة التي يشرف عليها ما بين 300 إلى 400 جندي لجمع الضرائب. (HAEDO, TOPOGRAPHIE, 1870: 62).

أياباشي: يرتقي إلى هذه المرتبة أقدم البولكباشيين، وهم يمشون متقدمين الداي في الاحتفالات ويرافقونه عند الذهاب لصلاة الظهر إلى المسجد يوم الجمعة، يضعون ريشاً أبيضاً على رؤوسهم تمييزاً لهم (HAEDO, TOPOGRAPHIE, 1870: 62) وأصحاب هذه الرتبة يعتمدهم الباشا كمبعوثين إلى الدول الأجنبية، كما يتولون مراقبة السفن البحرية للدول الأجنبية للتأكد من عدم وجود أسرى على متنها خوفاً من فرارهم (SHAW, 1830: 161) كما يوصلون أوامر الداي إلى بقية المناطق والمقاطعات في الإيالة ويحرصون على تنفيذها. (شوتيام، دراسات، 2010: 18)

الكاهية: "عقيد" ينوب الآغا في حالة غيابه أو موته، فهو إذن يملك صلاحيات واسعة (HAEDO, TOPOGRAPHIE, 1870: 63)، منها اتخاذ القرارات ورئاسة مجلس الضباط المقابل للقصر. (DE TASSY, 1725: 228).

الآغا: يتولى هذه الرتبة الأقدم في السلم العسكري، فالآغا يتربع في أعلى هرم المؤسسة العسكرية، يعتبر القائد الأعلى للجيش، لا يستمر في وظيفته إلا شهرين

قمرين يتحول على إثرها إلى معزول آغا³⁴ كما يحمل في كل مساء مفاتيح المدينة إلى الداي الذي يحتفظ بها، ويعطي أوامر بحراسة الأبواب والحصون (PICQUIT,1830:203)، وهو من يتولى وفي سرية تامة معاينة الجند عند ارتكابهم لتصرفات مخلة للقانون حيث يسمى المنزل الذي يطبق فيه الحكم بدار سركاجي (DE PARADIS,1898:75) فالآغا يتمتع بهيبة واحترام كبيرين، يرتقي بعد انقضاء فترة وظيفته إلى معزول آغا، هذا الأخير يحق له العضوية في الديوان ويتقاضى أجرته حتى وفاته. (PICQUIT,1830:203)

التدرج في المراتب من اليولداش أبسط جندي في الانكشارية إلى معزول آغا تحدد سنوات العمل والنظام المعمول به في هذه المؤسسة العسكرية، والتي قد تؤدي ببعضهم الوصول إلى مرتبة الباشا.

2-3/رواتب الجند

جرايات الجند هي الأجور التي كان يتقاضاها الانكشاري مقابل عمله، فهذه الجرايات كانت تشكل عبئا ثقيلا وتهديدا خطيرا لحياة الداي إن هو لم يوفرها في وقتها المحدد، فالرواتب لم تكن ثابتة وإنما تعرف زيادة عند تنصيب داي جديد أو الانتصار في المعارك (DE TASSY,1725:252)، أما في الحالات العادية فتدفع

34- الآغا: اختلف في أصل هذه الكلمة فقيل تركية من المصدر أعمق ومعناها التقدم في السن وقيل من أصل مغولي وتعني كبير أو رئيس وكان يلقب بالآغا رؤساء الانكشارية. أنظر: (بركات، 2000: 174)

بشكل منتظم كل شهرين قمرين ويتم ذلك باجتماع الديوان وفي حضور الداي وآغا القمرين والكاهية والخزناجي والكتاب.³⁵

يمكننا أن نميز بين نوعين من الجرايات، الأولى توزع كل شهرين وتسمى بالجراية الصغرى في حين الجراية الكبرى تخص الجيش الموزع على باقي الإيالة. (سعيدوني، النظام، 1979:128).

هذه الأجور تدفع خلال أشهر معلومة وهي شهر محرم، جمادى الأولى، رجب، رمضان وذو القعدة، وحفاظا على الأمن والنظام، جعلوا الضباط يتقاضون أجورهم في الديوان، أما الجند فيتم توزيع أجورهم في ساحة القصر، أما الرياس فأبعدوا إلى المرسى لتفادي أي تكتل قد يشكل خطرا على حياة الداي وحتى الموظفين السامين في الدولة. (سعيدوني، النظام، 1979:129).

فرواتب الجند خلال القرن السادس عشر كانت ثمانية صائمت كحد أدنى وثمانين صائمة كحد أقصى، في حين القرن الثامن عشر عرف الحد الأدنى ما قيمته 275 صائمة، أما الأقصى فستة ريات. (شويتام، دراسات، 2010:22)

فالتفاوت في رواتب الجند من قرن لآخر يثبت مرة أخرى مدى ازدهار الحالة الاقتصادية للبلد، ويبين في فترة أخرى الانكماش والتدهور في خزينة الدولة، فالأجور كانت نقطة الضعف للانكشارية التي أصبح أصحاب الدسائس والمؤامرات يستغلونها لتحقيق مشاريعهم في الوصول إلى السلطة عن طريق

35 - الطريقة المتبعة في منحهم الأجر تكون بمناداتهم من طرف باش شاولش أين يوضع المال في منديل

ليقدم إلى صاحبه. انظر (75 : 1898, DE PARADIS)

استعمال أسلوب الترغيب وإغراء الجند بزيادة أجورهم واستمالتهم إلى صفهم حتى يتمكنوا من إنجاز مخططاتهم.

2-4/ امتيازاتهم وأماكن إقامتهم

بالإضافة إلى الأجر الذي كان يتقاضاه الانكشاري نظير خدمته العسكرية، كان يتمتع بامتيازات هامة تحفيزا وتشجيعا له وحتى تجعله مرتاحا ماديا، ومن ذلك الجند العزاب كان لهم حق الإقامة بالثكنات العسكرية الموجودة بمدينة الجزائر كما لهم الحق في الحصول على أربعة خبزات في اليوم مع امتياز شراء اللحم بأقل ثمن من الآخرين. (DE TASSY, 1725: 206)، كما يتم إعفاءهم من تسديد الضرائب والرسوم المتعلقة بالجمارك وكذلك يكفل لهم حق التقاضي من طرف آغا الانكشارية وفي سرية تامة، بينما تسقط هذه الامتيازات عن الجند المتزوجين.

أما إذا صادف وصول المجندين مع فترة دفع الرواتب، فإن لهم الحق في أخذ راتبهم قبل مباشرتهم العمل (DE PARADIS, 1898: 57) وإلى جانب الخدمة العسكرية سمح للجند بامتهان النشاطات التجارية والحرفية (HAEDO : 71 , 1870 TOPOGRAPHIE).

أشارت عائشة غطاس في هذا الخصوص إلى الحرف التي كان يمتنها الجند في دراستها عن الحرف والحرفيين، وضحت من خلالها أن المنخرطون من أفراد الجيش في التنظيمات الحرفية كانوا من رتب مختلفة، صنف الأياباشة، البلكباشية والأوضباشية فضلا عن المتقاعدين ومن جملة هذه الحرف صناعة الأواني الفخارية، صناعة الجلود. (غطاس، 2007: 240-241).

وهذا بالتأكيد يعتبر مصدر دخل ساهم في ثراء بعضهم بالاعتماد على دخلين في آن واحد، وإغناء المدينة بمختلف الحرف ما جعلها نشطة تجارياً.

بيد أن كل هذه الامتيازات لم ترضي الانكشارية، التي ستسعى للحصول على المزيد منها كحق المشاركة في العمل البحري إلى جانب الرياس وتمكنوا من تحقيق مبتغاهم سنة 1568 بموافقة البايبراي محمد بن صالح ريس.³⁶

بعد أن رأت القوة البرية تكون فئة برجوازية من رياس البحر والبدخ الذي تعيش فيه من جراء الغنائم التي تجلب من الغزو البحري، في حين الانكشارية كانت تستفيد فقط من الهدايا والضرائب التي تجنيها من محلات جمع الضرائب في البايلكات الثلاث. وقد أجمل حمدان خوجة الفوائد التي تتم بها الانكشارية بقوله "إن الانخراط في الجيش يمكن صاحبه من الحصول على المسؤوليات والثروة، فنظام الترقية المعمول به يؤهلهم لدرجة الباشوية أو ما اصطلح عليه بالنظام الجمهوري الديمقراطي." (خوجة، 94: 2006) ورغم ذلك فالانكشارية مؤسسة عسكرية مهيمنة على الحياة السياسية في الجزائر وتحكمت فيها طيلة العهد العثماني.

يقيم الجند في أماكن تعرف بالتكنات أو "جنشارية" أو "القشلة، فهي المأوى الأول للجنود وقت وصولهم للمدينة حيث يعهد بالمنخرط الجديد إلى مبنى خاص أين يعلم الوجه الخلفي لذراعه الأيسر برقم حجرته. (سبنسر، 68: 2006) فالتكنات ليست المستقر الوحيد الذي يقطنه الجند، فأثناء محلات جمع الضرائب تسكن الانكشارية في خيم مخصصة لها إلى انتهاء مهمتهم، بينما الجند الغراب وأغنياء

36- حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 129.

الانكشارية فيسكنون المنازل والفنادق. (SHUVAL,1998:89). "ف" DE PARADIS يحصي من سبعة إلى ثمانية ثكنات في مدينة الجزائر تتميز بسعتها وتتكون من الطابق الأرضي والعلوي يشرف على نظافتها مجموعة من الأسرى وهي تغلق بسلسلة حديدية بعد ساعة ونصف من غروب الشمس (DE PARADIS 83,85:1898)، بينما يشير كاتكرت إلى ستة ثكنات تقع تحت حكم ضابط برتبة أياباشي وعدد من الضباط وشاوش تضم الأتراك الغراب (كاتكرت، 1982:100) وكل غرفة من غرف الثكنة يوجد بها من ثمانية إلى اثنتا عشرة جندي وفي أحيان أخرى قد يصل إلى 20 جنديا، حيث يختار أفراد الغرفة واحد منهم وفي الغالب يكون من المجندين الجدد ليتولى مهمة الطبخ لأفراد الغرفة. (HAEDO TOPOGRAPHIE, 1870:70)

بينما "DEVOLUX" و "BERBRUGGER" من خلال دراستهم المنشورة في المجلة الإفريقية يشيرون إلى سبعة ثكنات. منها ثكنة باب عزون والتي تم إنشاؤها في نهاية ربيع الأول 1008هـ-1599م مقر بباب عزون³⁷، وتسمى أيضا باللبنجية لعادة قاطنيتها في شرب اللبن³⁸، ومنها كانوا يرتقون إلى أعلى المناصب أما ثكنة الخراطين والتي تقع أبعد من الأولى، ولكن بنفس الشارع خرج منها عدد من الدايات منهم أوزن حسن، وإبراهيم آغا صهر الداوي حسين وهي تعد الأقدم ترجع إلى عهد خير الدين (BERBRUGGER, LES CASERNES, 1858; 133-134) والثكنة الثالثة وتسمى بثكنة المقارون بنيت 1011هـ-1603م تتكون من طابق أرضي وآخر علوي يسكنها الأتراك الكبار في السن الذين يتغذون المقارون، ولهذا أطلقت

37 -Devoulx. A, *Les Casernes Des Janissaires A Alger*(2), RAN°3, Alger, 1858 , p140

38 -BERBRUGGER , *Les Casernes Des Janissaires A Alger*, RA ,N° 3, Alger, 1858 , p133.

عليها هذه التسمية مقابلها بنى عبيد باشا مسجده. (BERBRUGGER, LES CASERNES, 1858:139)، ونذكر أيضا قشلة الدروج قرب باب الجزيرة بثكنة القناصلة لوقوعها في شارع القنصليات نضيف إلى ذلك ثكنة أسطا موسى القريبة من شارع البحرية والثكنة القديمة أو 'الفوقانية' والثكنة الجديدة.

وهذه الثكنات مجتمعة كانت تعقد اجتماعا عظيما خارج باب الواد في المكان المسمى الصفصاف، والذي يحمل في أبعاده سياسة خطيرة ينتهي عادة بتدبير خطة لإسقاط الداى الحاكم. (BERBRUGGER, LES CASERNES, 1858:136). ما يوضح جليا أن الثكنات لم تكن مكانا للإقامة فقط، وإنما أيضا يتم استغلالها في تدبير خطط ودسائس لاغتيال أحد الحكام.

2-4/ مهام الإنكشارية:

سعت كل الدول قديما وحديثا إلى تكوين جيش قوي وحرصت على تدريبه وتوفير الأسلحة اللازمة له، لما لهذه المؤسسة من أهمية في هيبة الدولة وتحديد مكانتها مع غيرها من الدول المعاصرة لها، فالجيش يسهر على استئثار الأمن وتوفيره للرعية وتقوية الدولة من خلال التصدي لكل الاعتداءات الخارجية.

فالإنكشارية أو الجيش البري في الجزائر لم تقتصر أهميته على مدينة الجزائر باعتبارها مقر الثكنات العسكرية، أو لتركز الهجمات الأوربية عليها، وإنما الجند توزعوا على الحاميات والأبراج، كما شكلوا سندا قويا للبايلك في تحصيل الضرائب من مهامها العمل في الحاميات والأبراج الموزعة على الإيالة فهي مهمة إجبارية لليولداش حيث الغرض من إنشاء الحاميات يتمثل في تأمين الحماية على الطرق الرئيسية للبلاد، وكذلك مراقبة الحدود لمواجهة أي نوايا توسعية

للدول المجاورة تونس والمغرب، وقد حددت سنوات الخدمة فيها بسنة واحدة. في هذا الخصوص أورد "SHUVAL" إحصائيات حول عدد الجند العاملين في الحاميات إذ تراوحت فيما بين سنوات 1699-1701 بـ 3,3%، بينما عرفت هذه النسبة تراجعاً خلال سنوات 1786-1803 بـ 2,5% (SHUVAL, 1998: 78).

الانخفاض في عدد اليولداش العاملين بالحاميات العسكرية خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عكس الوضعية السيئة التي أصبحت عليها الإيالة وقلة عدد المجندين من الأناضول وباقي مقاطعات الدولة العثمانية التي بدأت هي الأخرى في التدهور والانحطاط.

شكل العمل في الحاميات صعوبة بالنسبة لليولداش خاصة في سنتهم الأولى، وما زاد الأمر صعوبة تخوفهم من غضب السكان. إذ هذه الحاميات كانت تتعرض إلى هجمات متكررة ومن أمثلة ذلك تعرض حامية بجرجرة للتخريب أكثر من مرة (شوتيام، دراسات، 2010: 32). ومن المهام الأخرى للانكشارية الخروج وبشكل فصلي في المحلة وهي خروج الجند المقيمين في مدينة الجزائر في حملات نظامية كل ستة أشهر تدعى بـ "النوبة" لجمع الضرائب. (D'ARVIEW, SD: 253) حيث يتوزعون في مختلف المدن كتلمسان، مستغانم وقسنطينة، وذلك مرتين في السنة الأولى في فصل الخريف والثانية في فصل الربيع. (HAEDO, TOPOGRAPHIE, SD: 64).

ينتظم الجنود في شكل خيمة كل خيمة تضم عشرين جندياً، سبعة عشر منهم يولداش وثلاثة ضباط برتبة ياباباشي، بولكباشي وأوضباشي. (PICQUIT

202: 1830)، وعن المدة التي تمكثها كل محلة فيختلف من بايلك إلى آخر³⁹، فالخيام الموجهة لكل بايلك هي الأخرى تعرف تباينا، وهذا يعود حتما إلى شساعة المساحة وحجم القوة المكونة له، فمحلة قسنطينة تتكون من ستون خيمة كل خيمة تنقسم إلى سفرة وعددها ستة عشر، بينما محلة الغرب تضم ثمانون أما التيطري فيتكون من عشرون خيمة. (DE PARADIS 1898: 69) باعتباره أصغر الأقاليم وأفقرها. هذه المحلات تضبطها قوانين خاصة تسير عملها، وقد حملت عهود الأمان في طياتها عقوبات صارمة على كل جندي يحرض على التمرد حيث يمنع من دخول مدينة الجزائر ونفس الشيء للمجموعة⁴⁰، أما إذا حصل ودخل المدينة، فيضرب بالقلعة حتى الموت أو حرض على الفتنة يقتل.⁴¹

فالضوابط التي حملتها عهود الأمان، لم تهتم بها الإنكشارية التي اعتبرت التدخل في الحياة السياسية للإيالة من أولوياتها، فالقوضى التي أصبح عليها الجيش شكلت عبئا ثقيلا على الحكام، والأمثلة عن ذلك كثيرة، ففي فترة حكم حسن باشا ابن خير الدين عمدت الانكشارية للتخلص منه بإلقاء القبض عليه وإرساله إلى الأستانة متهمينه بنوايا استقلالية. (ألتر سامح، 1989: 212) وذلك حتى يلقي تصرفهم قبولا من طرف السلطان، وفي حقيقة الأمر ما هو إلا تقطن حسن باشا للخطر الذي أصبحت تمثله الميليشيا في الجزائر محاولة منه الحد من نفوذها

39 - محلة الغرب تخرج في افريل و تقيم أربعة شهور، ومحلة التيطري تخرج في الصيف و تتم ثلاثة شهور ، ومحلة الشرق تخرج في اليوم الأول من الصيف وتقيم ثلاثة شهور أنظر (الزهار، 35، 1980 - 36)

40 - DEVOLX , *Ahad Aman, Règlement Politique Et Militaire*, RA N04, Alger 1859, p 215.

41- دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي و العسكري للجزائر وثائق تنشر لأول مرة، الدار العثمانية، الجزائر، 2009، ص 79.

خاصة بعد أن أصبحوا يلفقون التهم لمن لا يرضونه بغرض إبعاده، وأكثر ما كان يثير مخاوف الجند استعانة البشوات بالأهالي، وهذا ما عمد إليه حسن باشا عندما سمح لأهل زواوة من دخول مدينة الجزائر وشراء الأسلحة. (وولف، 2009: 112) الأمر الذي رفضته الانكشارية التي تريد أن تكون القوة الأولى في الجزائر فتتمرد الانكشارية في عهد البايلىريايات لم يكتسي طابعا سياسيا صرفا، وإنما هدفهم بالدرجة الأولى كان تثبيت وجودهم والحرص على دخل مادي منتظم ففي سنة 1571 تمرد الانكشارية على "العلاج علي" بسبب التأخر في دفع الجرايات (BOUABA, 1972: 35)، بينما سيزداد نفوذهم لاحقا بالتحكم في الوضع السياسي فإليهم يعود عزل، تنصيب أو قتل البشوات، فالغلو والفساد التي أصبحت عليه هذه القوة لم تشهدها الجزائر فقط، فالدولة العثمانية هي الأخرى كادت تعصف بها تمردات الميليشيا المتكررة، ولهذا أدخلت إصلاحات في عهد سليم الثالث⁴² 1789 سعيا منه بإلغائها، لكن رغم ذلك بقيت فرقة في تدريبها أما السلطان محمود الثاني⁴³ فتكللت إصلاحاته بالنجاح بإصداره لفرمان سلطاني 1826 لإبطال فئتهم وملابسها من جميع الولايات ونفي من بقي منهم. (المحامي فريد، 1988: 431)

لكن في الجزائر لم يستطع أي باشا إلغاء الانكشارية، فكل المساعي التي بدلت لهذا الغرض لم تعرف النجاح واستمرت هذه القوة إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

42- سليم الثالث هو ابن السلطان مصطفى الثالث 1175هـ-1762، انتهت فترة ولايته بالعزل، والتي دامت 19 سنة توفي 1223هـ-1808. انظر المحامي فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، تح حق احسان، الط. 06، دار النفائس، بيروت، 1988، ص 363-393.

43- محمود الثاني، ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد 1119هـ-1785، في فترة حكمها احتلت الجزائر 1830، توفي 1255هـ-1839 وهو يبلغ من العمر 55 سنة. انظر (المحامي، 1988: 398-454)

3/ القوة البحرية "الرياس"

اهتمام المغاربة بالنشاط البحري لم يكن وليد القرن السادس عشر، وإنما يعود إلى عهد الأغالبة الذين تمكنوا بفضل أسطولهم وموقعهم المطل على البحر الأبيض من فتح جزيرة صقلية والشأن نفسه للموحدين الذين أولوا عناية خاصة ببناء السفن والمساهمة بها في تنشيط التجارة وربط العلاقة مع الأندلس، وما فتئ هذا النشاط يزداد مع ظهور الإخوة بربروس في السواحل المغربية خاصة في فترة تميزت عسكريا بحملات بحرية من اسبانيا والبرتغال بعد اكتشافهم للعالم الجديد ومع تواجد الإخوة بربروس في الجزائر الذين ساهموا في وضع اللبنة الأولى للعمل البحري، من خلال تشييد خير الدين للميناء الذي يربط الجزر المقابلة للمدينة بالبر، والذي سيكون له بالغ التأثير على الأوضاع لاحقاً، وبه ستبرز الجزائر كأقوى دول البحر الأبيض المتوسط آنذاك.

3-1/ الغزو البحري "القرصنة"

وصفت البحرية الجزائرية والجزائريون خلال هذا العهد بعدة نعوت لا تمت بصلة لواقع الأمر من لصوصية وقرصنة، فالقرصان هم من الجند المنظمين يعملون تحت إشراف السلطان يتولون الهجوم على بعض الأجفان ويتحاشون أخرى عملاً بالاتفاقيات المبرمة⁴⁴، فالبحارة الجزائريون كانوا يميزون في غزواتهم بين سفن الدول الصديقة التي تربطها معهم اتفاقيات سلام وبين تلك التي تظهر عداوتها لها، ما ينفي عنها صفة اللصوصية، وعن تعريف "كورين شوفالييه" للقرصنة توضح بأنها ظاهرة استيطان البحر الأبيض المتوسط، فهي حرب

44- بلحميسي مولاي ، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر ، مجلة التاريخ وحضارة المغرب

، العدد 04 ، الجزائر ، 1968 ، ص 12.

مشروعة تتم بواسطة بيان صريح بموجبه تجهز السفن الحربية، أما بالنسبة للجزائر فتعتبرها حرفة الدولة. (شوفالييه، 1991: 57)

فالقرصنة ليست بظاهرة جزائرية، وإنما حتى القوى الأوروبية خلال القرن السابع عشر من هولنديين، انجليز، فرسان مالطة والجنوبيين كلهم مارسوا حرفة القرصنة. (CAT.1888: 292) فهناك من الكتابات الأجنبية ما جعلت دوافع الغزو البحري مرتبطا بالنشاط الاقتصادي بالدرجة الأولى وليس لدافع ديني أو سياسي (BOAUBA , 1972:38)، لكن في حقيقة الأمر الأحداث التاريخية تشير إلى عكس ذلك، فالأوروبيين وفي مقدمتهم الإسبان هم من بدؤوا باستعباد المسلمين وتشريد وقتل آخرين، ما كان أمام المسلمين إلا المواجهة برفع راية الجهاد ضد المسيحيين ودرء شرهم، وبذلك فقد جمعت البحرية الجزائرية بين الهجوم والدفاع. أما العناصر المشكلة للأسطول، والتي جعلت من الجزائر القوة التي لا تقهر فقد ضم مزيجا من الأتراك والسكان الجزائريين والأندلسيين الوافدين، فمشاركة السكان كان باستثمار أموالهم في الغزو البحري، وحتى النساء بعن حليهن للاستفادة من أرباح هذا النشاط. (شوفالييه، 1991: 9)

أما الفئة المتميزة الأخرى فكانوا "الأعلاج" وهم في الأصل من الأوروبيين التجار وأرباب السفن ومن البحارة الذين قدموا إلى بلاد المغرب، ومن العسكريين الذين فروا من الحاميات الإسبانية في وهران حيث كانت تتاح لهم إمكانية الاغتناء السريع والارتقاء في سلم المراتب الاجتماعية⁴⁵، يصفهم هايدو بأتراك الوظيفة إذ هم يشكلون الأغلبية في مجتمع مدينة الجزائر وبدخولهم للإسلام

45- بونو سلفاتور، وضع الجاليات الأوروبية في بلدان المغرب قبل الاستعمار، مجلة الأصالة، العدد 25، الجزائر، 1975، ص 148.

يصبحون من أشد أعداء المسيحية⁴⁶، وهم بذلك من جنسيات أوربية مختلفة من صقيلين، ألبانيين، كورسكيين وإسبانيين (بلحميسي، الجزائر، 1968:19)، فهي فئة أصبحت تتقدم نحو الرفعة نافست الإنكشارية ووصلت إلى درجة الباشاوية من هؤلاء حسن قورصو، حسن بن خير الدين، حسن فنزيانو، عالج علي.

فتأثير الأعلاج على البحرية كان تأثيرا إيجابيا لمعرفة بعالم البحار ما مكنهم من المساهمة في صناعة السفن، فهذه العناصر من أتراك، أندلسيين، جزائريين والأعلاج قد شكلوا انسجاما فيما بينهم واستطاعوا فرض هيبة واحترام الجزائر من طرف الجميع.

كما كان للبحارة تنظيما خاصا بهم يدعى بديوان الرياس كان تأسيسه من طرف الداي ميزومورطو الذي عقد ثلاث اجتماعات بغرض إقناع الرياس بضرورة الموافقة على السلم مع فرنسا ضم كبار المسؤولين في البحرية. (مروش، 2009:410) وسرعان ما ازدادت أهميته لتشمل دراسة كل المشاكل التي تخص هذه المؤسسة.

3-2/ صناعة السفن: وفرة الخشب جعل صناعة السفن تتم في الجزائر، كان مصدر هذه المادة الأولية يجلب من غابات شرشال وبجاية بعدها يحول إلى ورشات صناعة السفن (HAEDO, TOPOGRAPHIE, 1870:75)، فهو بذلك شكل موردا طبيعيا شجع على صناعة السفن، فميناء شرشال كان ورشة لصناعة الحبال والأشرعة (PICQUIT, 1830:211) ولأهمية هذه المادة الطبيعية فإن الجزائر عمدت إلى تعيين قائد خاص لاستغلال الغابات الساحلية الممتدة من بلاد القبائل مرورا بجيجل (شوتيام، دراسات، 2010:47) ويشير "دوتاسي" خلال القرن

46- وصل عددهم خلال القرن السابع عشر إلى حوالي 6 آلاف منزل، انظر، (HAEDO, 1870:50)

الثامن عشر أن صناعة السفن أصبحت صناعة صعبة رغم توفر المادة الأولية إلا أنها تفتقد لمعدات أخرى من صواري وأشرعة ومرساة تساعد على رسو السفن (DE TASSY .1725:261) ولتغطي الجزائر هذا العجز كانت تلزم الدول الأوروبية دفع الإتاوات⁴⁷ في شكل معدات حربية كالصواري والحبال.

فبناء السفن وإعادة بناء المحصل عليها من الغنائم كان العمل فيها من طرف الجزائريين الذين يقومون بطقوس خاصة عند الانتهاء منها⁴⁸، أما عن أنواع السفن المكونة للأسطول تتميز بتنوع واختلاف أحجامها ومن أنواعها الغليوطة وهي سفن صغيرة لا تكلف كثيرا في صنعها والتميز بحجمها الصغير منها البلاكير، كريبط، حراقة فهي سفن حربية تتميز بسعتها وقدرة حمولتها للمدافع.⁴⁹

كما عرفت الجزائر السفن المستديرة⁵⁰، وهي سفن شرعية حربية قادرة على الصمود في أعالي البحار.

أما عن ملكية السفن فكان كبار البايبربايات يملكون سفنا خاصة بهم يشاركون بها في العمل البحري، فجعفر باشا كانت لديه غليوطة من 24 مقعدا

47- ففي عهد الآغا رمضان وقع صلح بين الجزائر وإنجلترا بشروط فرضتها الجزائر في شكل ضرائب عينية وحسب ما يشير إليه صاحب الزهرة النائرة في قوله "أعطى لأهل الجزائر خمسة عشر قنطارا من البارود وأثنى عشر من الكور" أنظر (ابن رقية ، 1976، 20)

48- تقام هذه الطقوس عند انتهاء العمل من صناعة السفن يتم دفعها إلى البحر لتجربتها حيث تمنح هدايا ووجبات للحرفيين المساهمين في إنجازها ، كما يضحون بإثتان من الخرفان ، بعدها تطلق طلقات المدفعية ، فهي التحية المعمول بها سواء عند دخول أو خروج السفن إلى البحر . أنظر (HAEDO , topographie:76)

49-DANIEL PANZAK , *Les Corsaires Barbaresque La Fin D'une Epopée 1800-1820*, ed CNRS, Paris, 1999, pp40-41.

50 - أول من أدخل هذا النوع من السفن إلى الجزائر القرصان الفنلندي سيمون دانسا 1606 . أنظر Dan , *Histoire De Barbarie Et De Ses Corsaires*, second édition, chez pierre Rocolet , imprimeur, libraire ordinaire du roi ; Paris , 1646, p314

(Dan,1646:314) باعتبار أن هؤلاء البايالرييات هم من كانوا يتولون قيادة السفن بأنفسهم، أما خلال القرن الثامن عشر أصبحت هذه السفن من الملك العام تحت إشراف وكيل الخرج (وولف، 191:2009) ومرجع ذلك إلى الضعف التي أصبحت عليه البحرية الجزائرية وتوقيع الجزائر لمعاهدات السلم ما أثر على حجم الغنائم البحرية التي أضحت لا تشجع على الاستثمار فيها.

3-3/الرتب في المؤسسة البحرية

تختلف الرتب في البحرية الجزائرية عن غيرها في المؤسسة البرية التي تتحكم فيها سنوات الخدمة وعامل الأقدمية، بينما في البحرية الارتقاء في المناصب يكون بفضل الإنجازات المحققة في عرض البحر والجرأة والشجاعة، ولهذا نجد أن البحرية الجزائرية عرفت شخصيات فاقت شهرتها الحدود، ما جعلها تحافظ على قوتها وتنظيمها لفترة معتبرة من الزمن، فكل عامل في البحرية له اختصاص معين يقوم بها سواء قبل أو بعد مغادرة السفينة إلى الغزو البحري وهي كالتالي :

وكيل الخرج: فهو المسؤول الأول عن المؤسسة البحرية ويدعى أيضا بوكيل خرج باب الجزيرة⁵¹، وإليه أوكلت مهمة تسير ومراقبة النشاط البحري، له مساعدين كالنائب، القبطان وقائد المرسى. (مروش، 411:2009).

القبطان: القائد الأعلى للأسطول، قبل تعيينه عليه أن يجتاز امتحان يجريه عليه ديوان الرياس الذي يتكون من كل قباطنة السفن. (سينسر، 76:1980)

قائد المرسى: أو قائد الميناء يهتم بالغنائم البحرية ويتولى بيعها (DEVOLUX,LE)

51- Devoulx .A , Registre Des Prises Maritimes .Traduction D'un Document Authentique Et Inédit ,Ed typographique a Jourdan ,1872 ,p 05.

REGISTRE, 1872:05، ومن جملة اختصاصاته أيضا تفتيش ومراقبة سفن الميناء ويحرص على جمع وجلب الأخبار التي تهم الجزائر (بن جبور، البحرية، 2002: 115)، ويتولى حمل الرسائل التي ترد الباشا.

وردان باشي: هي كلمة مشتقة من الكلمة الفرنسية التي تعني الحارس، فهو إذن يقوم بمهام الشرطي بتوفير الحماية الكافية في الميناء (DEVOLX, LE REGISTRE, 1872:05). أما الطاقم المشكل للسفينة، فيتشكل من الرئيس الذي يختاره وكيل الخرج ويعين من طرف الداي⁵²، يشترط أن يكون ذا دراية بشؤون الملاحة ومهارة وشجاعة فأكثر الرئيس هم من الأعلاج ومع حكم الداي بابا علي سمح للأتراك بتولي هذا المنصب (DE PARADIS, 1898:40) الذي قد يرتقي به إلى قبودان باشا الأسطول العثماني أمثال خير الدين بربروس، حسن بن خير الدين، عالج علي. ومن المساعدين له نجد الباش رئيس وهو نائبه ورئيس للخدم ومجموعة من الإنكشارية يتم اختيار أقدمهم وهو الآغا لكتابة تقرير مفصل عن الرحلة وعمل قائد السفينة، كما يحرص على فرض احترام سفن الدول التي تربطها بالجزائر اتفاقيات سلام (De Tassy, 1725:268)، إضافة إلى ريس الطريق الذي توكل إليه مهمة إحصاء الغنائم، وباش طوجي يشرف على تجهيز المراكب بالمدافع (DEVOLX, MARINE, 1869:07)، ومن الشخصيات التي ارتقت إلى أعلى الرتب في المؤسسة البحرية الرئيس حميدو دو الأصل الجزائري وذلك بفضل شجاعته وذكائه، بداية عمله كان كخادم للسفن وسرعان ما ارتقى إلى بحار ثم زميل ثم ضابط وأخيرا إلى ريس (سنسر، 1980:74) وقد فاقت شهرة حميدو مع نهاية

52- ينصب ريس السفينة بحضور وكيل الخرج وقراءة سورة الفاتحة ثم يحي من طرف زملائه بطلقات مدفعية. أنظر (DE PARADIS, 1898:43)

القرن الثامن عشر حدود الجزائر حيث تمكن من إرجاع هيبة الجزائر وإنعاش خزينة الدولة.

3-4/ نشاط الأسطول البحري

عرف الأسطول البحري خلال القرنين السادس عشر والسابع أوج قوته جعل من الجزائر دولة لا تضاهى وقوة لا تقهر، أما التحضير للغزو البحري فيكون في فصل الشتاء حيث تسحب السفن إلى البر، ولما يحل الربيع يشرعون في دهنها وتجهيزها (بربروس، 121:2010) وغالبا ما يكون ذلك في شهر مارس لتكون جاهزة للمغادرة في شهر أبريل (DE PARADIS, 1898:47)، وهي الفترة المناسبة للإبحار بسبب هدوء الأحوال الجوية.⁵³

يستمر غياب البحارة عن الجزائر من أربعين إلى خمسين يوما متربصين بسفن أعدائهم، ومن ذلك تعرض سواحل إسبانيا كورسيكا، سردينيا وصقلية مألطة خلال سنة 1581 إلى مهاجمة البحارة الجزائريين، وفي 1617 تمكن مراد راييس من مهاجمة جزيرة ماديرا على المحيط الأطلسي، حيث عاد منها بأجراس كنيسةها إذلالا لها. (سعيدوني، ورقات، 20:1999)، وفي سنة 1627 قاد ثلاث سفن بحرية وصل بها إلى غاية الدنمارك حيث غنم ما قدره 400 أسير، ووصول العليج الفنلندي مراد سنة 1631 إلى غاية إنجلترا وإيرلندا (DAN, 1646:31)، فتحرّكات الأسطول الجزائري لم تقتصر فقط على البحر الأبيض المتوسط وإنما تعدته إلى المحيط الأطلسي، هذا التفوق ما هو إلا نتيجة لسرعة السفن وجودة السلاح وجراة

53 - فالرايس قبل خروجه يتوجه إلى الداى لطلب رخصة الموافقة والتي تكون موقعة، ثم يتولى كل البحارة الذين يعينهم "الرايس" إلى التموين بمواد غذائية كزاد للرحلة يتمثل أساسا في الماء، بسكويت، خضر، جبن، زيتون وعنب جاف. أنظر (D'ARVIEW, SD : 264)

وخبرة أصحابها. (بلحميسي، الجزائر، 1968:16) حيث يشيد شالر بنشاط البحرية الجزائرية في قوله: "لقد كان الجزائريون في أوج قوتهم وسمعتهم حتى أن أعظم الدول البحرية كانت تطلب صداقتهم، إنهم اليوم يتباهون بأن عظمتهم البحرية لا تماثلها غير بحرية بريطانيا العظمى" (شالر، 1982:119)، فالجزائر بفضل أسطولها أرغمت الدول الأوروبية بالإسراع في عقد اتفاقيات معها بغرض حماية سفنها التي تجوب البحر بعد أن تعرضت لخسائر كبيرة، فالسنوات ما بين 1760-1777 عقدت الجزائر مجموعة من الاتفاقيات مع كل القوى الأوروبية ففي سنة 1773 وقعت معاهدة مع البرتغال وفي سنة 1774 توقيع أخرى مع اسبانيا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1780⁵⁴.

عدا عن فرض الضرائب وإلزام الدول بتقديمها للخزينة، فالغنائم المحصل عليها من الغزو البحري هي الأخرى كانت تشكل دخلا معتبرا، بمختلف الأنواع المجلوبة نجد إشارة لها في مذكرات خير الدين "في قوله: "في خليج البندقية تم الإستلاء على ثلاث سفن كل منها تحمل عشرة آلاف دوقّة ذهبية، إضافة إلى مئات الأسرى (بربروس، 2010:121) بيد أن هذه الغنائم ليست مستقرة إذ تتحكم فيه طبيعة العلاقة الجزائرية الخارجية من حرب أو سلم⁵⁵، فالأسرى كجزء من الغنائم شكلوا خلال القرن السادس عشر ما يربوا عن 16 ألف أسير كلفوا بالتجديف على متن السفن أو كخدم في المنازل. (بربروس، 2010:153) ورغم الكتابات المغرضة من طرف الأوروبيون بسوء معاملة الأسرى المسيحيين، لكن الواقع يفند مثل هذه

54- MOULAY BEL HAMISSI, *Marine Et Marins d'Alger 1518-1830*, T 3, éd bibliothèque nationale d'Alger, 1996, p81.

الادعاءات بارتقاء الأسير تدينا إلى منصب خزندار للباي محمد الكبير، وسيمون بفايفر كطبيب للخزناجي خلال أواخر العهد العثماني.

انعكست هذه الغنائم إيجابا على ازدهار النشاط التجاري والحياة الاقتصادية فصارت مدينة الجزائر بهذه الغنائم نموذجا يضاهي أسواق بلاد الهند في رخصها إذ كان التجار يشترونها بدرهم ويبيعونها بعشرة حتى أثروا من ذلك ثراء فاحشا" (بربروس، 2010: 153) كما ساهمت بملء خزينة الدولة بالأموال التي كان قسط منها يسدد لدفع رواتب الجند الذين كثيرا ما يثيرون الاضطرابات ويزيحون الباشا عن عرشه كلما تأخر الدفع، وبهذا فقد سالت الأموال وتدفقت الخيرات واكتظت الشوارع بالأسرى الأجانب. (بلحميسي، الجزائر، 1969: 18)⁵⁶

أما تقسيم الغنائم فنصيب الدولة منها البنحق أو الخمس، وحسب خوجة الخمس لم يكن تاما لأن الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الإطلاع عليها. (خوجة، 2006: 80) أما الباشا فنسبته 12% و1% للعاملين في صناعة السفن وعمال الميناء، و1% لرجال الدين في المساجد، ونصف الحصص من نصيب الرياس والبحارة وما هو متبقي للجنود والأسرى المجذفين. (DAN, 1646: 305, 306).

3-5/ تدهور البحرية

عرفت البحرية الجزائرية أوج عظمتها خلال القرن السادس عشر والسابع عشر بينما شهد القرن الثامن عشر بداية الانحطاط الفعلي، وقد ساهم في هذا

56- الثراء شمل حتى الرياس أنفسهم فعلي بنشين إلى جانب عقاراته كان يملك لوحده حوالي 800 عبد مسيحي أنظر (مروش، 2009: 268)

التدهور جملة من العوامل منها صناعة السفن التي بدأت تتراجع، لضعف استغلال الخشب ورفض السكان السماح بقطع أشجار الغابات. (شوتيام، دراسات، 60:2010)، ضف إلى ذلك تفوقها على نفسها وعدم مواكبتها التطور الصناعي والتقني الحاصل في أوروبا والتي مكنها من تحديث سفنها وجعلها أكثر فاعلية (BELHAMISSI, MARINE, 1996; 84)، أما العامل الآخر لتدهور البحرية، فيتمثل في تلك الهجمات الشرسة والمستمرة التي شنتها الدول الأوروبية لتحطيم هذه القوة، منها الهجمات الإسبانية سنة 1775 و1783 و1784 التي ألحقت أضرارا كبيرة، ومنها الفرنسية كحملة دوكين سنة 1683 والتي نتاجها هي الأخرى كانت وخيمة، فمئات المنازل دمرت وقتل الكثير من الجزائريين⁵⁷، وحملة ديستري لسنة 1687 تم خلالها قنبلة المدينة بألف قنبلة تحطمت خلالها كل السفن الراسية في الميناء، في حين يكمن السبب الآخر في ذلك التناقص المستمر للمراكب المكونة للأسطول يحصي "بانزاك" عددهم من سنة 1785 إلى 1787 ستة سفن وأربعة شباك وثلاث غليوطات أي بمجموع 13 سفينة قدرتها المدفعية 218 مدفعا. (PANZAK 1999:41)

عدا عن ذلك نذكر تلك النكسات العسكرية أثناء مساعدة الجزائر للأسطول العثماني في حروبه، منها واقعة لافلون⁵⁸، وللظروف المناخية السيئة احتمت هذه

57- GAFFAREL PAUL, *L'Algérie Histoire Conquête Et Colonisation*, éd, Firmin Didot, Paris, 1883, p38.

58- خليج قالونا انهزم فيها الأسطول الجزائري 1639 على الساحل الأديراتيكي بقيادة علي بتشين قتل خلالها 1500 شخص وتحرير 4634 أسير مسحي، وخربوا تسعة مراكب واستولوا على 12 منها: أنظر. بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص73.

الوحدات بالميناء حيث داهمتها قوات البندقية التي كبدها خسائر جمة بتحطيم نصف وحداتها. (الميلي، 1964: 166).

تأتي الضربة القاضية في معركة نافرين إلى جانب الأسطول العثماني سنة 1827 لإخضاع اليونان المطالبة باستقلالها حيث تحطمت معظم السفن المشاركة. وقبل ذلك تحزب الدول الأوروبية واتحادها ضد البحرية الجزائرية في مؤتمر فيينا 1815 بهدف القضاء على القرصنة الجزائرية واستعباد الأسرى وتبع ذلك بخطوة عملية بحملة إنجليزية هولندية بقيادة "اللورد اكسموت" والأميرال "فان دوكابلين"⁵⁹ حيث ألحقت بسفن الأسطول الجزائري خسائر فادحة، وهذا ما تشير إليه الرسالة التي بعث بها عمر باشا إلى السلطان العثماني يعلمه بالحملة وما خلفته، جاء في فحواها "لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت أحد عشرة ساعة أحرقت خلالها كل بواخرنا وسفن بحارتنا". (التميمي، وثائق، 1985: 56)

فهذا الانهيار الخطير جعل البحارة يعزفون عن العمل البحري الذي أصبح لا يغطي ثلثي تكاليف القرصنة، فقلة المداخل ستساهم في تأزم الأوضاع الداخلية ولتعويض هذا النقص انتهج الحكام سياسة إقبال كاهل القبائل والسكان بالضرائب الباهظة، ما سينجم عن ذلك ثورات داخلية لنزع السلطة من الأتراك، منها ثورة ابن الأحرش والدرقاوي ضف إلى ذلك تأزم الأوضاع السياسية وتمرد الجند عند التأخر في دفع الرواتب. ما سيظهر جلياً أواخر العهد العثماني بتصاعد ظاهرة اغتيال الدايات بصورة ملفتة للنظر.

59 - ARNAUT ECHOBoud, « Attaque Des Batteries Algériennes Par Lord Exmouth En 1816 », in RA, 19, Alger, 1875, p198 .

الفصل الثاني : الاغتيال السياسي فترة ما قبل

الدايات 1519 - 1671

❖ **الاغتيال السياسي فترة البايكليات**

❖ **الاغتيال السياسي فترة البشوات**

❖ **الاغتيال السياسي فترة الأعوات**

تميز الوضع السياسي خلال الحكم العثماني بالجزائر، والذي تجاوز الثلاثة قرون بذلك التحول الواضح على مستوى هرم السلطة، كلما انتقلنا من عهد إلى آخر، إذ تحكمت في هذا التغيير عوامل داخلية وأخرى خارجية، يتمثل العامل الخارجي في السلطة العثمانية وتدخلها لتنصيب ولاتها على عرش الإيالة، وهذا ما نلاحظه حينما قررت اسطنبول إنهاء عهد الباييريات واستبداله بعهد البشوات الثلاثين، غير أن هذه السلطة التي كانت تفرضها الأستانة على الجزائر بدأت في التقلص لتترك المجال لسلطة الداخل بتنامي نفوذ أعضاء الديوان والانكشارية الذين ساهموا في قلب نظام الحكم دون الإكثارات للباب العالي وبشواته المبعوثين، ما أدى بالجزائر لاحقا إلى فوضى سياسية جعلت أغلب الحكام يتعرضون للانقلابات العسكرية والاغتيالات الدامية كنهاية لحكمهم الذي قد يستمر شهورا أو لسنوات.

فهذه الظاهرة السياسية التي ميزت الحكم العثماني بالجزائر سنتطرق إليها فيما يلي باستعراض كل فترة والشخصيات الحاكمة التي مسها الاغتيال.

1/ الاغتيال السياسي فترة الباييريات

يبدأ هذا العهد بتنصيب خير الدين بربروس برتبة بايلرباي الجزائر سنة 1519 من طرف السلطان العثماني سليم الأول، حيث شهدت هذه الفترة الأولى حكم اثنان وعشرون بايلربايا منهم حسن باشا، صالح رايس، حسن قورصو، العلي، جمعت بين هؤلاء صفات مشتركة فهم من البحارة الأقوياء وقادة الأساطيل وممن خاضوا المعارك الحربية، ومن الأعلاج المهتدين الذين دخلوا الإسلام¹.

1 -KADDACH MAHFOUD ,l'Algérie Durant La Période Ottomane ,ed office des publication universitaire, Alger,1991,p50 .

هؤلاء البايالرييات كانت تختارهم اسطنبول لولاية الجزائر، حيث كان السلطان العثماني يبعث بهم من عاصمة حكمه، حاملين براءة تخولهم حكم الولايات المغربية باسم السلطان العثماني²، هذا ما يبرر تلك العلاقة المتينة التي ربطت الدولة العثمانية بولاتها في الجزائر الذين كانوا خلفاء السلطان العثماني والموجهين لسياسته في البحر الأبيض المتوسط، وبذلك فمهمتهم تمثلت في الحرص على حماية مصالح الباب العالي وعلاقته بالدول الأوروبية. (قنان، معاهدات، 2010: 47).

وهنا نستشف تدخل الدولة العثمانية في توجيه السياسة الخارجية للجزائر، فكلما كان الباب العالي في وفاق مع الدول الأوروبية كان يفرض على الجزائر ربط علاقات جيدة معها، أما إذا انقلبت العلاقة إلى عداوة، فإن الجزائر هي الأخرى عليها أن تعلن عداوتها، لكن هذه السياسة التي انتهجتها اسطنبول بالتحكم في علاقات الجزائر الخارجية باعتبارها إيالة تابعة لها لن تستمر طويلا، إذ حاولت الجزائر التخلص من هذه الهيمنة والتبعية وأصبحت تدريجيا هي من تدير أمورها الداخلية والخارجية.

عهد البايالرييات اصطلح على تسميته بالعصر الذهبي، وذلك بفضل الطريقة الحكيمة التي اعتمدها البايالرييات بممارستهم للجهاد البحري حيث أظهروا مقدرة حربية رهيبية في كسر الأعداء، بداية بخير الدين بربروس الذي استطاع سنة 1529 من تحرير "قلعة البنيون" من الأسبان وبنائه كاسرة الأمواج ليربط الجزيرة

2- أوغلو خليل الساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، بحوث، وثائق وقوانين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة (إريسكا)، اسطنبول، 2000، ص 369.

بالساحل (ارجمنت، 1970: 22). كما تمكن خليفته حسن باشا³ من دحر الأرمدة الإسبانية وعلى رأسها الملك شارلكان سنة 1541⁴، الذي منى بهزيمة كبيرة جعلته ينعزل في أحد الأديرة إلى وفاته. وخلال هذه الفترة التاريخية تمكنت الجزائر من تحقيق وحدتها السياسية والإقليمية، إذ تمكن البايبراي صالح ريس من الوصول إلى الواحات الجزائرية ورقلة وتوقرت سنة 1552، كما استطاع الاستحواذ على تلمسان نهائيا سنة 1555 وجعلها سنجقا⁵ تابعا للدولة العثمانية وبذلك انقضى حكم بني زيان نهائيا، تاركين المجال للسلطة العثمانية. (ساحلي، 1974: 332).

جعلت الوحدة السياسية والإقليمية من الجزائر قاعدة عسكرية ومنطلقا للفتوحات إلى باقي المناطق المغاربية، ومن ذلك إخضاع تونس قطعيا إلى الحكم العثماني من طرف سنان باشا سنة 1574، كما فتحت طرابلس الغرب هي الأخرى من طرف درغوت باشا سنة 1551. (ارجمنت، 1970: 24) فالاهتمام بالجهاد ودحر الأعداء و الذود عن أمة الإسلام ما هو إلا انعكاس واضح لنوعية الحكام التي تداولت على حكم الإيالة خلال هذه الفترة التاريخية.

فبرغم السطوة التي شكلها سلاطين آل عثمان على قرارات الجزائر، إلا أننا سنشهد في هذه المرحلة التاريخية، ذلك الصراع الذي طفى إلى السطح بين

3- وصفه ابن رقية بأنه رجل عاقل حازم سديد في رأيه جيد في تدبيره ، كما كان له حظ في العلم و

الصلاح و اهتمام كامل بالرعية. أنظر (ابن رقية ، 1967: 14)

4- حملة شارلكان: كانت في 29 أكتوبر 1541 بقيادة شارل الخامس ملك إسبانيا، وانتهت بهزيمة هذه الأخيرة ، وفقدانها كل ما لديها من سفن ومدافع وعتاد وخيول، ومات من الجنود ما لا يحصى عددا وعلى إثرها اعتزل شارلكان العالم وعكف على الصلاة حتى وفاته، أنظر: العبيدي علي، الحملة الإسبانية على مدينة

الجزائر 1541، في مجلة عصور، العدد 17، جامعة وهران، 2011، صص 13-15.

5- سنجق: مشتقة من الكلمة التركية سنجاق وتعني العلم أو قسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية. أنظر (بركات، 2000: 154) .

القوتين البرية الانكشارية والبحرية المتمثلة في رياس البحر، والذي سيتخذ هذا الصراع لاحقا منعرجا خطيرا عندما يصبح نزاعا على السلطة.

1-1/ عهد البايلرييات التولية و العزل

أول من تولى على الجزائر بعد ارتباطها بالدولة العثمانية خير الدين بربروس الذي رفع لاحقا إلى قبطان دوريا الأسطول العثماني، بعدما جعل خليفته على الإيالة ابنه بالتبني حسن آغا، وقد أشار خير الدين في مذكراته إلى تعيين ابنه حسن آغا في قوله "حصل من السلطان على سيف مرصع ونيشان النصر، ليضعه على عمامته [...] بالإضافة إلى الراية والخلة السلطانية." (بربروس، 2010: 213)،

فتعيين بايلرييات الجزائر من طرف الباب العالي استمر تباعا بتولية حسن بن خير الدين الكرغلي من أم جزائرية، فهو بذلك أول كرغلي يرأس الإيالة فكان عامل السمعة والنفوذ سببا في تنصيبه على إمرة الجزائر.

يشير ابن المفتي إلى أن تاريخ توليته صادف شهر جمادى الأولى 952هـ - 1545⁶، إذ عرفت فترة حكمه تحديات داخلية خطيرة بتدخل الإسبان في شؤون تلمسان بعدما نصبوا مولاي أحمد على عرش الزيانيين، ما جعل إخوته يستأون للأمر، لذلك فضلوا التوجه إلى حسن باشا والاستجداء به فلب طلبهم غير أن مدينة تلمسان لم تكن محل اهتمام الإسبان لوحدهم، إذ سلطان فاس هو الآخر كانت له مطامع في السيطرة عليها، إلا أن هدفه لم يتحقق واستطاع حسن

6- ابن المفتي حسن بن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، مطبعة بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 39.

باشا رده ووضع حامية عسكرية مكونة من 1500 جندي لحماية المدينة.
(CAT,1888:251)

فقوة الشخصية والحنكة السياسية التي أظهرها حسن باشا خلال سنوات حكمه لم تشفع له، حيث أمر السلطان العثماني بعزله عن ولاية الجزائر، غير أن أسباب هذا القرار قد اختلف بشأنها بين المؤرخين، فهناك من يجعل السبب إلى ترضية السلطان العثماني لحاكم فاس الشريف محمد السعدي، بعد الشكوى التي تقدم بها هذا الأخير ضد حسن باشا الذي قرر مواجهة حاكم فاس بعدما خلف وعده بمساعدته ضد الإسبان والأخطر من ذلك التحالف معهم لمواجهة الجزائر. فالرسالة التي بعث بها السلطان العثماني إلى حاكم فاس والمؤرخة بسنة 959هـ-1552 يشير فيها إلى سبب العزل مما جاء فيها "...ما كان يحسن الجيرة وإن تولية صالح باشا تهدف إلى المصالحة وحسن الجوار..." (ساحلي، 1974:322)

بينما هناك من يعتبر دافع العزل إلى تحريض السفير الفرنسي "دارمون" الموجود بالأراضي العثمانية للسلطان العثماني، حيث أدخل في نفسه شكوكا مفادها أن حسن باشا غايته الانفصال بالجزائر عن السلطة العثمانية. (CAT: 1888، 253)، لكن في حقيقة الأمر هذه الإدعاءات لم تكن إلا خدمة للمصالح الفرنسية التي أصبحت مهددة لو استمر حسن باشا في حكمه، خاصة لما تجاهل طلب ملك فرنسا هنري الثاني (1547-1559) في مساعدته ضد الأسبان. (ألتر سامح، 1989: 172).

فظروف عزل حسن باشا من إمرة الجزائر، ليس لأنه لم يحسن الجيرة مع الفاسيين، لأن هؤلاء هم من اعتدوا على مدينة تلمسان، فكان رد فعل طبيعي في الدفاع عن أرض هي تابعة للجزائر، بيد أن هذا السبب لا يعدوا إلا أن يكون

مدعما لأسباب أخرى جعلت السلطان العثماني يقدم على هذا القرار، أهمها مساندة سكان الجزائر له باعتباره ابن خير الدين بربروس مؤسس إيالة الجزائر، بالإضافة إلى أنه من أم جزائرية، وبالتالي كان يحوز على مكانة هامة في المدينة ما جعل السلطان يرتاب في أمره وقدرته للاستقلال بالجزائر، ضف إلى ذلك شخصية حسن باشا الاستقلالية في اتخاذ القرارات التي كان يراها مناسبة وفق ما تقتضيه الأوضاع الداخلية دون النظر إلى ظروف الباب العالي، فهذه العوامل مجتمعة هي ما أثارت مخاوف السلطان العثماني ودعمت رأي السفير الفرنسي.

تأتي الولاية الثانية لحسن باشا بعد الفترة العصيبة التي شهدتها الجزائر والفوضى الخطيرة التي نتجت عن اغتيال مبعوث الباب العالي البايبراي محمد تكلري سنة 964هـ-1556م (ابن المفتي، 2009: 40)، ولإصلاح الأوضاع وإرجاع الهدوء والاستقرار إلى الإيالة، عهد السلطان العثماني بهذه الولاية إلى حسن باشا بحكم خبرته وقدرته على فرض الاحترام والانضباط.

في هذا الوقت كان المغرب لازال يهدد الأراضي الجزائرية، فقرر حسن باشا عدم الدخول في مواجهة عسكرية معهم، ولهذا فكر في التخلص من شريف محمد المهدي سلطان فاس بتدبير خطة لاغتياله، واقتضت الخطة إرسال الكاهية صالح مع بعض الفرسان على أنهم فارين من الجيش التركي، حيث قريبهم إليه الشريف محمد المهدي وجعلهم حرسه الخاص، فلما وجد هؤلاء الفرصة المواتية تخلصوا منه. (MERCIER, 1868: 85) تبين هذه الحادثة الطريقة المعتمدة من طرف العثمانيين للتخلص من خصومهم وليس في الداخل فقط وإنما الاغتيال مس حتى العناصر الخارجية المعادية.

بقي على حسن باشا الاهتمام بتدعيم وتقوية وجوده في الداخل، فكانت أفضل طريقة لتحقيق هذه الغاية الارتباط بعلاقة مصاهرة بالزواج مع ابنة السلطان كوكو حتى يكسب نفوذا وقوة داخلية تساعد وتجلب السكان إلى صفه، وهذا ما سعى إلى تطبيقه على أرض الواقع بفتح المجال لسكان القبائل من دخول مدينة الجزائر وشراء الأسلحة. (Grammont, 1887:87)، هذه الخطوة تبعتها خطوة أخرى أكثر جرأة، بعد إقدامه على تشكيل قوة عسكرية محلية من السكان والأعلاج، ما أثار مخاوف الانكشارية التي فكرت في إبعاد الخطر الذي يهددها، فاجتمع آغا الانكشارية مع بقية الجيش في الديوان وقرروا القبض على حسن باشا وإرساله إلى اسطنبول⁷، ومن هنا نلاحظ الهيمنة التي أصبح يشكلها أعضاء الديوان والانكشارية بعد خلعهم لحسن باشا ممثل السلطة العثمانية في الجزائر، واتهامه بأنه يريد التخلص من الانكشارية وتعويضها بجيش محلي من السكان. (CAT, 258:1888)

بقوا هؤلاء المتآمرين في حكم البلاد ريثما وصل الباشا الجديد، الذي قبض عليهم وبعث بهم إلى اسطنبول لقطع رؤوسهم جزاء لفعلتهم (GRAMMONT 1887:94)، وهذا ما يظهر الصرامة التي كان يظهرها الباب العالي في عقاب المتجاوزين، والمهددين للأمن والاستقرار بالإيالة.

تكررت ولاية حسن باشا للمرة الثالثة بعد وفاة الباشا أحمد محرم 969هـ- 1561 (ابن المفتي، 2009:40) وفي هذه المرة عاد مع عشرة غليوطات تحسبا لأي رد فعل من الإنكشارية التي سكنت للهدوء بعد المعاملة القاسية التي تعرضت لها. (GRAMMONT, 1887:95)

7 - HAEDO DE DIEGO, *Histoire Des Rois D'Alger*, Trad De L'espagnol Par Henri De Grammont, Ed Alger Livres Editions, ALGER, 2004, p13.

أهم أعماله خلال هذه المرحلة التصدي للتوسعات الإسبانية على المقاطعة الغربية ومحاولة طردهم من مدينة وهران، كما يشير إلى ذلك المزاري في قوله: "سنة سبعين من العاشر غزى الباشا حسن وهران فهو أول من غزاها من الأتراك وألحّ عليها حتى هدم حصن النصارى الأعلى من البرج فدخله المسلمون ثم ألقع عنها. (المزاري، 1990:226)، ومع سنة 1567 غادر الجزائر بعد أن ارتقى إلى رتبة قبطان باشا الأسطول العثماني (CAT, 1888:256)، فحسن باشا بذلك عين ثلاث ولايات، عزل مرتين في المرة الأولى كان لعامل خارجي بتأليب سفير فرنسا في إسطنبول للسلطان وغرضه في ذلك الحفاظ على مصالح بلاده المهددة، أما المرة الثانية فكان لعامل داخلي تمثل في تمرد الجند الذين لم يرضوا بالصرامة والإنضباط الذي فرضه حسن باشا في الإيالة.

ومن بايلرييات الجزائر صالح باشا وهو من الإسكندرية في مصر تعين سنة 959هـ - 1551م (ابن المفتي، 2009:40) ويشير "HAEDO" أن ذلك كان نهاية أبريل 1552. (HAEDO, HISTOIRE, 2004, 91) وبمساعدة السفير الفرنسي، ما يبرز الخطوة التي أصبح عليها الفرنسيون في بلاط السلطان العثماني لدرجة تدخلهم في تعيين بشوات الجزائر حتى يطمئنوا على امتيازاتهم فيها.

وقد تمكن صالح رايس من فتح بجاية 962هـ - 1555م، وتجهز لحصار وهران إلا أن الموت عاجله بعد إصابته بعدوى الطاعون ليتوفى في رجب 963هـ - 1556م. (ابن المفتي، 2009: 40)

تولى بعده على الإمارة البايبراي محمد بن صالح رايس، فتعيينه كان لعامل السمعة والنفوذ ولسيرة والده الحسنة، وكان ذلك سنة 974هـ - 1567م (ابن المفتي، 2009: 40)، وقعت في عهده مآسي كثيرة بظهور الطاعون واستفحال المجاعة

والفتن التي كانت سبباً في عزله عن الولاية نظراً للشكاوي المقدمة ضده من طرف السكان. (HAEDO, HISTOIRE, 2004, 145).

تسمى بعده بايلربايا العلي الذي كان من أقوى رياس البحر وأشدهم بأساً، اتسم حكمه بالشدة والقسوة محاولة منه في كبح جماح الإنكشارية الذين عاملهم بصرامة وقرب إليه الأعلاج لحراسته ومرافقته. (ألتر سامح، 1989: 333)، فاهتمامه لم يكن منصبا على الجزائر فقط، فقد اشتغل بجمع آلة الحرب وفتح تونس 05 ربيع الأول 977هـ - 1569م (ابن المفتي، 2009: 41)، كما اهتم بتقوية المدينة وتحصينها ببناء برج قرب باب الواد. وبعد ثلاث سنوات من الحكم ارتقى إلى رتبة قبطان باشا مع احتفاظه بلقب الباييرباي. (HAEDO, HISTOIRE, 2004: 162)

ومن بايلربيات الجزائر من الأعلاج حسن فنزيانو، توليته صادفت سنة 985هـ - 1577م (ابن المفتي، 2009: 43) أصله من البندقية، معظم الكتابات الأجنبية وصفت حكمه بالتسلط والقسوة وارتكاب المظالم، فهو الآخر تصدى للإنكشارية التي شدد عليها وأرهبها كما امتثل وانقاد لأوامره الرياس. (CAT, 1888: 265)، وبذلك فقد حدا حدو سيده العلي، أما فترة حكمه فقد شهدت قحطاً ومجاعة أودت بحياة الكثير من السكان الذين ماتوا جوعاً، وذلك في الفترة ما بين سنة 1579-1580، حيث أحصى هايدو عدد ضحاياها بـ 656 ضحية. (HAEDO, HISTOIRE, 187: 2004)، وحتى الإنكشارية لم تكن بأفضل حال نتيجة تأخر رواتبها، وقلة القوات، فرغم الانضباط الذي فرضه فنزيانو فإن الانكشارية قد تسببت في فوضى بنهبهم لمخازن المؤونة⁸. وحتى الرياس رفضوا دفع أكثر من الثمن كضرائب،

8 - HEERS JAKUES, *Les Barbaresques La Cours Et La Guerre En Méditerranée XIV-XVI Siècle*, éd , Perrin, France, 2001, p175.

ونتيجة هذه الظروف المتأزمة وصلت عدة شكاوي في حق "فنزيانو" إلى إسطنبول، كلف العلي بالتحقيق في صحتها. (ألتر سامح، 1989: 259)

ولعلّ مردّ هذه القسوة والصرامة التي اتسم بها فنزيانو، تعود لكونه كان مهدداً بقوة عسكرية جاهزة في أي وقت لرفع راية العصيان، زد على ذلك ظروف حكمه السيئة، فانتهاجه للقسوة كان حلاً وطريقة لآبدٍ منها، حيث في عهده لم تحدث تمردات للأوجاق، إلا فترة المجاعة، غير أنهم سعوا في تحيته من خلال تقديم شكاوي في حقه.

اشترك العلي وحسن فنزيانو بإبعادهم للقوة البرية وتقريبهم لرياس البحر، وذلك بحكم أنهم أعلاجا وقادة للأساطيل همهم الأكبر كان الجهاد البحري وفرض الأمن والاستقرار بالجزائر.

وتولى فنزيانو للمرة الثانية، وسبب عودته إلى ولاية الجزائر أن رمضان باشا المعين من السلطان العثماني 990هـ-1582م (ابن المفتي، 2009: 43) كلف بمعاقبة مراد ريس الذي استولى على سفينتين فرنسيتين ولأن هذا الريس كان يحظى باحترام الجميع وحتى طائفة الرياس. (De Grammont, 1887: 121) ما جعل تنفيذ المهمة المكلف بها صعبة وخطيرة على رمضان باشا الذي خشي الاغتيال إن هو أقدم على تنفيذ المهمة التي أوكلت إليه، ولذلك فضل النجاة بنفسه والتوجه إلى طرابلس الغرب⁹، عندها قرر "فنزيانو" الرجوع إلى الجزائر دون حصوله على فرمان التعيين وهذا ما يعتبر اغتصاباً للحكم في نظر الباب العالي الذي لم يحرك ساكناً ولعلّه كلف بولاية الجزائر وهو في البحر من طرف قبودان دوريا الأسطول

9 - تولى مكانه مؤقتاً مامي أرئووط أحد رياس البحر الذي التقى حسن فنزيانو في عرض البحر حيث

أعلمه بالأحداث في الجزائر. أنظر: (HAEDO, HISTOIRE, 2004 : 199)

العثماني الذي كان يتمتع بصلاحيات واسعة، فهذه التولية مؤقتة ريثما يبعث السلطان العثماني بباشا جديد.

هؤلاء البايالرييات وغيرهم ممن كان يبعث بهم الباب العالي كانت تتم توليتهم وعزلهم دون إثارة الفوضى وإراقة الدماء، فإذا جاء أمر بالعزل فإن الباشا المعين كان يمثل للأمر، غير أن هذا العهد شهد محاولتين اغتيال، المحاولة الأولى كانت ناجحة حيث استهدفت البايالرياي محمد تكلري، بينما الثانية والتي استهدفت جعفر باشا باءت بالفشل، غير أن هاتين الحادثتين تتدرج في إطار الصراع بين الإنكشارية ورياس البحر خاصة لما رفضت الإنكشارية استقبال الباشا تكلري والتي وصفت من طرف الكتابات الأجنبية بأنها أول ثورة للأوجاق بالجزائر.

1-2/ مؤامرات الاغتيال

البايلرياي محمد تكلري

ترجع ظروف اغتياله إلى الفوضى التي حدثت بعد وفاة البايالرياي صالح ريس بالطاعون سنة 1556 وهو يحاصر مدينة وهران¹⁰، ولهذا عمدت المليشيا إلى اختيار أحد أفرادها من الأعلاج وهو حسن قورصو¹¹، لإكمال مشروع الفتح، وفي أثناء حصاره للمدينة وصلت قاذبة من إسطنبول تحمل أوامر برفع الحصار والعودة إلى مدينة الجزائر، غير أن هذا القرار السلطاني لا يعكس إلا تخوف السلطان من النفوذ المتزايد لأوجاق الجزائر بعد اختيارهم لحسن قورصو كحاكم

10 -DEVOULX A, *La Première Révolte Des Janissaire A Alger*, in RA, N 15, ALGER 1871, p 02.

11-أورد هايدو بعضا من صفاته في قوله "ذو أخلاق حميدة حاز على احترام الجميع، كما أنه هادئ الطبع، باشر بإكمال مشروع سابقه، حيث جمع ستة آلاف تركي إذ بلغ خلالها مشارف وهران لفتحها. أنظر:

(HAEDO, HISTOIRE, 2004 :106)

عليهم،دون انتظار لأوامر الباب العالي الذي اعتبر هذا التصرف اغتصاباً للسلطة. (CAT, 1888:255). ولوضع حد للأمر تم إرسال البايبراي تكلري لولاية الجزائر، إلا أن بوصوله لميناء مدينة الجزائر اصطدم برفض المليشيا له. هذه الأخيرة وتحسباً لدخوله الجزائر من المدن الساحلية الأخرى أصدرت أمراً للعلاج "علي ساردو" قائد بجاية، والعلاج اليوناني "مصطفى" قائد عنابة بتحسين ميناء المدينة وعدم السماح له بالدخول (HEERS, 2001:177)

فهذا التصرف وعدم انصياع الأوجاق للأوامر العلية ورفعهم لراية التمرد يحدث بالإيالة للمرة الأولى وبهذه الدرجة الخطيرة يجعلنا نستنتج النفوذ المتزايد للمليشيا، والذي سيعرف لاحقاً أبعاداً خطيرة على الاستقرار الأمني والسياسي للبلاد.

فقلة الاحترام الذي أظهرته الإنكشارية للباب العالي، جعل الرياس باعتبارهم القوة المنافسة للأوجاق يفكرون في وضع حد لنفوذها المتزايد ولإصلاح الأمور التي بدأت تزداد سوءاً، إذ اجتمع الرياس برئاسة القبطان "شلقو" بغرض إيجاد طريقة لإدخال مبعوث الباب العالي لمدينة الجزائر بعد أن سدت في وجهه منافذ المدن الأخرى، حيث ركزوا بداية على تأمين الميناء إذ أوكلت هذه المهمة لخمسة رياس¹²، بينما انتظر هو ومن معه حتى يسدل الليل ستاره وحتى يتأكد أن الإنكشارية بثكناتها، أبحر على متن غليوطة وتمكن من إحضار الباشا وإدخاله المدينة. (HAEDO, HISTOIRE, 2004:113) تحت طلقات المدفعية وأصوات تنادي

12- هؤلاء الرياس الخمسة هم: مامي رياس -العلاج القبرصي مامي ريس- العلاج والي رياس والألباني مصطفى رياس ، والتركي يحي رئيس. انظر : (04 : 1871 , la première , Devoulx)

بحياة السلطان والبايلرلي الجديد الذي تمّ تنصيبه في الحين. (PREMIERE,1871:04).
(DEVOULX ,LA).

أول ما عمد إليه الباييرلي الجديد تصفية العناصر المعادية له والمتمردة على القرارات السلطانية، وفي مقدمتهم حسن قورصو الذي عذب إلى الموت، حيث وضعت قطع حديدية على أصابع قدميه ويديه، ووضع قناع ساخن على وجهه ليتوفى تحت تأثير التعذيب، وعُلقت رأسه لمدة ثلاثة أيام على أحد أبواب المدينة، كما نفذ حكم الإعدام في كل من قائد عنابة وبجاية. (HEERS ,2001 :177).

فالقسوة التي أظهرها الباشا تكلرلي ضد خصومه، جلبت له أعداءً أكثر متحيين الفرصة المواتية للانتقام منه أثناء غياب الرياس عن مدينة الجزائر في الغزو البحري خاصة أنهم كانوا يتولون حمايته من الأوجاق، وما شجعهم على تنفيذ مخططهم انتشار الوباء في مدينة الجزائر، ما استدعى من الباشا مغادرة قصره والاستقرار في خيمته خارج المدينة¹³ ما استغله أحد الأعداء وهو قائد تلمسان يوسف أحد المقربين إلى قورصو والذي أخذ في تأليب الإنكشارية عليه.

بينما هناك رواية أخرى مخالفة للأولى توضح سبب غياب الباييرلي تكلرلي عن المدينة لتوجهه إلى حمام مليانة للعلاج وذلك لأنه كان يعاني مرضا على مستوى ساقه.¹⁴

لكن في كل الأحوال كلا الروايتين تتفقان أن الباشا كان خارج المدينة، وهذا ما استغله قائد تلمسان يوسف الذي جعل من خروجه في تحصيل الضرائب طريقا نحو تنفيذ هدفه ومن ثم سار إلى مدينة الجزائر حيث باغت الباشا

13- DEVOULX A, *Assassinat Du Pacha Mohammed Teklerli* ,in RA,N°15,1871:p82

14- WATBELD ,*Documents Inédits Sur L'assassinat Du Pacha Teklerli* ,in R AN°15 ,1871 ,p238 .

تكلرلي، هذا الأخير لما سمع بأمره فرّ إلى قبة سيدي يعقوب (HAEDO 116:2004,HISTOIRE)، فاللجوء إلى أضرحة أحد الأولياء كان حلاً يعتمده الأتراك للنجاة بأنفسهم لما كانوا يولون لهذه الأماكن من قداسة، فكان كل من يدخل إليها ينجوا من العقاب، لكن وثائق طريقة تشير أنّ الباشا عاد إلى المدينة لكن وجد أبوابها موصدة في وجهه، وهذا ما جعلنا أمام احتمال يؤكد أنّ هناك عناصر من داخل مدينة الجزائر تواطأت مع قائد تلمسان، فهذه الوثائق أشارت إلى أنه توجه إلى أحد المساجد حيث قتل من طرف علج من تلمسان لكن لم تذكر اسمه، وكان ذلك نهاية شهر أفريل 1557. (WATBELD ,DOCUMENTS ,1871:337)

بمقتل تكلرلي دخلت المدينة في فوضى كبيرة، حيث نصب العلج يوسف نفسه على عرش الإيالة لمدة ستة أيام وزّع خلالها ستة آلاف إيكو ذهبية، من الخزينة، إلا أنه لم يستمر طويلاً إذ توفي في اليوم السابع بعد إصابته بعدوى الطاعون. (HEERS, 2001 : 177).

1-3/ محاولة اغتيال جعفر باشا

جعفر باشا من الأعلاج، مجري الأصل تولى إمرة أمراء الجزائر رجب 988هـ -1580 (ابن المفتي، 2009:43) خلف الباشا حسن فنزيانو، وكلف في التحقيق بشأن تلك الشكاوي والعرائض المرسلة ضدّ هذا الأخير، غير أنه لم يصدر حكماً في حق فنزيانو بعد تدخل العلج علي الذي كان فنزيانو أحد المقربين إليه، ولمّا كان يتمتع بشهرة ومكانة تدخل لدى أم السلطان العثماني ولدى جعفر باشا حتى ينقذه من الموت المحتّم. (HAEDO,HISTOIRE,2004:188)

أما حكم جعفر باشا بالجزائر فقد اتسم بالعدل، كما سعى إلى تثبيت الأمن والاستقرار بالإيالة. (سامح ألتز، 1989: 263) وأرسل بمحلات إلى الأرياف لتهدئة الأوضاع وفرض النظام ومعاينة المتمردين. (DE Grammont, 1887: 120)

فالانضباط والصرامة التي عرف بها قد ألبت ضده الإنكشارية التي أصبحت تكيد له المكائد لاغتياله والتخلص منه، وقد دبرت لذلك خطة من طرف آغا الإنكشارية وأحد القياد وهو القائد "بندالي"، غير أن خطتهم فضحت، ودون إثارة الانتباه وفي سرية تامة قبض على الآغا وخليفته وأمر الشواش بقطع رؤوس الفتنة وتعليقها عند باب القصر. (HAEDO, HISTOIRE, 2004: 194) وفي نفس السنة التي تولى فيها جعفر باشا قتل القائد "بندالي" حسب ما أورده ابن المفتي. (ابن المفتي، 2009: 43)

رغم اتهام الإنكشارية بالعصيان والتمرد، إلا أن هؤلاء الجند كانت تغذيهم وتسيرهم عناصر تعمل في الخفاء لقلب الأوضاع السياسية في البلاد وفق نفوذها ومصلحتها الخاصة، فتدبير اغتيال جعفر باشا كان من طرف آغا الإنكشارية حتى يجلس هو على كرسي الإيالة، أما الجند فلم تكن إلا عناصر تتفّذ هذه الخطط بغرض الحصول على امتيازات آنية دون أدنى اهتمام بالمحافظة على الاستقرار السياسي للإيالة.

فظاهرة الاغتيال السياسي في عهد البايبريات لم تستقل بشكل خطير ما ميّزها أنها كانت ردود فعل أو تمردات ضد سلطة الباب العالي وولاته في الجزائر مثلما حدث للبايلرباي تكلري، أما المحاولة الثانية الفاشلة ضد جعفر باشا كانت رفضا لهذا الأخير وسياسته التي اتسمت بالصرامة الشديدة، وهذا ما لم يعجب الإنكشارية التي حاولت إبعاده عن طريق اغتياله، إلا أن مساعيها لم تنجح.

2/ الاغتيال السياسي فترة البشوات

شكلت سنة 1587 مرحلة سياسية جديدة بالجزائر خلال الحكم العثماني عندما أصدر السلطان العثماني فرمانا ألغى فيه عهد البايكيات وعوضه بعهد البشوات الذين جعل فترة ولايتهم لثلاث سنوات، أما عن الأسباب التي جعلت السلطان العثماني يصدر مثل هذا القرار، فكان نتيجة الخوف الذي سيطر عليه بفقدانه لإيالة الجزائر التي كانت تكتسي أهمية بالغة للباب العالي نتيجة موقعها الإستراتيجي الممتاز وتوسطها لدول المغرب الإسلامي، ولعلّ هذه المخاوف قد ساهمت الإنكشارية في تأكيدها بقدر كبير، عندما اتهمت حسن باشا بأنه يريد الانفصال عن الأستانة من جهة، ومن جهة أخرى فرنسا التي كانت من خلال سفرائها تغذي وتدعم هذه الحجج، فكان لهذه الأخيرة أثر كبير في هذا التغيير الذي حدّد بثلاث سنوات حتى تحافظ على مصالحها، لأنّ البايكيات كانت فترة حكمهم غير محددة بزمان، وهذا ما يشكل تهديدا لامتيازاتها في حالة استمرار البايكيات لمدة زمنية طويلة.

غير أن الإشكال الذي يطرح في هذا الصدد هل استبدال عهد البايكيات وتعويضه بالبشوات الثلاثين يضمن للسلطان العثماني المحافظة على الجزائر كإيالة تابعة له ويتأكد من عدم انفصالها ؟.

النظام السياسي الجديد الذي اعتمد في حكم الجزائر كما ذهب إلى ذلك الميلي يحمل في طياته بذور فئائه. (الميلي، 1964: 137) لأنّ التغيير في هرم السلطة يجب أن يبنى على أسس سليمة يأخذ في الحسبان الأوضاع السياسية والاجتماعية للبلاد، ويكون فيه اختيار الحكام على أساس الجدارة والقدرة، والتي لم يكن أغلب باشوات إسطنبول يتمتعون بها إلا قليلاً، خاصة بعدما استفحلت ظاهرة

شراء المناصب فكانت واردات الجزائر تسيل لعباطامعين الذين يتسارعون وراء ملء جيوبهم. (التر سامح، 1989: 277)

الأمثلة عن هؤلاء البشوات كثيرة نكتفي بالإشارة إلى يوسف باشا 1633 - 1636، الذي لما علم بأن فرنسا تجهز لحملة ضد الجزائر، وبدعوى أن المدينة تحتاج إلى التحصين رفع من قيمة الضرائب التي كان سكان المدن والأرياف يدفعونها، إلا أنه بنهاية جوان 1636 غادر إلى إسطنبول بانتهاء مدة ولايته مع كل تلك الأموال دون تحصين المدينة كما كان ينوي. (DE GRAMMONT , 1887 : 184)

تدل مثل هذه التصرفات على سوء اختيار الباب العالي لولاته بالجزائر، فمنصب الباشا أصبح يمنح لكل من هبّ ودبّ يكفي أن يشبع جشع أصحاب الشأن في إسطنبول، وما زاد من هشاشة هذا النظام مدة الحكم القصيرة التي لا تمكن الباشا من الاهتمام بكل شؤون الإيالة، ناهيك على أن الباشا الذي يخلفه ليس على اطلاع بتشعبات الحياة السياسية وتعقيداتها، وهذا ما أشار إليه ابن المفتي في قوله "...تعاقب هؤلاء على الحكم في ولايات متقاربة، كان أهل الجزائر ضحية لشهرهم حتى أنهم أحيانا كانوا يغرمون العلماء وعدول المحكمة بدفع مبلغ معين" (ابن المفتي، 2009: 64).

ما يلاحظ على حكم الباشوات أن ولايتهم تكررت لأكثر من مرة، وهذا الجدول التالي الذي استقينا معلوماته من ابن المفتي يثبت ذلك، إذ أورد حكم ثمانية باشوات تكررت ولايتهم لأكثر من مرة.

جدول يمثل الباشوات الذين تكررت ولايتهم

الولاية الأولى	الولاية الثانية	الولاية الثالثة	الباشا
1589هـ-997	1595هـ-1003	1603هـ-1013	خضر باشا
1594هـ-1003	1610هـ-1019	/	مصطفى باشا
1600هـ-1009	1617هـ-1026	/	سليمان باشا علج
1618هـ-1027	1627هـ-1036	1632هـ-1042	حسين باشا
1619هـ-1028	1624هـ-1033	/	خسرف خوجة
1634هـ-1044	1640هـ-1050	1647هـ-1057	يوسف باشا
1644هـ-1054	1656هـ-1066	/	أحمد باشا
1656هـ-1066	1657هـ-1067	/	إبراهيم باشا

تعرض أغلب الباشوات الذي حكموا خلال هذا العهد إلى ضغوطات كثيرة من طرف الديوان المكون من الإنكشارية، وهذا ما أشار إليه وولف نقلا عن D'ARANDA قوله "إنَّ الباشا كان يعترف بنوع من الخضوع الشكلي للسلطان، ولكنه لا يعيره أدنى اهتمام، فكان الجند يخيفونه أكثر من السلطان"(وولف، 2009:137).

ولأن شغب الإنكشارية طفى إلى السطح في عهد البايليربيات، فإنه قد استمر في عهد الباشوات، وهذا ما جعل هؤلاء يبحثون عن طريقة للتخلص منهم.

2-1/ صراع الباشوات والإنكشارية

يعتبر الخضر باشا أول الباشوات الثلاثين، يعود تاريخ توليته إلى شهر رمضان 997هـ-1589 (ابن المفتي، 2009:44)، وصف من طرف المصادر الأجنبية بالطاغية المستبد، ما ولد حسب هايدو عدم رضى السكان على حكمه. (HAEDO 221: HISTOIRE, 2004) ركز هذا الباشا على تشجيع الغزو البحري باعتباره الدخل

الذي ينعش الخزينة ويؤمن المال اللازم لمعاشات الإنكشارية، وعلى إثرها تمكن الرياس من مهاجمة مدينة مارسيليا بعدما سمح لهم بذلك السلطان العثماني مراد الثالث¹⁵.

بيد أن الخضر باشا عرف حكمه معارضة داخلية تزعمتها الإنكشارية، وبعد اجتماعهم بالديوان قرروا إرسال وفد على رأسه قائد طائفة الرياس لعزله، لكن السلطان العثماني لم يصدر قرارا سريعا اتجاه هذه الشكوى. وذلك للنظرة السلبية التي أخذت عن الأوجاق المتمردة العاصية (HAEDO, HISTOIRE, 2004 : 222-223)، ورغم ذلك فالخضر باشا بعد عودته إلى إسطنبول سنة 1592 سجن بسبب هذه الشكوى¹⁶.

استطاع الخضر تبرئة ذمته من هذه الاتهامات لدى الباب العالي منتظرا الفرصة المناسبة للعودة في ولاية جديدة حيث ثم له ذلك شهر ذي الحجة 1003 هـ - سبتمبر 1595، وهذه المرة عاد حاملا مشروعا يهدف إلى الحد من نفوذ الإنكشارية، إذ اعتمد في مواجهتهم على تقريب العناصر المهمشة منهم الكراغلة أبناء أمهات جزائريات، والسكان المحليين حيث سمح بتسليحهم، حتى يكونوا بمستوى قوتهم، وهذا ما أدخل أطراف الصراع في نزاعات دامية شهدتها مدينة الجزائر. (CAT, 1888 : 276)

15- مراد خان الثالث ولد بالقسطنطينية 5 جمادى الأولى 953 هـ - 1546، قتل إخوته وهم خمسة ليؤمن على الملك، توفي في 1595، كان له من العمر خمسون سنة، استمر في الملك إحدى وعشرين سنة، كان شاعرا مجيدا فطنا ليبيا. أنظر: (فريك بك: 226).

16 - PECHOT, L, *Histoire De l'Afrique Du Nord Avant 1830*, Ed Gojossio Imprimerie Editeur, Alger, 1914, p65.

ولم يتوقف الخضر باشا عند هذا الحد، بل تصدى إلى النفوذ الفرنسي المتزايد خاصة بعد ازدهار تجارتهم في حوض البحر الأبيض المتوسط.

فالسياسة التي انتهجها الخضر باشا كانت تهدف إلى تقوية الإيالة على الصعيدين الداخلي والخارجي، إلا أنها انعكست عليه سلبا بسعي الإنكشارية إلى إنقاذ كيائها المهدد بالزوال، كما سيتمكن الفرنسيين من عزله، إذ خلفه على الباشوية الباشا مصطفى 1596-1599.

ورغم تنحيته إلا أنه عين لولاية ثالثة لما تميز به من مقدرة سياسية في إدارة شؤون الإيالة والمحافظة على الاستقرار بها. إذ تزامنت هذه الولاية مع سنة 1013هـ-1603 (ابن المفتي، 2009: 45)، هذه المرة جاهر الخضر باشا بعدائه للفرنسيين، حيث أصدر أوامر بتحطيم الباستيون في القالة ما نتج عنه قتل بعض العمال وأسر آخرين. (DE GRAMMONT, 1887: 145)، وما زاد من الأمر سوءا اعتداء الرياس الجزائريين على السفينة التي كانت متوجهة إلى فرنسا وعلى متنها التعويضات اللازمة للخسائر الفرنسية (ألتر سامح، 1989: 315)، وهذا ما اعتبره الملك الفرنسي هنري الرابع إهانة لشرف فرنسا، وعلى إثرها تقدم بشكوى إلى الباب العالي الذي قرر إعدامه (DE GRAMMONT, 1887: 145)، وحسب شاهد قبره توفي مخنوقا سنة 1013هـ على يد كوسة مصطفى خديم الباب العالي¹⁷.

كانت المشكلة التي أرقت الباشوات خلال هذا العهد هي أجور الإنكشارية، ولذلك سعى الباشوات إلى تشجيع الغزو البحري الذي يعتبر مصدرا هاما لخزينة الدولة كما لجأوا إلى فرض جباية الضرائب على السكان، إلا أنهم رغم جهودهم اصطدموا بعدم توفر المال الكافي لاستيفاء أجور الجند، ما جعلهم عرضة لغضب

17 -DEVOULX A ,La Tombe De Khedeur Pacha A Alger, IN, R A, N°16, 1872 ,p277.

الأوجاق التي تريد رواتبها في وقتها المحدد، نذكر من هؤلاء حسين باشا الذي تولى 1023هـ-1614، وقد أشار ابن المفتي أحد المصادر التي تحدثت عن هذا العهد، أن هذا الباشا حبس في 29 رمضان 1025هـ لعدم تمكنه من دفع رواتب الإنكشارية، لكنه أخرج ثانية، حيث هبط من الحبس ودخل في الخطة 24 رمضان 1027هـ-1618. (ابن المفتي، 2009: 46).

وقد أشارت المصادر الأجنبية هي الأخرى إلى الصعوبات المالية التي كانت تهدد حكم الباشوات، من هؤلاء أحد الآباء الذين كانوا يأتون إلى الجزائر لتحرير الأسرى المسيحيين حيث قال "...على الباشا عائق توفير المال اللازم للجند، فإذا لم يوفر أجور الإنكشارية، فإنه يتعرض إلى سوء المعاملة ودخول السجن"¹⁸.

تعرض يوسف باشا في ولايته الثانية 11 صفر 1050هـ-1640 (ابن المفتي، 2009: 52) إلى دخول السجن، حيث تعود ظروف سجنه إلى الأزمات السيئة التي عرفها عهده بانتشار الطاعون لمدة ثلاثة سنوات وما خلفه من ضحايا، ما أثر على الغزو البحري والغنائم التي كانت تغني الخزينة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أعاق عمل المحلات التي كانت تخرج للأرياف قصد تحصيل الضرائب، كما عرف عهده أزمة أمنية وعدم استقرار داخلي بعد اندلاع ثورة تزعمها سكان منطقة القبائل الرافضين لدفع الإتاوات المفروضة عليهم، فالأزمات المتوالية جعلت الجند ينقلبون على الباشا حيث تم زجه في السجن لعدم استطاعته التحكم في الوضع. (DE GRAMMONT, 1887: 191.192).

18- BOYER PIERRE, *Alger En 1645d'après Les Notes Du R.P.Hérault*, in ROMM, N°17, Paris, 1974, p21.

ولحق نفس المصير بأحمد باشا المعروف بتوشان باشا في 22 رمضان 1065هـ-1655 (ابن المفتي، 2009: 53)، وذلك بعد تمرد الجند بوضع القدور مقلوبة، والسبب في ذلك انتشار الوباء أو ما يعرف بالطاعون الأكبر سنة 1654 ما انعكس على قلة المداخل (DE GRAMMONT, 1887: 203)، وهذا ما عرضه لدخول السجن لعدم تمكنه من دفع معاشات الإنكشارية في أوانها.

والأزمة الخطيرة الأخرى التي هددت الوجود العثماني في الجزائر خلال هذا العهد هو التمرد الذي تزعمه الكراغلة، بعد التهميش الذي لحقهم وعدم السماح لهم المشاركة في الحياة السياسية بعد أن كانوا قوة استعان بها الحكام منهم البايبراي حسن ابن خير الدين والخضر باشا لإخضاع الإنكشارية.

كانت محاولتهم الأولى سنة 1629، حيث اعتمدوا في خطتهم على تصفية الإنكشارية كمرحلة أولى، لكن استطاعت هذه الأخيرة من السيطرة على الأوضاع وإبعاد الكراغلة خارج المدينة¹⁹، ولحق الطرد بالكراغلة المكونين للديوان. (DAN 112: 1646)، إذ تفرق هؤلاء في مناطق مختلفة، منهم من اتجه إلى واد الزيتون حيث أطلقت عليهم تسمية الزواتنة، ومنهم من التحق بمنطقة القبائل، وذلك حتى ينظموا أنفسهم ويعيدون هجومهم على مدينة الجزائر، وكان ذلك بعد خمسة سنوات من المحاولة الأولى أي سنة 1633، حيث دخل 57 كراغليا خفية بأسلحتهم وصعدوا إلى القصبة. (BOYER, LE PROBLEME, 1970: 83)

لكن انكشف أمرهم للمرة الثانية والتي كانت أخطر من الأولى كادت أن تفجر المدينة، لأن القصبة كانت تحتوي على البارود ما كان سيتسبب في دمار

19-BOYER PIERRE, *Le Problème Khoulloughli Dans La Régence d'Alger*, in ROMM, Paris, 1970, p83.

المدينة، وقد تعرض الكراغلة نتيجة هذا العمل إلى نقمة الأتراك حيث تم إبعادهم عن المناصب العليا في الدولة، وهذا ما أورده خوجة في قوله "...رغم ذلك ظلوا يتقاضون أجورهم من الحكومة خوفا من إثارة سخطهم[...]. لقد بلغت الإهانات التي كانت تسلط عليهم لدرجة أن سكان الجزائر من الكراغلة لم يعودوا يهتمون بالسياسة لا في اجتماعاتهم ولا أمام الملأ. (خوجة، 2006: 117-120)

ما يمكن استنتاجه عن الوضع السياسي خلال هذا العهد أنه لم يعرف حالات اغتيال في حق الباشوات المعينين، عدا إعدام الخضر باشا بأوامر من الباب العالي، وتمرد الإنكشارية واستيائها من الباشوات لعدم مقدرتهم على توفير مرتباتهم وذلك في حق ثلاثة منهم كما سبق الإشارة إليهم، لكن لم تصل بهم الجرأة إلى حد تنظيم عملية اغتيال ضدهم، كما سيحدث ذلك وبشكل خطير في العهدين اللاحقين.

3/ الاغتيال السياسي فترة الأغوات

يمثل عهد الأغوات المرحلة الثالثة للحكم العثماني في الجزائر، أو عهد استئثار الأوجاق بالحكم، أما الأسباب التي شجعت على قلب النظام تعود إلى السياسة المالية التي انتهجها إبراهيم باشا، والضيق الذي أصبح عليه الرياس، بعد أن استولى هذا الباشا على المنحة التي أرسلها السلطان العثماني مقابل مساعدة الأسطول البحري الجزائري²⁰، ما خلق استياء لدى الإنكشارية والرياس التي زجت

20- خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، الط. 01، 1969، ص56.

به في السجن، ما سيحرم البشوات لاحقا من ممارسة السلطة، وكخليفة له عين علي باشا.²¹

ويكمن السبب الثاني في سياسة البشوات نفسها، الذين ركزوا على خدمة مصالحهم والحصول على الثراء السريع وجمع المال خاصة في أواخر عهدهم ثم العودة إلى إسطنبول، فكان جشعهم سببا في إبعادهم عندما طالب آخر البشوات بنسبة 12 % من مداخيل الغنائم البحرية. (ROZET ET CARETTE , 1980:244)

ما جعل الأزمة تحدد لتنفجر سنة 1659 بتغيير جذري للسلطة السياسية، وقد تم الإعلان عن إلغاء نظام البشوات في اجتماع الديوان وتعويضه بالأغوات لمدة شهرين قمرين، وبذلك أصبحت الجزائر نتيجة هذا التغيير الذي ترعّمته الانكشارية جمهورية عسكرية، حيث اعتبر "DE GRAMMONT" هذا التغيير حلقة من حلقات الصراع بين الإنكشارية والرياس. (DE GRAMMONT, 1887:269).

جعلت هذه الأحداث علي باشا يكتب تقريرا حول الأوضاع التي تعصف بالإيالة إلى الصدر الأعظم كوبرولي باشا، هذا الأخير كان ردّ فعله عنيفا بإعدام علي باشا، كما أصدر أمرا بقطع العلاقة بين الجزائر والباب العالي، فانقطاع الصلة تواصل إلى وفاته (BOYER, LA REVOLUTION, 1973:162) وخلفه كصدر أعظم ابنه أحمد سنة 1661 الذي ربط العلاقات من جديد مع الإيالة، وتعيينه لإسماعيل كباشا إلى جانب الآغا في الجزائر، لكن لم يستطع هذا الأخير الاستحواذ على السلطة لوحده، وهذا ما جعله يلتجأ إلى الطرق الملتوية والعمل في الخفاء بالتآمر مع الدول الأوروبية. (ألتر سامح، 1989: 288)

21- BOYER PIERRE , *La Révolution Dites Des Aghas Dans La Régence d'Alger 1659-1671*, in ROMM, N°13-14, Paris, 1973, p162.

فالباشا بعد هذا التاريخ أصبح وجوده صورياً، حيث انتزع منه حق دفع أجور الجند باعتبارها المشكلة التي كانت تؤرق حكمهم وبثت الفوضى والتمرد في صفوف الإنكشارية، وقد أورد ابن المفتي السبب الذي جعل الديوان ينزع حق دفع أجرة الإنكشارية من الباشا في قوله "...ماداموا يتولونها، فإنهم ينتفعون باختلاس الأموال المجلوبة من القصر من جهات مختلفة". (ابن المفتي، 2009: 64)

وقد أجمل "منور مروش" حكم الأغوات بأنه نوع من الجمهورية العسكرية المنبثقة مباشرة من جماعة الإنكشارية، الذي أقيم سنة 1658-1659 واستمر إلى سنة 1671 في شبه فوضى مستمرة تتخللها انقلابات عسكرية دامية لم يكن قادتها يتحلّون بمقدرة سياسية إلا نادراً (مروش، 2009: 330)، وقد تداول على الحكم خلال هذه الفترة التي استمرت 12 سنة أربعة أغوات عرفوا نفس النهاية الدموية كما سنبين ذلك.

3-1 / خليل بولكباشي 1660

افتتح البولكباشي خليل عهد الأغوات، هذا الأخير كان من جملة الساخطين على سياسة الباشوات، بترجمته لتمرّد ضد آخر الباشوات الذي أطاح به وجلس هو مكانه، في هذه الفترة أصبحت علوفات الجند²² من اختصاص خليل بولكباشي، هذا الآغا الذي عين شهر ذي القعدة 1070هـ-1660. (ابن المفتي، 2009: 54)

أسندت لخليل بولكباشي صلاحيات الباشا وشارك معه الأغوات المعزولين الحكم حيث اختصوا بمراقبة الضرائب التي تجبى وكذلك أرباح القرصنة

22- علوفات: لفظة عربية تعني المواد الغذائية اللازمة للإنسان و الحيوان، وهو الراتب الموسمي الذي كان يدفع للإنكشارية كل ثلاثة أشهر، والكلمة أخذت من علف الحيوانات، وهي خاصة بعلف دابة الخيال، أنظر: (صابان سهيل ، 2000: 155)

(244: BOYER, 1973)، وبذلك فقد أشرفوا على الجهاز الأكثر حساسية في الإيالة، رغم ذلك فقد تمكن الآغا بفضل سياسته المالية الرشيدة من تحصيل جريات الجند في وقتها وأودع الفائض في الخزينة (محرز، 2011: 87) ولهذا مددت الإنكشارية فترة ولايته والتي لم تدم طويلا، لأن خليل بولكباشي تشبّت بكرسي الحكم ولم يرد تركه، ولذلك دبّرت خطة لاغتياله في آخر أيام شهر محرم 1071هـ. سبتمبر - أكتوبر 1660. (ابن المفتي، 2009: 54)

3-2/ رمضان آغا: 1660-1661

عين رمضان آغا في نفس اليوم الذي قتل فيه سلفة الآغا خليل بولكباشي عرف باسم يورك رمضان (ابن المفتي، 2009: 54)، وإليه يعود الفضل في عودة العلاقات الجزائرية العثمانية بعد انقطاعها بإرساله لوفد إلى الأستانة لإصلاح الأوضاع، وعلى إثرها وصل بوشناق إسماعيل برتبة باشا للجزائر إلى جانب الآغا كمظهر سياسي من مظاهر العلاقة. (BOYER, LA REVOLUTION, 1973 : 164).

اتخذ رمضان آغا بخلاف سابقه من البادستان مركز حكمه، حيث فيه يصدر الأوامر والأحكام التي يتخذها (ابن المفتي، 2009: 54)، ولقد عرف عهده توتر العلاقات الخارجية خاصة مع إنجلترا كما يشير إلى ذلك ابن رقية في قوله: "في سنة إحدى وسبعين وألف أتت عمارة الإنكليز لتجديد الصلح الذي رفض الجزائريون شروطه، فلما يئس اللعين شرع بالرمي إلى الأبراج [...] فلم تمض ستة أشهر وفي مرسى الجزائر اثنان وستون مركباً من الإنجليز". (ابن رقية، 1976: 19-20)

سنّ هذا الآغا نظاما جديدا يعتمد على تقسيم أسلاب البحر بين الحكومة والرياس (BOYER, LA REVOLUTION, 1979 : 164)، لكنه لم يلق قبولا لدى هؤلاء، بل خلق

استياء عندما أقدمت الحكومة على شراء غنائم البحر بثمان بخت ما قلص أرباحهم، وفي هذه الفترة أيضا تدهورت العلاقة مع الفرنسيين وكان السبب في ذلك تحطيم الباستيون الذي كان من الامتيازات الفرنسية، وهذا ما جعل السكان يرفضون دفع الضرائب وأظهروا عصيانهم للسلطة المركزية²³.

فالأزمات المتكررة التي عرفت الإيالة في عهد رمضان آغا جعلته عرضة لنهاية دموية مأساوية، غير أن السبب المباشر في اغتياله يشير إليه D'Aranda معتبرا أن حصة القمح التي لم يكن له الحق في أخذها قد ألبت عليه الرياس، ما أدى بهم إلى قطع رأسه سنة 1661 ورموا جثته للكلاب مع ثمانية وعشرين شخصا من مجلسه²⁴. إلا أننا نلاحظ تضاربا في الشهر الذي قتل فيه، فهناك من يذكر تاريخ 10 أوت 1661. (BOYER, LA REVOLUTION, 1973: 165)، بينما أورد ابن المفتي تاريخ 15 محرم 1027 هـ - 1661 بالبادستان مركز حكمه مع حراسه. (ابن المفتي، 2009 : 55)

3-3/ شعبان آغا 1661-1665

وصف الآغا شعبان بأنه كان رجلا مدبرا، لكنه أسير شهواته (ألتر سامح، 1989: 389) وبخلاف سابقه لم يكن من أصل تركي بل علجا برتغاليا (BOYER, LA REVOLUTION, 1973: 166)، خلال هذه الفترة أخرج الجند إبراهيم باشا من

23 -DE GRAMMONT .H ,Relation Entre La France Et La Régence d'Alger Au XVII Siècle ,éd Adolphe Jourdan librairie éditeur ,Alger, 1879, p218.

24 -D'ARANDA E ,Les Captifs D'Alger ,éd Rocher Jean Paul ,Etablir Z'Rari Latifa ,Paris, 1997, p99.

سجنه حيث هدف هذا الأخير إلى تنظيم خطة اغتيال في حق شعبان آغا انتقاماً منه بعدما تسبب في دخوله السجن، لكن استطاع إحباط مؤامراته. (D'ARANDA, 99: 1997) وهذا مثال يعكس تدخل العوامل الشخصية كالانتقام في التخلص من الحكام خلال هذا العهد بالجزائر ولحماية شعبان آغا نفسه من النهاية المأساوية اهتم بتوفير المال اللازم حتى يستوفي أجور الجند في وقتها وليضمن استمراره في الحكم وليتفادى الفوضى والانقلابات، لأن أي تماطل أو تأخر سيدفع حياته ثمناً له.

فرغم السياسة المالية الجيدة التي اتبعتها، إلا أن ظروف أخرى لم تشجع على استمراره في حكم الإيالة، منها الكوارث الطبيعية التي كانت الجزائر عرضة لها أهمها الهزة الأرضية التي تسببت في تحطيم جزء من الميناء، كما انتشر وباء الطاعون الذي خلف الكثير من الضحايا، وقد ساهم العامل الخارجي في تدهور الأحوال، ومن ذلك استيلاء الدوق بوفورت الفرنسي خلال ربيع سنة 1662 على عشرين سفينة جزائرية. (GRAMMONT, RELATION, 1879: 222)

العداء الذي أظهرته فرنسا ترجمته في حملة أخرى وهذه المرة أكثر تنظيماً قادها نفس الدوق على مدينة جيجل، وقد أوعز "قنان" الأسباب التي جعلت فرنسا تهاجم جيجل دون مدينة الجزائر إلى عاملين أساسيين أولهما اقتصادي لوفرة

الخشب وازدهار التجارة وثانيهما عسكري بضعف التحصينات العسكرية بالمدينة²⁵. وبذلك تتمكن الحملة من التفوق والزحف إلى البر بكل سهولة.

وليتجنب شعبان آغا خطر الحملة أثر الصلح بمراسلة الملك لويس الرابع عشر يقترح عليه التفاوض وحلّ الأمور سلمياً، غير أنّ هذا الأخير رفض أي عرض للصلح. اعتمدت فرنسا في خطتها الحربية على تقسيم قواتها إلى قسمين، حيث أسندت القسم الأول من الجيش إلى القائد بول والجنرال دوكين، بينما أشرف القائد كدان والدوق بوفورت على القسم الثاني. (PECHOT, 1914 :87).

وصلت هذه القوات مدينة جيجل شهر جويلية 1664 حيث استطاعت إخضاعها بعد مقاومة ضعيفة من السكان وذلك لقلة عدتهم، لكن هذه الهزيمة التي مني بها السكان ستتحول إلى نصر للجزائريين بعد وصول الإمدادات من مدينة الجزائر وانضمام سكان المدن المجاورة إليهم مستغلين النزاع بين قادة الحملة الذي تسبب في ضعفهم واختلاف آرائهم. (DE GRAMMONT, 1887:224)، وكان السبب الثاني في هزيمتهم يعود إلى نقص الماء والمؤونة وتفشي المرض في صفوفهم ما جعلهم غير قادرين على المواصلة، عندها صدرت أوامر برفع الحصار والمغادرة²⁶، وضاع بذلك حلم لويس الرابع عشر وقادته بالسيطرة على مدينة جيجل.

رغم الهزيمة التي منيت بها القوات الفرنسية، إلا أنها ظلت تترصد سفن الرّياس محاولة الانتقام لخسائرها، ومن ذلك مطاردة الدوق بوفورت مراكب الرّياس

25- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص75.

26- قتل في هذه الحملة ألف وخمسة مئة قتيل وخمسة مئة أسير، وضاعت المئات من المدافع الفرنسية: أنظر (قنان، 1987 : 77)

حيث تمكن في 17 فيفري 1665 من إحراق ثلاثة منها وفي 24 من شهر أوت سنّ هجوما على مدينة شرشال حيث أحرق سفينتين وأخذ ثلاثة أخرى مع ثلاثة عشرة مدفعا. (GARROT, 1910: 479)

فالخسائر التي لحقت بالبحرية الجزائرية، حمل الإنكشارية تبعاتها للآغا شعبان الذي اعتبروه شؤما عليهم خاصة في ظل تواصل الوباء الذي فتك بالسكان، ولهذا نظموا مكيده للتخلص منه عن طريق اغتياله سنة 1665.

إلا أنّ ما يمكن الإشارة إليه أنّ شعبان آغا استطاع أن يبرهن على جدارته ومقدرته في تسيير الإيالة ما مكنه من الاستمرار في الحكم لمدة خمسة سنوات بخلاف سابقيه الذين لم يستمروا طويلا.

3-4/ علي آغا 1665-1671

يطلق عليه الحاج علي، بعد أدائه فريضة الحج، إذ أجمعت المصادر المحلية والأجنبية على تعداد شمائله وخصاله، حيث يعتبره "دارفيو" رجلا عاقلا، بينما يصفه "دولكروا" بالوقار، كما عرف بانضباطه في تقديم رواتب الجند (BOYER 1973: 166)، وقد أولى علي آغا اهتماما بالعمران وتشجيعه للعمل البحري. (خير فارس، 1969: 67)

وعن المهام التي خولها الديوان لعلي آغا ما أورده ابن المفتي في قوله: "قد أوفدوا إليه حكم الجزائر وعلوفات الجند، كما أضافوا إليه حكم عموم البلد، وهو أول من حمل لقب حاكم لأنه لم يشرك معه أحد" (ابن المفتي، 2009: 55)، إلا أنّ المراسلات التي كانت بين إسماعيل باشا والفرنسيين تنفي بأن يكون علي آغا لوحده في السلطة فخلال شهر جوان 1666 بعث إسماعيل باشا برسالة إلى ملك

فرنسا لويس الرابع عشر، وتبعها برسالة أخرى سنة 1668 وسنة 1669، فهذه المراسلات كلها تثبت تواجد إسماعيل باشا على أرض الإيالة ومشاركته في الأحداث التي تخص الجزائر.²⁷

وعن أهم الإنجازات التي حققها خلال فترة حكمه تعديله للديوان الذي كان يشكل عند اجتماعاته فوضى عارمة، واستبداله بالديوان الصغير المكون من الموظفين السّامين والخوجات وآغا الإنكشارية والكاھية وأربعة وعشرون أياباشي وأربعة وعشرون بولكباشي وأربعة وعشرون أوضباشي. (محرز، 2011: 111)

ويعتبر عهد هذا الآغا من أزهى فترات الإيالة وأفضلها وذلك بشهادة ابن المفتي الذي استرسل في وصف الرخاء الذي أصبحت عليه الجزائر خلال فترته في قوله: "فقد أثرى التجار وعاش الناس في رخاء وتحمسوا لتسليح أجفان الحرب وتهيئة العمائر لجلب الغنائم وحاز الناس على غنى وافر في الذهب والفضة وأقاموا الدور وأحسنوا تزيينها [...] وساد الترف العظيم." (ابن المفتي، 2009: 66).

أما سياسته الخارجية، فكانت أكثر تسامحا خاصة مع فرنسا التي وقّع معها معاهدة بتاريخ 7 ماي 1666 (قنان، معاهدات، 1987: 80)، لكن هذا التحول من حالة الحرب والصراع إلى حالة الوفاق والسلام تثير أكثر من سؤال، ولعل الأسباب التي جعلت العلاقات الجزائرية الفرنسية تتحسن بهذه السرعة، هو سعي ملك فرنسا لويس الرابع عشر لضمان حياد الجزائر خلال حربه ضد بريطانيا من جهة، ومن جهة ثانية تدخلت المصالح الشخصية في هذا التغيير، وذلك ليحافظ إسماعيل باشا على باشويته للجزائر وليضمن استمراريته فيها فضل مساندة الفرنسيين

27-PLANTET EUGENE, *Correspondance Des Deys d'Alger Avec La Cour De France 1579-1833*, T01, Paris, 1889, pp 64-66.

وترضيتهم، خاصة إذا علمنا الحظوة التي تتمتع بها فرنسا لدى السلطان العثماني وهذا ما أشار إليه "سامح ألتر" في قوله "رغبته للاستحواذ بالسلطة جعله يلتجئ إلى الطرق الملتوية والعمل في الخفاء" (سامح ألتر، 1989: 398). وما يثير التساؤل رفض الديوان لعرض إنجلترا القاضي بمنح الجزائر ثلاثين سفينة حربية مقابل إعلان الحرب على فرنسا. (GARROT, 1910: 497)، وهذا برهان واضح يبين تدخل أطراف معينة لخدمة أهدافها حيث مالت الكفة للفرنسيين على حساب الإنجليز وهنا نلاحظ تفوق لغة المصالح على أية مصلحة أخرى وإن كان على حساب قوة البلاد واستقرارها.

فاليسر الذي أصبحت عليه الجزائر كدّرت الحملات الخارجية المكثفة ضدها والتي أزمّت الأوضاع، فخلال سنوات 1669-1670-1671 اتحدت السفن الأوربية وشكلت تحالفا ضد سفن الرياس الجزائريين (PECHOT, 1914: 89)، أما هؤلاء فقد لاحظوا أن سياسة علي آغا المتفتحة على الدول الأوربية أثّرت سلبيا في تحصيل الغنائم التي بدأت في التناقص، ما جعل الرياس يردّون بالمثل بمهاجمة السفن الأجنبية، ومن بينها السفن الفرنسية التي احتجت على هذه التصرفات، وهذا ما جعل علي آغا يقدم على معاقبة ثلاثة من الرياس وذلك بإصدار حكم الإعدام في حقهم. (المدني، محمد عثمان، 1986: 41).

الظروف السيئة التي مرت بها البحرية جعلت طائفة الرياس ترفع شكاوي في حق علي آغا متهمة إياه بإهمال البحرية، لكنه استطاع تبرئة ذمته من هذه التهمة بتدخل فرنسا لدى الباب العالي، وأمام استمرار الأوضاع على حالها رتب الإنكشارية لتمرده ضده لكن تمكن من إفشاله والنجاة بنفسه. (سامح ألتر، 1989: 398).

فحفاظا على حياته من النهاية التي وصلها سلفه كان الحرس يرافقونه كل ليلة حتى داره ويعودون إليه في الصباح الباكر. (ابن المفتي، 2009: 66) لكن الاحتياطات التي اتخذها لم تحل بينه وبين الاغتيال، الذي تكلل بالنجاح هذه المرة إذ نجد ذكرا للحادثة عند ابن المفتي في قوله: "كان هذا الأمير يتلهى مع بعض الحضر، من بينهم بن طوبال وبن المهدي، لما أدركه بعض البائسين بطلقة نار في سوق التماكين"²⁸، ووثب يتبعهم لكنه سار بضع خطوات ثم فقد وعيه واندفع هؤلاء وقطعوا رأسه" (ابن المفتي، 2009: 66). وقد مثّل بجثته وأرسل رأسه للسوق إهانة له بعد موته، كما جاء الدور على زوجته التي عذبت لتقر بمكان المال المخبيء.

دخلت الجزائر بعد هذا الاغتيال في فوضى عارمة، فقد استغل الجند حالة الفراغ السياسي في الإيالة، إذ استولوا على القسبة وأخذوا أموالها. (DE GRAMMONT, 1887: 220)

توالى تعيين الأغوات، ففي ظرف ثلاثة أيام عين من خمسة إلى ستة أغوات كلهم عرفوا النهاية الدموية نفسها. فالأغوات الأربعة الذين تم تعيينهم انتهت حياتهم بالاغتيال، فمنهم من استمر أشهراً، ومنهم من استمر سنوات، وبذلك شكل عهد الأغوات أقصر عهود الحكم العثماني بالجزائر وأكثرهم انتشاراً لظاهرة الاغتيال السياسي.

28- التماكين اصطلاح يعني الأحذية المستعملة القابلة للإصلاح. أنظر (ابن المفتي، 2009: 66)

الفصل الثالث :الاغتيال السياسي خلال عهد

الدايات 1830-1671

❖ اغتيال الدايات "عهد الازدواجية"

❖ اغتيال الدايات "عهد الأحادية"

عهد الدايات 1671 - 1830

عهد الدايات آخر الأنظمة السياسية وأطولها زمنا، حصل هذا الانقلاب في الحكم بعد فترة الأغوات الدامية، حيث أصبح الكل يتحاشى الجلوس على كرسي الحكم، غير أن العامل الخارجي هو الآخر كان له بالغ الأثر في هذا التغيير، وذلك حينما هاجم الانجليز بقيادة القائد سبراغ مدينة بجاية في 09 ماي 1671، حيث حرق اثنتا عشر سفينة كما عاود الكرة على مدينة الجزائر التي أحرق بها ثلاث سفن. (RELATION, 1879:233). GRAMMONT ما أثار ثائرة الرياس، ورغم محاولات علي آغا تطويق الأمر والتصدي لهم بالقبض على عدد منهم غير أن الأوضاع خرجت على السيطرة.

حالة الفوضى وعدم الاستقرار جعلت الانكشارية والرياس ينادون بمحمد تريكي وهو أحد الرياس السابقين حاكما عليهم، ولأن هذا المنصب كان يشكل خطرا على صاحبه اشترط التريكي لقبول الوظيفة الحصول على صلاحيات واسعة، وذلك ليتمكن من وضع الحد لنفوذ الديوان الذي أصبح يتدخل في شؤون الحكم (مروش، 2009: 336). ومن هنا بدأت فترة الدايات برئاسة الداوي.

الداوي

باللغة التركية تعني العم، وتعتبر في أحيان أخرى عن البطل (PARADIS, 1898:98) فهو إذن السيد الأول والمطلق في البلاد يتولى تطبيق العدالة¹، ففي حالة الاستقرار السياسي في الإيالة يتم اختيار الداوي من الموظفين الساميين في الدولة وهم الخزناجي، خوجة الخيل، وآغا العرب. أما المراسيم المتبعة في تنصيبه فيكون بحضور جميع الانكشارية، حيث يتولى الآغا الإفصاح عن اسم المرشح وعندما يتفق المجتمعون على

1 - PEYSSONNEL J. A , *Voyage Dans Les Régences De Tunis Et d'Alger* ,Présentation et notes Valensi lucette, éd La Découverte, Paris, 1987,p229.

أحدهم يلبسونه القفطان ويقتادوه إلى مجلسه (TASSY,1725: 214-215)، وعندها يتقدم كل من القاضي والمفتي الحنفي ليتلوا على الداى واجباته اتجاه رعيته، وبأن الله كلفه بحكم هذه البلاد وقيادة جيشها وعليه معاقبة المخالفين والمحافظة على دفع الأجور في أوقاتها والحرص على أمن البلاد. (حماش، 1998: 35)

فالداى رغم إقرار أوجاق الجزائر به كحاكم عليهم، إلا أنه كان يبحث عن الشرعية من السلطان العثماني ليظفر بفرمان التعيين والخلة السلطانية، ولهذا كان يتوجه بتقرير يبعث به إلى الباب العالي ليطلع على التغيير الحاصل في السلطة الحاكمة في الإيالة شارحا له دوافع هذا التغيير، وفي نفس الوقت يلتمس من السلطان الاعتراف به.

أما في الحالات الاستثنائية كالاستيلاء على السلطة بطريقة العنف، فغالبا ما يجلس المخططين أحدا منهم حيث يلبسونه قفطان الداى المغتال وهو ملطخا بدمه معلنين ذلك للعامة بطلقات مدفعية منصبين في أعلى القصر راية خضراء كعلامة على انتهاء القتال داخل القصر وعودة الهدوء. (GRAMMONT, 1887: 288)

فالشخص الذي يقبل بهذا المنصب كانت تفرض عليه شروط صارمة واجب عليه التقيد بها واحترامها، فلم يكن يسمح له بإسكان زوجته في قصره، ولا بزيارتهم إلا في نهاية الأسبوع بعد ظهر يوم الخميس. (PARADIS, 106: 1898)، كما هو مجبر على الجلوس يوميا على كرسيه من الصباح إلى الظهر، وما بعد الظهر إلى غاية العصر، وإليه يرجع الفصل في الأمور الدينية والقانونية. (PEYSSONEL, 1987: 229) ومن مهامه تعيين وزرائه وبايات المقاطعات الثلاثة.

كان الداوي يوصف بالحاكم المستبد والسيد المطلق، ذكرته المحاكم الشرعية بالأمين الهمام فخر الملوك العظام مولانا الدولاتلي.² (سعيدوني، ورقات، 1999:216).

لكن رغم مكانته العليا وسلطته المطلقة إلا أنه كان مهددا بالانقلابات والاغتيالات التي حدثت من صلاحياته وجعلته حبيس قصره، ولهذا وصفه خوان كانوا الاسباني في قوله "الداوي رجل غني، لكن ليست بيده الثروة، أب دون أطفال، زوج دون زوجة، مستبد دون حرية، ملك لعبيده وعبد لأتباعه". (DE GRAMMONT, ALGER, 1887:231).

1/ الاغتيال خلال عهد الدايات 1671-1830

1-1/ اغتيال الدايات عهد الازدواجية

الداوي محمد التركي: الداوي محمد من طائفة الرياس، وأول من افتتح عهد الدايات تولى قبلها قيادة الأسطول البحري الجزائري، غير أنه لما تولى منصب الداوي كان طاعنا في سن الثمانين من عمره (D' ARVIEW, SD:247)، ولأنه حاز على احترام الجميع رشح لحكم الجزائر حيث منح لقب دولاتلي، كما أشرك معه في الحكم صهره حسن شاوش (ابن المفتي، 2009:55) ويرجع ذلك إلى كبر سنه الذي لا يسمح له بتولي جميع شؤون الإيالة.

سعى التركي، بداية إلى تحسين العلاقات مع الانجليز، إذ استطاع في عهده إرجاع الهدوء والاستقرار في صفوف الجند، وهذا ما أشار إليه ابن المفتي في قوله

2- دولاتلي: كلمة مركبة من الداوي والدولة أي الحاكم الغير معين من قبل السلطان العثماني، أنظر ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبي قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 225.

"كبرت بالجزائر البهجة والمسرات والاجتماعات المفرحة والخيرات" (ابن المفتي، 2009: 67).

إلا أن السيد الحقيقي في الإيالة كان بابا حسن الذي أظهر الكثير من العنف في مواجهة الحركات الانقلابية، لأن الأوضاع المضطربة كان لابد من ضبطها وذلك لن يتم إلا بانتهاج أسلوب القسوة والصرامة لإرجاع الهدوء، لكن هذا الاستقرار المنشود لم يستمر طويلا بسبب الحملة الفرنسية بقيادة دوكين، ما أدى بالداي محمد التريكي إلى الانسحاب من السلطة، وفي كل سرية اتجه إلى طرابلس الغرب (DE GRAMMONT, 1887:249) تاركا أعباء الحملة وتسيير شؤون الإيالة على عاتق صهره بابا حسن.

حملة دوكين الأولى كانت سنة 1682 على مدينة شرشال حيث أحرق بها سفينتين (DE GRAMMONT, ALGER, 1887:249)، فاخياره لمدينة شرشال كان يسعى من خلاله توجيه رسالة تهديد إلى الداوي لقربها من مدينة الجزائر، والسبب الثاني لأن المدينة تشكل ورشة لصناعة السفن حيث كان هدفه من ذلك إغاضة الرياس وإلحاق الخسائر بمراكبهم، وهذا ما سينعكس سلبا على نشاطهم البحري، بعدها اتجهت القوات الفرنسية إلى مدينة الجزائر حيث شرعت في قصفها، وقد أحصى ابن رقية الخسائر التي خلفتها الحملة في قوله "...هدموا قدر مائتي دار سقط منها بومبا واحد في الجامع الجديد وأخرى في الجامع الكبير واستشهد من المسلمين قدر عشرين نفسا". (ابن رقية، 1967:20)

أما الحملة الثانية لسنة 1683 كانت أكثر خطرا من الأولى، ولهذا استغل دوكين قوته لإملاء شروطه على الجزائر مقابل وقف القصف، ومنها تحرير جميع الأسرى الفرنسيين، وتقديم مبلغ من المال تعويضا لخسائر الحملة كما اشترط تقديم رهائن لتثبت الجزائر حسن نيتها حيث كان من بين هؤلاء ميزومورطو أحد الرياس الرافضين

للصلح مع الفرنسيين، ولهذا سعى الداوي بابا حسن إلى إبعاده لأن بقاءه في الجزائر قد يشكل خطرا عليه³.

والأخطر من ذلك إقدام هذا الداوي على تسليم جميع الأسرى الفرنسيين دون علم الديوان، هذه الحادثة أشار إليها ابن رقية حيث ذكر "...بسقوط بومبان في دار الحاكم دخل قلب بابا حسن الخوف، فمن ساعته وبلا مشورة أحد طلب الصلح من النصارى وبذلك قد خالف سيرته السابقة [...] وصار عند أهل الجزائر لو وجده أحدهم لقتله شر قتلة" (ابن رقية، 1967: 21) وما زاد من غيظ الانكشافية وغضبها عدم احترام دوكين للصلح رغم التنازلات التي قدمها بابا حسن، ومواصلته قنبلة مدينة الجزائر، ما جعل الجند ينظمون خطة لاغتياله، وعابوا حكمه وترصدوه ليلا لما هبط للمرسى وأطلقوا النار عليه. (ابن المفتي، 2009: 62)

فالرسالة التي بعث بها حسن ميزومورطو عندما أصبح دايا إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا والمؤرخة في 14 جوان 1684، أشار فيها إلى سبب اغتيال سلفه مما ورد فيها: "...الداوي السابق قام بخطأين الأول عقده لاتفاق الصلح دون الأخذ برأي أحد، والثاني قنبلة دوكين للمدينة، وإرجاع الأسرى كان عاملا في اغتيال بابا حسن من طرف عساكر الأجواق" (PLANTET, 1889: 88)⁴، إلا أن الكتابات الأجنبية قد أشارت بأصابع الاتهام إلى حسن ميزومورطو الذي سعى إلى التخلص منه.

3- MISERMENT. L , *Le Double Bombardement D'Alger Par Duquesne Et La mort Du Consul Le Vacher* , Ed Alphonse Picard Et Fils Editeurs ,Paris ,1905 ,p 53 .

4- هذه الرواية قد تمت الإشارة إليها من طرف الناصري في قوله "في أيام الباشا حسن غزى الفرنسيون الإيالة، فأنت قدرة البونبة بدار الإمارة، فصاقت مذاهبه وصالحهم من ساعته على أن تسرح لهم الأسرى بلا مشورة احد من أهل دولته". أنظر: الناصرى، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق غالم محمد، الجزء الأول، منشورات CRASC، وهران، 2005، ص 164.

في كل الأحوال اغتياله لم يكن إلا انتقاما من إهانة تسبب فيها بابا حسن بعدما فقد شجاعته وهدوءه وتسرع في موقفه الراضخ المستسلم لقائد الحملة دوكين.

الداي حسن ميزومورطو 1684-1689

جمع هذا الداي بين منصب الداي والباشا، تقلد منصبه 1096هـ-1684 (ابن المفتي، 2009:56)، إذ كل من المصادر المحلية والأجنبية أشادت بخصاله، من ذلك ما أورده "ابن رقية" حين قال: "كان رجلا مدبرا حليما شجاعا سخيا يحب العلماء وأهل الصلاح. (ابن رقية، 1967:22) ووافقه في ذلك "D'ARVIEW" الذي يعتبره أكثر تهذيبا واعتدالا وأمانة، فميزومورطو من الأعلاج وأحد رياس البحر، استطاع بفضل ذكائه إقناع دوكين بإطلاق سراحه بعد أن كان من الرهائن الذين بعث بهم الداي بابا حسن، مقابل أن يحصل ميزومورطو على المال الذي طلبه دوكين في ساعة واحدة، وهذا ما عجز الداي عن جمعه في خمسة عشر يوما وبمجرد دخوله البر حرض الانكشارية وطائفة الرياس ضد بابا حسن الذي أهانهم بتصرفاته. (MISERMENT 1905:57)، فأقدم على اغتياله ومن ثم رفع العلم الأحمر ووجه مدافعه إلى السفن الفرنسية (DE GRAMMONT, 1887:251) وباستمرار القتال لم يجد دوكين نفعا من مواصلة الهجوم على مدينة الجزائر، لذلك قرر طلب الصلح الذي كان سنة 1684 غير أن هذه المعاهدة لم تستمر طويلا، حيث نقضتها فرنسا بتجهيزها لحملة ثانية بقيادة المارشال ديستري 26 جوان 1688 (CAT, 1888:308) وهذا ما سيخلق نفورا واستياء داخليا من الداي ميزومورطو إضافة إلى أسباب أخرى أهمها المجاعة التي حلت بالسكان خلال هذه الفترة، كما ساهمت القسوة التي أظهرها في قمع الثورات التي دبرها أعداؤه وإخضاع الانكشارية التي أراد إبعاد خطرهما بتوجيهها في حملة ضد تونس وحصار مدينة وهران ما جعلهم ينظمون

خطة للتخلص منهم(مروش،2009:297)، كما أثارت المفاوضات مع فرنسا في 24 سبتمبر 1689 التي تمت في سرية الشكوك حوله خاصة بعد إخفائه للمعاهدة وعدم تسليمها إلى خزانة القصبية(قنان،معاهدات،1987:119). عندها ثار الجند ونادوا بقطع رأس الداوي الذي حاول استدراك الأمر بجلب بعض الموالين إليه، إلا أن الأوضاع خرجت عن السيطرة حينها قرر النجاة بنفسه(GRAMMONT, ALGER, 1887: 257)، ومنها ركب البحر إلى شرشال وأبحر إلى بر الترك 1101هـ-1689. (ابن المفتي،2009:57).

فالدائي ميزومورطو لم يستوعب الدرس جيدا، ووقع في نفس خطأ سلفه حسن باشا لما رضى للفرنسيين، غير أن ميزومورطو تميز بشخصية قوية وفذة استطاع إخضاع فرنسا وإداري جيد تمكن من تسيير الإيالة وتنظيم أمورها والوقوف في وجه الاعتداءات الخارجية والحفاظ على هيبتها.

الداوي شعبان: 1690-1695

تولى دولاتلي في 24 ذي الحجة 1101هـ-1690، تقاسم الحكم مع الباشا⁵، فالداوي شعبان من أكبر قادة الانكشارية (مروش،2009:338)، وهذا ما ينفي بأن الدايات الأربعة الأوائل من طائفة الرياس، وعن خصاله فقد أوردها أحد التونسيين الذين عاصروا عهده وهو برناز التونسي عنه قال "...يعتبره أهل الجزائر رجلا صالحا ولذلك أولوه حاكما عليهم يصوم الاثنين والخميس، إلا أنه كان ظلوما للناس"⁶. فالصفات التي أوردها هذا الأخير تجعل منه شخصية متناقضة تختلط عنده الأعمال الحسنة بالسيئة،

⁵ - من الباشوات الذين تقاسموا الحكم مع الداوي شعبان هم مصطفى باشا الذي توفي سنة 1692، فخلفه على الباشوية موسى باشا شهر ذي القعدة 1106هـ-1695. أنظر: (ابن المفتي،2009:57).

⁶ - سعد الله أبو قاسم، من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1965، في مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر،

إلا أننا نتحفظ عن قوله، فقد لا يكون موضوعيا خاصة وأن الداوي شعبان كان في صراع مع التونسيين، ولا ربما تدخلت الذاتية باعتباره تونسي في الصفات والأحكام التي ذكرها.

فالتحالف الذي وقع بين حاكم تونس وسلطان المغرب مولاي إسماعيل، كان هدفه شن حملة مشتركة في الجهة الشرقية والغربية للجزائر، وفعلا قام حاكم فاس بحصار تلمسان شهر محرم 1109هـ-1692. (DEVOULX, TACHRIFAT, 1852:09) عندها اجتمع الداوي بالديوان، وتقرر على إثرها تجهيز حملة خرج على رأسها الداوي بعد جمعه لقوة كبيرة بمساعدة البايكات الثلاث وقبائل زواوة تقابلت القوتان شهر ذي القعدة من نفس السنة. (DEVOULX, 1852:05)، ورغم التفوق العددي لمولاي إسماعيل إلا أنه قتل من جيشه خمسة آلاف جندي. (MERCIER, 1868:312) ولهذا نزعت قوات هذا الأخير إلى رفع رايات الاستسلام. (DE GRAMMONT, 1887:361)

وهذا إثبات واضح يعكس جدارة وقوة الداوي شعبان العسكرية في قهر أعدائه، إلا أنه بعد ذلك نشب اضطراب على الحدود الشرقية للإيالة، سار على إثرها إلى تونس لقمع المعتدين وكان ذلك سنة 1105هـ-1694، بعد امتناع باي تونس إظهار الولاء ودفع الضرائب (DEVOULX, TACHRIFAT, 1952:1112)، استطاع خلالها الداوي شعبان خلع الباي محمد وأجلس أحمد بن تشاركر مكانه، لكن بعد مغادرة القوة الجزائرية لتونس عاد محمد باي إلى عرشه بينما فر بن تشاركر، ما أثار غضب الداوي الذي عزم السير في حملة ثانية ضد هذا الباي. فبعد رجوعه من تونس تعرض إلى محاولة اغتيال من طرف الجند الذين خارت قواهم خاصة بعد علمهم بعودة باي تونس من جديد إلى عرشه، هذه الحادثة نجد لها ذكرا عند برناز التونسي في قوله: "فتحزب عليه بعض

الخواص ورئيسهم يقال له محمود خوجة أرادوا قتله وهو في صلاة الجمعة فرموا عليه بندقية فلم تخرج وكذبت ثم أخرجوا عليه شاقورا، فأخذ من أيديهم". (سعد الله، 1980: 118-119)

إلا أن غضب الجند لم يهدأ إذ ثارت محلة الشرق وقررت عدم السير مجدداً إلى تونس ورفعت راية العصيان، ولتهدة الأوضاع وتجنب العواقب السيئة أرسل الداوي للجند المرابطين على الحدود الشرقية ينفي فيها أوامره بالتوجه إلى تونس، مما جاء فيها: "وحق الله تعالى ورسوله وروحه الشريفة والقرآن العظيم [...] أني ما كتبت لكم بالتوجه إلى تونس، ولا عندي خبر ارجعوا وعليكم الأمان التام..." (سعد الله، 1980: 119)

قد يكون الداوي شعبان صادقاً في رسالته وربما تكون أكاذيب أشاعها خصومه لتأليب الجند ضده، إذ بادر الباشا إلى جانب المفتي الحنفي والمالكي لتهدة الانكشارية، لكن ذلك لم يجد نفعا لأنهم لما وصلوا إلى المحلة وصلت رسالة إلى الانكشارية لعزل شعبان، وبذلك خضع الديوان لرغبة الجند حيث اقتادوا الداوي إلى دار الآغا وأغلقوا عليه (ابن المفتي، 2009: 57)

لكن السؤال الذي يطرح في هذا الخصوص ما الأسباب التي تجعل الديوان وهو المؤسسة ذات الحل والعقد لا تحرك ساكناً ضد هذه التجاوزات التي تقوم بها الانكشارية في حق الدايات؟، ولعل مرد ذلك خشية المواجهة التي قد تؤدي إلى مجازر دموية وفوضى عارمة ولهذا يلجأ الديوان إلى أسلم الحلول والتضحية بالداوي.

أما مصير الداوي شعبان فإنه حبس عشرة أيام وعذب ليقر بالمكان الذي خبأ فيه الخزينة كما عوقب ضرباً 800 ضربة بالفلقلة ليغتال في تاريخ 15 أوت 1695 (DE GRAMMONT, 1887: 266) وقد اشترط للإقرار بمكان المال إطلاق سراحه لكن الباشا الجديد أحمد علم بالأمر وأسرع إلى اغتياله، فبقاؤه على قيد الحياة يشكل تهديداً واضحاً

لحياة هذا الأخير، فالحروب التي خاضها والتي لم تتحملها الانكشارية كانت سببا في نهايته المأساوية.

يعتبر الداوي شعبان من الدايات الذين أظهروا كفاءة وحنكة في إدارة شؤون البلاد، ففترة حكمه خاضها في إخضاع الحملات المتكررة لباي تونس وسلطان المغرب والتحالف الذي جمعهما لإضعاف الجزائر والنيل منها، إلا أن نهايته كانت من طرف الجند الذين سئموا الحروب ومخاطرها.

الداي مصطفى 1700-1750

تولى دايا يوم الجمعة 06 صفر 1112هـ-1700 (ابن المفتي، 2009: 58)، فصعوده إلى السلطة كان بطريقة سرية، بعد تنحي حسن شاوش 1698-1700 من الحكم خوف النهاية المأساوية التي يخشاها أي حاكم عندها فضل التنازل عن السلطة، خاصة بعد الهزيمة التي مني بها الجيش في تونس. (سامح ألتر، 1989: 454).

فالداي مصطفى قد عامل سلفه بطريقة حضارية إنسانية. أشادت بها الكتابات الأجنبية بعد أن منح خصمه أربعة آلاف بياستر ومركبا ليقتاده إلى طرابلس الغرب، وفي أثناء مغادرته حياه بطلقات مدفعية. (DE GRAMMONT, 1887: 270) لكننا نستغرب مثل هذا التصرف في عهد ساد فيه الصراع على السلطة والنهاية الدموية التي يتعرض لها الحكام، فإقدام الداوي مصطفى على هذه الخطوة قد تعود إلى اعتزال سلفه للحكم دون إثارة الفوضى أو محاولة التشبث بمنصبه.

وعلى كل فالداي مصطفى كان قبلها آغا الصبايحية، نعتته الكتابات المحلية بأهجي مصطفى (ابن حمادوش، د. ت: 227)، وقد أجمل محمد بن ميمون حكم هذا الأخير في قوله "طغى في هذه البلاد واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل [...] عامل الناس

أسوأ معاملة [...] واشتغل بنهب الأموال وأجراء المظالم"⁷، ونفس الحكم أصدره بدوره ابن المفتي واصفا إياه في قوله "عمل على سلب الناس وبلغ ثمن الميرة مبالغ مفرطة " (ابن المفتي، 2009: 68).

في بداية حكمه بادر إلى رد الاعتبار لقوة الإيالة بعد الهزيمة التي مني بها الجيش أمام تونس إذ سار إليها سنة 1700 ضد مراد باي واشتد الاقتتال بين الطرفين إلى أن تدخل الباب العالي لإيقافه فتم له ذلك (سامح ألتر، 1989: 452) لتتدلع الحرب من جديد سنة 1705، فخرج الداي مصطفى إلى تونس هذه المرة كان كحل لجلب المال ودفع أجور الانكشارية بعد أن قلت مداخيل الغنائم. (DE GRAMMONT , 1887: 271)، ففي رسالة القنصل الفرنسي المؤرخة في 26 ديسمبر 1703 أشار فيها بأن الداي شخص مهذب، لكنه مثقل بهموم الانكشارية وسوء مداخيل الغنائم⁸، ففي حملته هذه استطاع السيطرة على الكاف ومحاصرة تونس ورغم الانتصار المحقق إلا أن الداي رفع الحصار عن تونس ليلا وفي كل سرية غادرها راجعا إلى الجزائر⁹، يشير " DE GRAMMONT أن سبب الانسحاب يكمن في قلة المؤونة واقترب فترة الاضطرابات الجوية أواخر شهر أكتوبر وبداية شهر نوفمبر وموت أكثر من ثمانمائة من جنده. (DE GRAMMONT , 1887: 272)

7- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 123.

8 - DE GRAMMONT , *Correspondance Des Consuls D'Alger 1690 -1742*, Ed Adolphe Jourdan. Librairie éditeur ,Alger ,1980 ,p102.

9 - يشير ابن المفتي أن شيخ الحناشنة بوعزيز بن ناصر هو من أدخل الفرع في نفس الداي وأن بقاءه إلى الصباح سيشكل خطرا على جنوده، رجع على إثرها تاركا بذلك أخبية الجنود وكما من العتاد أنظر: (ابن المفتي، 2009 : 69)

هذه الأسباب مجتمعة أجبرته على المغادرة، فمن غير المعقول أن يترك الداوي مصطفى تونس وهو في موقف قوة ليرفع الحصار وينسحب ولعله وجد حصاره للمدينة لا طائل منه، ضف إلى ذلك أن فصل الخريف وسوء الأحوال الجوية قد تزيد الوضع تعقيدا ما قد يستغله التونسيون وهم بديارهم لارتكاب مذبة في حق الجيش الجزائري ولهذا رأى الداوي الحفاظ على ما تبقى من الجند والمغادرة. فالانسحاب من المعركة ستعتبره الانكشارية في الجزائر ضعفا وإهانة لن تقبلها ولم يجدوا وسيلة للتأثر منه سوى اغتياله، ولما علم مصطفى بالأمر وبأن خوجة شريف تولى دولاتلي فر إلى القلعة فأرسل الأمير الجديد بعض أنصاره، وهو بقره لضريح الولي سيدي علي مبارك والحال أن الداوي أساء التصرف مع أحفاد هذا الولي ولما لمحو الباشا أغلقوا باب الضريح وخنق في مكانه. (ابن المفتي، 2009: 70)، لكن رواية محمد بن ميمون تشير أن الداوي قتل في منزله الريفي بعد عودته من تونس. (ابن المفتي، 1981: 28)

أما الكتابات الأجنبية تذكر أن بفراره إلى القل سقط في أيدي الانكشارية الذين أهانوه بعد وضعه على حمار للصخرية منه ليغتيال في 05 نوفمبر 1705، ولحق التعذيب بزوجه وابنته من طرف الداوي حسن خوجة ليقروا بمكان المال الذي خبأه الداوي مصطفى. (DE GRAMMONT, 1887: 272)

برغم اختلاف الروايات إلا أن المتفق عليه أن نهاية هذا الداوي كان الاغتيال الذي أراد تجنبه بتوجيه حملة إلى تونس لجلب المال ليدفع بها أجور الجند، إلا أن انسحابه من تونس اعتبر مذلة وضعفا، فالهزيمة العسكرية كانت سببا في اغتيال كل من الداوي بابا حسن والداوي شعبان والداوي مصطفى أهجي.

محمد بكداش 1707-1710

تولى دولاتلي يوم الجمعة 28 ذي القعدة 1118هـ-1707 (ابن المفتي 2009:59) كان قبلها دفتر دار الداوي حسين خوجة شريف، غير أن هذا الأخير عدل عن رأيه وقرر في سرية الزج بثلاثة من الأتراك ومنهم بكداش في السجن¹⁰، إذ يوعز ابن ميمون تصرف الداوي إلى الوشاية وتحريض الداوي عليه في قوله "سعى حساده بينه وبين الداوي، فبقي برهة في قبضة الأمير [...] ثم من الجزائر انتفى" (ابن ميمون، 1981:135)

لكن سياسته القاضية بإبعاد من يشك فيهم لم تأت بنتيجة، إذ بعد نفيهم إلى طرابلس الغرب عزموا العودة إلى الجزائر بعد أن اتجهوا إلى تونس حيث مدّ لهم باي تونس يد المساعدة في إشارة إلى ذلك ذكر صاحب التحفة المرضية: "فأعطاهم الزاد والخيّل إلى أن وصلوا للبساتين". (ابن ميمون، 1981:138)، فهذه بيّنة واضحة إلى سعي الحكام في تونس التي كانت علاقتهم بدايات الجزائر سيئة إلى كيد المكائد بغية التخلص منهم، وذلك في احتواء المعارضين لهم، وجعلهم أدوات تهدد الاستقرار وتزعزع الفوضى على مستوى السلطة.

وعن نسب بكداش¹¹ فهو محمد بن علي بن محمد النكدلي المنشأ (ابن سحنون، د. ت، 109)¹². مجيئه للجزائر كان في سن مبكر بعد دخوله الجندية 1086هـ ارتقى لحمل راية العسكر وخلال سنة 1112هـ تولى تقسيم الخبز على العسكر ليصبح دفتر دار

10-DEVOLUX A, *Enlèvement d'un Pacha Par Les Kabiles*, in RA ,N 13,Alger, 1869, p463 .

11- بكداش: هو الحجر القاسي غير أنا نجد الأتراك يقولون في الحجر القاسي باكطاش. أنظر ابن سحنون: 110 وبلغة الفرس تعني الشخص الذي لا نظير له أنظر: ابن ميمون: 143.

12- والده نور الدين أبو الحسن علي بن محمد القرشي النسب العربي الإقليم، النكداني الدار والمنشأ وقد تكهن والده بأن محمد بكداش سيكون أميرا على المغرب، أنظر: ابن ميمون: 114-115

سنة 1117هـ، هذا الداي بخلاف سابقه كان من مثقفي دايات الجزائر ففي أثناء وجوده في الجندية انضم إلى طريقة قاسم بن محمد الساسي في عناية.¹³

إليه يرجع فضل فتح وهران للمرة الأولى سنة 1708 بعد محاولات متعددة من سابقه كما يثبت ذلك ابن سحنون حين قال عنه: "أقام أسواق الجهاد وصرف إليه وجه الجد والاجتهاد. (ابن سحنون، د. ت 111)، إذ اختار لفتح كل من الباي مصطفى بوشلاغم وصهره أوزن حسن اللذان تمكنا من فتحها مع 12 ألف من المجاهدين واستمرت مدينة وهران تحت أيدي الأتراك 24 سنة.¹⁴

ورغم ما تميز به من صفات وخصال واسترجاعه لوهران من أيدي الإسبان المحتلين لها منذ زمن طويل وما أحرزه من نصر إلا أن ذلك لم يشفع له أمام الانكشارية خاصة الاضطرابات التي عرفت المقاطعة الشرقية وما زاد الوضع تأزما فرار باي قسنطينة حسن شاوش نهاية سنة 1709 مع 20 ألف بياستر كان من المفروض أن توجه لتسديد أجور الجند (MERCIER, 1868: 337)، هؤلاء وفي ظل تأخر قبض جراياتهم والعجز المالي للخزينة دفعهم إلى تنظيم خطة لاغتياله، لأنهم لا يقدرّون صبرا على قبض مستحقّاتهم، فعصفت ريح التمرد التي انتهت باغتيال محمد بكداش في قصره 21 محرم 1122هـ (ابن المفتي، 60: 2009) 22 مارس 1710. (MERCIER, 1868: 337) أما أوزن حسن صهره كان بوهران بعد فتحها إذ سارع للقاءه فرسان لحقوه فذبّحوه وحملت رأسه إلى الجزائر 18 صفر 1122هـ- 1710 (ابن المفتي، 60: 2009).

13 - سعد الله أبو قاسم، أربع رسائل لنشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، العدد 51، الجزائر، 1979،

ص 16.

14- ESTERHAZY W, *De La Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger*, éd librairie de Charles Gasselin, Paris, 1840, p 173.

فالداي بكداش ترك من خلال حكمه صورة الداوي المثقف المجاهد والإنساني،فهو الآخر لما انتصب على الحكم لم يكن بطريقة دموية،وما يبرز ذلك معاملته الجيدة لسلفه الذي منحه قارباً ليغادر رغم أنه تسبب في نفيه وهذا دليل آخر على غطرسة الانكشارية التي لا تفرق بين الحاكم الصالح والطالح،وإنما اهتمامها يقتصر على ضمان مصالحها وأجورها وليس غير ذلك لأن كل تقصير من طرف الداوي يعني إنهاء حياته باغتياله.

إبراهيم باشا البوشناقى:1710

تولى هذا الداوي بعد أن ساهم في اغتيال الداوي بكداش واستيلائه على السلطة بطريقة دموية عنيفة،فهو أول من حمل بالضربات على بكداش،تاريخ توليه كان شهر ماي 1710. (DE TASSY,1725:214) لكنه تاريخ غير صحيح لأن اغتيال بكداش كان شهر مارس،حيث استمرار الداوي إبراهيم في الحكم كان لخمسـة أشهر،ولذلك فالتاريخ الأقرب إلى الصحة هو شهر مارس 1710،فالفترة التي قضاها دايا انشغل فيها بإحباط محاولات الاغتيال التي استهدفته وهي ثلاثة استطاع النجاة منها. (GRAMMONT, 1887 : 274)

ارتبطت سيرة هذا الداوي بمساوئ كثيرة من السفاهة والظلم وحبه للدماء (سامح التر، 1989 : 462) وتناسيه لشؤون الإيالة واهتمامه بإرضاء نزواته وشهواته التي كانت السبب الذي أودى بحياته،فكان اهتمامه في تحري أخبار النساء لدرجة قادته نفسه للاعتداء على زوجة أحد الرياس الذي يدعى محمد¹⁵ وهو علج برتغالي بينما كان غائبا في الغزو البحري،إذ استغل ذلك وتسلل خفية إلى منزلها بعدما رشا أسراها الذين سمحوا له بالدخول. (DE TASSY,1725 : 215)

15- هناك من يذكر أنها زوجة أحد الانكشارية أنظر : (DE GRAMMONT ,ALGER,1887 : 274)

وبعودة زوجها تحين الفرصة المناسبة للانتقام منه عندما كان متواجدا بالميناء إذ كلف أحد عبيده الزنوج إلى إطلاق النار عليه في المرة الأولى عندما دخل الميناء لكن الرصاصة لم تصبه وأفلت منها، ولحقه بينما كان متوجها إلى البادستان ورماء ثانية برصاصة فنجا منها وسارع مهرولا إلى قصره (DE TASSY, 1725:218) وعلى اثر ذلك ثارت الانكشارية على هذا الفعل الخسيس الذي أقدم عليه إبراهيم الذي لم يراعي الشريعة الإسلامية ولا الأخلاق الإنسانية ولا منصبه كحاكم لرعيته.

صعد الداوي إلى غرفته وأحكم إغلاقها واستعان بالأسرى الموجودين في القصر للدفاع عنه بالأسلحة التي كانت موجودة فيه كهدية من القناصل، ولاستحالة دخول غرفته رميت عليه قنبلة في غرفته أسقطته قتيلا. (DE TASSY, 1725:219)، ويذكر ابن المفتي أنه قتل أعلى قصره بعد دفاع مستبسل ودفن بسيدي الكتاني وبعد بضعة أشهر هشموا شاهده قطعا قطعا، فالغضب من هذا الداوي تواصل حتى بعد مقتله وحتى علماء المدينة نبذوا حكمه ومنهم ابن المفتي الذي قال عنه قوله: "محا الله ذكراه كما أظلم مسعاه مدة حياته" (ابن المفتي، 2009:60) وكان ذلك 14 أوت 1710 (DE GRAMMONT, HISTOIRE, 1887: 274)

فالداوي إبراهيم مثال على حاكم استولى على السلطة لإرضاء غاياته ومصالحه وتغيب مصالح العامة وشؤون الدولة، فهو صورة عن داي مستبد ومتسلط.

1-2/ اغتيال الدايات عهد الأحادية

عرفت هذه الفترة بسيطرة العناصر الداخلية الحاكمة على السلطة السياسية بعد التخلي وبصفة نهائية على البشوات المبعوثين من إسطنبول، وبالتالي الحكم الأحادي من طرف الداوي.

الداي علي 1710-1718: اسمه علي ابن حسن سوكلي¹⁶، تسمى دايا 18 جمادى الثانية 1122هـ-1710 (ابن المفتي، 2009:60) وصف بأنه شخص مهذب ذو مبادئ وفي نفس الوقت تميز بالشدة إذ أظهر منذ الوهلة الأولى من حكمه الصرامة والقسوة ضد المفسدين باستئصال شوكتهم إذ أمعن القتل في 1700 شخص من أصحاب الفوضى والفتن¹⁷، وذلك حتى يعيد الهدوء والانضباط إلى صفوف الانكشارية التي غالت في تصرفاتها. وما يبرز قوة شخصيته وحنكته السياسية إقدامه إلى إنهاء نظام البشوات وكان ذلك سنة 1711 حينما رفض السماح لمبعوث الباب العالي إبراهيم "شاركان" من دخول المدينة وهدد بقتله إن هو أصر على موقفه البقاء في الميناء وتبع ذلك إرسال هدايا ورسالة إلى السلطان أحمد الثالث يشرح فيها خطورة الازدواجية في الحكم وبأن الباشا كان يثير الفتن والقتل. (GRAMMONT, 1887:276)

فمنذ هذا التاريخ أصبح الداوي هو الحاكم الوحيد، وعلى إثرها وصل فرمان ينعم على علي شاوش بباشوية الجزائر (ابن المفتي، 2009:61). فالشدة التي أظهرها الداوي يمكن اعتبارها إصلاحات لم تكن لترضي أصحاب المصالح الذين سيحاولون التخلص منه، فقد تعرض إلى ثلاث محاولات اغتيال كانت الأولى وهو يهيم بالخروج من المسجد وذلك في 23 جوان 1713 لكنه تعرض لجروح بسيطة استطاع حراسه مواجهتهم والقبض على ثلاثين منهم تم إعدامهم (MERCIER, 1868:338)، أما المحاولة الثانية كانت بعد ثلاث سنوات من الأولى وذلك بعد الزلزال الذي تعرضت له المدينة في 03 فيفري 1716 وألحق أضرارا بالغة خرج على إثرها الداوي خارج المدينة وهي الفرصة المواتية لتنفيذ مخططهم ضد الداوي، فقد أشاع هؤلاء أن الأوضاع لن تستقر والمصائب لن

16-DEVOULX .A, *Epigraphie Indigène Du Musée Archéologique d'Alger*, in RA ,N 17 ,Alger ,1873 , p324.

17- FRANCOIS. C ,DE LA MOTTE , BERNARD J , *voyage pour la rédemption des captifs aux royaumes d'Alger et de Tunis fait en 1720* ,Paris , 1720 ,p 117.

نزول إلا بموت الداوي (سامح ألتز، 1989: 466) وقد قاد المأمرة شيخ مسن من قداماء الانكشارية، إلا أن الداوي استطاع الإفلات منها (DE GRAMMONT, 1887:277)، ففشل هاتين المحاولتين زادهم عزماً لمحاولة ثالثة يصفها أحد القناصل في رسالته المؤرخة ب 16 أوت 1717 والذي كان شاهد عيان لهذه الأحداث جاء فيها: "هاجم مجموعة من الأشخاص القصر على الساعة الرابعة والنصف صباحاً لاغتيال الداوي وموظفيه، حيث استمرت المواجهة مدة نصف ساعة دون تحقيق نتيجة هربوا بعدها" (DE GRAMMONT, 1890:142). والأخطر من ذلك استهدفت محاولتهم إحراق قصر الجنيبة لكنهم لم يفلحوا (سامح ألتز، 1989: 458). فإحباط هذه المحاولات واستمراره في الحكم لثمانية سنوات تثبت أنه شخصية تمتلك صفات القيادة والمهارة والحنكة السياسية التي ميزته عن غيره من الدايات، وقد توفي الداوي بعد مرضه ودفن داخل المدينة خلف القصر (ابن المفتي، 2009: 61).

محمد بن حسين 1718 - 1724

يلقب هذا الداوي بمحمد أفندي، تولى دولاتلي على الجزائر يوم الأربعاء 05 جمادى الأولى 1130 هـ - 1718 م (ابن المفتي، 2009: 61)، تولى هذا الداوي للسلطة كان بطريقة سلمية، ولأنه كان خزانجياً ثم الاتفاق على تعيينه بعد وفاة الداوي علي شاوش، وهذا ما أورده DE TASSY "في وقت كان علي شاوش يحتضر اجتمع الضباط في منزله مع أعضاء الديوان، وذلك في كل سرية لاختيار الداوي الجديد وثم إعلان الأمر للعامة بفتح القصر الجنيبة وإطلاق طلقات مدفعية." (DE TASSY, 1725: 225)، فاختيار الداوي في كل سرية كانت حيلة لا بد منها في وقت تفتت فيه ظاهرة الاستيلاء على السلطة وبشكل عنيف.

طبعت على هذا الداي صفة الأمية والجهل فلم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، كما امتنهن في صغره رعي البقر. (DE GRAMMONT ,CORRESPONDANCE,1890 :134)

ما يعكس بوضوح أن المستوى الثقافي والخبرة كانت من الشروط التي لا يؤخذ بها كثيرا في مثل هذه المناصب العليا للدولة.

ظهرت في فترة حكم الداي محمد الكثير من المصائب والمحن على السكان، حيث تواصلت آثار الهزة الأرضية، وتبعها قحط شديد لدرجة أن لحم البشر أصبح يباع في الأسواق (DE GRAMMONT ,CORRESPONDANCE,1890 :133)، وأمام هذه الأزمة التي قد تعصف بحياته بادر إلى تشجيع الغزو البحري لجلب الغنائم وإنعاش الخزينة، ما جعله عرضة لانتقادات المصادر الأجنبية التي وصفته بالقسوة، ومن هؤلاء القنصل الفرنسي "بوم" الذي عاصر فترة حكمه، ومن ذلك قوله "الداي محمد شخص قاس متعصب يحمل شعور الكره ضد المسيحيين، فهو يفضل اليهود الذين أغرقوه بالهدايا (GRAMMONT,CORRESPONDANCE,1890 :133) ، لكن هذه الأحكام وغيرها تفتقد للموضوعية والمنطق، وكثيرا ما كان يصدرها الكتاب الأجانب من وجهة نظرهم التي تعتمد على الذاتية في تفسير الأوضاع، فدافع الداي لتشجيع الغزو البحري كان لتحصيل المال واستفاء أجور الجند، ولهذا قرب إليه اليهود حتى يستفيد منهم وقت الحاجة، خاصة وأن هؤلاء عرفوا بتجارته وأموالهم.

إضافة لذلك عم الاستياء سكان منطقة القبائل الذين امتنعوا عن دفع الضرائب بعد إقدامهم على تحطيم برج منايل، هذه الأزمات المتوالية مهدت الأرضية للإعابة على حكم الداي وسياسته ومن تمّ اختاروا الانقلاب ضده، متخذين معاقبته لبعض الرياس الذين خالفوا أمره سببا لاغتياله. (وولف، 2009:386).

استغل المتمردون زيارة الداوي محمد لتحصينات الميناء، حيث أطلقت عليه طلقات نارية ضربت عليه من قشلة كشارية أوسطا موسى (ابن المفتي، 2009: 61)، وعندها أسرع المتآمرين إلى قصر الجنيينة للاستحواذ عليه، لكن استطاع الخزناجي رغم إصابته الإسراع إلى قصر الداوي وإقناع آغا الصباحية بأن يصبح دايا للجزائر. (GRAMMONT, 1877 :283).

الداوي كرد عبيدي 1724 - 1732

عين كور عبيدي دايا على الايالة 20 جمادى الثانية 1136هـ - 1724م، وقد تلقى فرمان تعيينه من الباب العالي (ابن المفتي، 2009: 61)، كان قبل توليه لهذا المنصب من قدماء الجند، حيث تدرج في كل رتب الجيش الانكشاري (DEVOULX, 1873 :39) EPIGRAPHIE, كما سبق له وأن كان بابا على التيطري، أما عن طباعه وأخلاقه فقد اختلفت المصادر حولها ومنهم "DE TASSY"، الذي اعتبره شخصا هادئا وذو أخلاق فضيلة (DE TASSY, 1725 :225). أما CONDAMINE الذي زار الجزائر والتقى بالداوي يصفه بأنه شخص مسن قوي البنية أعور، تميز حكمه بالقسوة، فهو مستبد وذلك حتى يردع المتآمرين عليه¹⁸، كما وصف بالعصبية وذلك بسبب إيمانه على تدخين الأفيون. (DE GRAMMONT, ALGER, 1887 :282)

رغم كل الصفات التي ألصقت به من طرف الكتاب الأجانب، إلا أنه لم يكن متعصبا لرأيه، إذ كان يستشير أعضاء الديوان ويأخذ برأي الجند. (وولف، 2009: 387).

تميزت سنوات حكمه باضطراب العلاقة مع الباب العالي والهولنديين، هؤلاء الذين سعوا لدى السلطان العثماني حتى يتوسط لهم لإتمام الصلح مع الجزائر، وهذا ما ثم

18- MARCIEL EMERIT, *Le Voyage De La Condamine A Alger 1731*, in RA ,N 98, 1954, p358

فعلا بوصول مبعوث الباب العالي حاملا الخلعة السلطانية وسيف مرصع بالماس، وطلب السلطان العثماني بإرجاع السفن التي استولى عليها الرياس، غير أن طلبهم قوبل بالرفض من طرف الداوي (سامح أتر، 1989: 474). ما يدل على الاستقلالية التي أصبحت عليها الجزائر السيدة في إصدار قراراتها الخارجية.

وللحفاظ على حياته من النهاية الدموية التي وصلها سلفه سن نظاما جديدا يمنع من خلاله إدخال الأسلحة إلى القصر، حيث كل خرق لهذا الأمر يؤدي بصاحبه إلى الموت (39: 1873, DEVOULXA, EPIGRAPHIE)، ولأنه كان شكاكاً وعديم الثقة في مقريه، عمد إلى تصفية كبار المسؤولين في الدولة، ومنهم رئيس الطباخين (وولف، 2009: 390) فشعور الشك وعدم الثقة قد صاحب جميع الدايات، الذين تعودوا على الانقلابات المتكررة والفجائية والتي أصبحت الظاهرة التي أرقّت وهددت وجودهم، ولذلك سعوا بكل جهدهم لمحاربتها وردع مرتكبيها، ورصد رؤوس الفتنة حتى يتجنبوا بذلك الاغتيال والنهاية المؤسفة.

فبرغم حذر الداوي عبيدي، إلا أنه استهدفته محاولة اغتيال استطاع كشفها وإعدام اثنان من قادتها ومنهم المفتي الحنفي¹⁹، وهذه إشارة أخرى تبرز أن أصحاب الدسائس اختلفت توجهاتهم ووظائفهم حيث العدوى قد أصابت حتى رجال الدين.

تمكن هذا الداوي من الموت وهو على سريريه حسرة على ضياع وهران بعد استرجاعها من الإسبان في 03 جويلية 1732، جعلته حبيس قصره، كما امتنع عن تناول الطعام وأدمن على تدخين الأفيون حتى وفاته التي صادفت يوم 11 محرم 1145 هـ - 1732 م. (ابن المفتي، 2009: 61)

19- DE LA FAYE JEAN, DENIS MARCKAR, D'ARCISAS ANGUSTIN, LE ROY HENRI, *Relation En Forme De Journal Du Voyage Pour La Rédemption Des Captifs Aux Royaumes De Maroc Et Alger*, notes Farouk Ahmed, éd Bouchene, Paris, 2000, p149.

الداي إبراهيم 1745 - 1748

وصل الداي إبراهيم إلى السلطة بشكل سلمي بعدما رشحه لتوليها الداي إبراهيم (1732-1745، حيث كان يشغل في عهده منصب الخزانة DE GRAMMONT (290: 1887, ALGER). وكنل الدايات سعى الداي إبراهيم للحصول على فرمان تعيينه من السلطان العثماني محمود خان، حيث ثم له ذلك في 24 رمضان 1158هـ - 1745م (ابن المفتي، 2009: 63).

تعرض الداي هو الآخر إلى محاولة اغتيال بعد ثلاثة سنوات من حكمه، لما قرر كراغلة تلمسان التمرد ضد الأتراك وطردهم لحامية المدينة وقائدها (DE GRAMMONT, 1887 : 320)، ولمواجهة الوضع وخوف تطوره أرسل قوة عسكرية تمكنت من الاستيلاء على المدينة، حينذاك قرر كراغلة تلمسان التحالف مع أقرانهم في مدينة الجزائر (CAT, 1888 : 320)، ولما وصل خبر تحالفهم مسامع الداي، اتخذ قرارا بتصفيتهم نهائيا لكن مشروعه هذا لم يعرف التنفيذ إذ توفي فجأة في الثالث من فيفري 1748م، حيث أغلب الاحتمالات رجحت موته مسموما (GRAMMONT, ALGER, 1887, 303) وما يدعم هذا الاحتمال طريقة موته الفجائية وهو ينوي القضاء على الكراغلة، ولعل المرجح أن آباءهم هم من تخلصوا منه حفاظا على حياة أبنائهم قبل أن ينفذ ما عزم عليه.

الداي محمد بن بكر 1748 - 1754

ولد الداي محمد بن بكر في العاشر من جويلية 1688 بقرية مانمان بأزمير.²⁰ لقب بطورطو، تقلد محمد بن بكر وظيفة خوجة الخيل قبل أن يتولى دايا في 03 فيفري 1748، حيث نال حظا من العلم والثقافة. (DEVOULX, EPGRAPHIE, 1873 : 326).

20 - DEVOULX, A, Mort Du Mohammed Khoga En 1754, in ,R A, N°16, 1872, p32

افتتح عهده بمتابعة المجرمين والمتمردين وتشدد في عقابهم، حيث تمكن من إرجاع الهدوء والسكينة لمدينة الجزائر، وقد أشاد في هذا الصدد القنصل الفرنسي "THOMAS" بالنظام الذي أصبحت عليه المدينة في ظل ولايته قائلاً: "هذه المدينة لم تكن يوماً هادئة، مثلما هي الآن، فالأمن متوفر أفضل من أية مدينة أخرى في أوروبا" (De GRAMMONT, ALGER, 1887: 303)، كما تمكن من مواجهة الفوضى الناتجة عن قلة مداخل البحر بصرامة كبيرة، لكن في مقابل ذلك ولدت لديه شكوكا أضحت من خلالها لا يثق في أحد ما جعله يطغى في سفك الدماء. (ألتر سامح، 1989: 514).

وعلى غرار باقي الدايات، فقد شكلت الأزمات والكوارث التي تجتاح الإيالة مناسبة لنشر الفوضى والتدبير للانقلابات الدامية، منها انتشار وباء سنة 1752 الذي استمر أربعة سنوات كاملة أهلك الكثير من السكان، وكان العامل الذي جعل الوضع يزداد سوءاً تعذيب الداوي للقبطان الفرنسي سنة 1753 إلى الموت لمهاجمته سفينة أحد الرياس الجزائريين ما انجر عنه مقتل ثلاثين تركيا (DEGRAMMONT, ALGER, 1887: 307) ولتخوف الجند من عودة الصراع مع فرنسا، ولتخاشي ذلك استغل أحدهم وهو أوزن حسن اجتماع الديوان لتقديم معاشات الجند لتنفيذ ما خطط له. (المدني، محمد عثمان، 1986: 50).

سماها "DE PARADIS" بثورة الأرئووط، وهم جند ألبان اتفق سبعة منهم على هذه الدسياسة (DE PARADIS, 1898: 124) سرد القنصل الفرنسي GERMAIN الذي كان قنصلاً بالجزائر خلال سنوات 1749-1758 تفاصيل هذا الاغتيال قائلاً: "دخل الجند الألبان، ومن بينهم أوزن حسن قصر الداوي مخبئين البنادق والسيوف تحت ملابسهم، ولما تقدم أحدهم لتقبيل يده حتى انهال عليه بضربة سيف، كما قطعت للخزناجي يده اليسرى (DEVOLUX, MORT, 1872: 322)، وبذلك استطاع الاستيلاء على السلطة بالقوة والعنف،

وهذا ما جعل رئيس الطباخين يقف في وجههم ويبدد خططهم، بتسليحه للأسرى المسيحيين واستعانتته باليولداش، حيث وضع عشرة منهم لحماية الخزينة واثنان وثلاثون آخرين عند مدخل القصر. (DE PARADIS, 1898: 125)، دام الصراع مدة ساعتين من الزمن انتهى بالقضاء على المتآمرين، وهنا تتجلى أهمية رئيس الطباخين باعتباره الشخصية الأقرب إلى الداى لمكوته الدائم بالقصر ودرايته بكل شاردة وواردة فيه، وهذا ما جعله يحبط عملية الاغتيال ويعاقب المخططين لها.

انتهى حكم محمد بن بكر الذي دام سبعة سنوات باغتياله 11 ديسمبر 1754، قضاهما في فرض النظام والانضباط الذي افتقدته الإيالة لمدة طويلة من الزمن، وذلك بشهادة الكتاب الأجانب الذين مدحوا طريقة حكمه.

الداى علي 1754 - 1766

يسمى أيضا بعلي نقسيس، ويلقب ببوصباع، وذلك لأنه فقد أحد أصابعه عندما كان يمتحن حراسة الحيوانات (DEVOLUX, EPIGRAPHIE, 1873: 384)، هذا الداى هو الآخر احتقرته الكتابات الأجنبية²¹، ومن هؤلاء "DE GRAMMONT" الذي قال عنه: "هذا الداى أكثر حقارة من كل الدايات، جاهل وقاس تظهر عليه علامات الجنون والغباوة، متسرع في إصدار قراراته." (DE GRAMMONT, 1887: 309)

باشر الداى علي ولايته بالقبض على المحرضين لاغتيال سلفه محمد بن بكر، ونوع من أساليب العذاب في حقهم، غير أن العقاب الذي سلطه عليهم لم يردع أو يحد

21- اختلفت الكتابات حول الوظيفة التي كان يمارسها الداى علي فقد أورد De Grammont أنه كان آغا للصباحية أنظر (De Grammont, 1887: 309) بينما أورد الزهار أنه كان خزانجا لمدة سبعة سنين أنظر: (الزهار، 1980: 23).

من مثل هذه التجاوزات، إذ تعرض سنة 1755 لمحاولة اغتيال استهدفته إلا أنه استطاع إحباطها وقمع المتسببين فيها. (سامح ألتز، 1989: 516)، وتبعتها محاولة ثانية كان على رأسها هذه المرة خوجة الخيل مستعينا بالانكشارية التي جعلها في الواجهة حتى ينفذ غايته، إلا أن أمرهم اكتشف في اليوم المقرر لاغتياله وصدر في حقهم حكم الإعدام ولأن حب السلطة والتملك كان هدفهم الأساسي فإنهم نظموا خطة أخرى للتخلص منه بقيادة كل من آغا الصبايحية ووكيل الخرج مع أربعين تركيا، لكن محاولتهم باءت بالفشل هي الأخرى.

وقد تمكن الخزندار محمد عثمان في فترة مرض الداى من الحفاظ على حياته والتصدي لكل المحاولات التي استهدفته إلى غاية وفاته 02 فيفري 1766. (GRAMMONT 1887: 317)

ما يجب الإشارة إليه أن كل المحاولات التي تعرض لها كان المحرض عليها والمنفذ لها موظفوه السامون ومنهم خوجة الخيل، آغا الصبايحية ووكيل الخرج خاصة في فترة مرضه، حيث اشتد التنافس بين هؤلاء على اعتلاء الحكم قبل أن يستحوذ عليه شخص آخر، وهذا دليل آخر ينفي التهمة التي ألصقت بالأوجاق من أنهم وراء كل المحاولات الدموية للإطاحة بالدايات، وعليه من الضرورة تغيير هذه النظرة والأحكام المسبقة، فالانكشارية لم تكن إلا وسيلة في يد المفسدين لتنفيذ مخططاتهم.

الداي محمد عثمان 1766 - 1791

أشادت الكتابات الأجنبية بالداي محمد عثمان، ومدحت طريقة حكمه للجزائر إذ وصف بالنموذج الفريد بين كل الدايات الذين توالوا على السلطة، من هؤلاء " DE PARADIS" الذي قال عنه: "الداي محمد عثمان لم يكن فظاً، اتسم بالحكمة والعدل كما عرف ببساطة ملابسه والقناعة والزهد..." (97: DE PARADIS, 1898)، وحتى المصادر

المحلية هي الأخرى لم تبخل بالثناء عليه، ومن ذلك ما أورده الزهار في قوله "...كان مؤثرا للعدل والإنصاف عارفا بقوانين الملك، ملتزما بأحكام الشريعة محبا للجهاد" (الزهار، 1980:23).

تربعه على كرسي الإيالة كان بطريقة سلمية، بعد وصية الداى علي باشا قبل وفاته لوزرائه وهم الخزناسي، خوجة الخيل، وكيل الخرج ووكيل بيت مال المسلمين لتوفره على شروط الرئاسة كالحنكة السياسية ومقدرته في تسيير إدارة الإيالة في فترة مرض سلفه الداى علي، تبرز قدرته في انتقاء وزرائه وحكام المقاطعات بعناية فائقة، وخير دليل على ذلك تنصيبه للباي محمد الكبير على بايلك الغرب وصالح باي على بايلك الشرق، وهذا ما تجلى بشكل واضح في ازدهار أوضاع الإيالة واسترجاع وهران نهائيا كحاضرة من الحواضر الإسلامية، فهو بذلك قد ولى من يستحق الولاية وعزل من يستحق العزل. (الزهار، 1980:23).

ولأن كل داي يتصف بقوة الشخصية ويحاول فرض النظام، وإرجاع الهدوء والانضباط كان يثير في النفوس مخاوف من شدة العقوبات التي قد تلحق بأصحاب الفساد، ولذلك تعرض لأكثر من محاولة اغتيال، استهدفته الأولى سنة 1768 بينما كان جالسا بالديوان يباشر أعماله، إذ دخل عليه أحد الأتراك مخبئا يطغانا بغرض استلام أجرته، حيث ضربه على رأسه إلا أنه لم يلحق به الأذى، إذ تمكن بعد بحثه من كشف المدبرين للعملية وهم تسعة أترك أعدمهم بمنزل آغا القمرين. (PARADIS, 1898: 99) ورغم محاولات الداى محمد عثمان من علاج ذلك الداء الذي ذب في النفوس، بفرضه لأقصى العقوبات إلا أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة المحاولة، ولذلك تعرض إلى محاولة أخرى أثناء خروجه من المسجد، غير أن خطتهم لم تنجح حيث أعدم ثلاثة عشرة منهم.

وعلى غرار باقي الدايات كانت الأزمات والكوارث الطبيعية فرصة سانحة لأصحاب الدسائس لتنفيذ مكائدهم وتآليب النفوس ضد الداى بجعله يتحمل المسؤولية الكاملة الناتجة عن مثل هذه المآسى، من ذلك الوباء الذى انتشر سنة 1787 وصحبه نقص فى المحصول وغلاء فى الحبوب (الزهار، 1980: 31)، ما دفع بالخرناجي إلى استغلال الأزمة للانقلاب على سيده إلا أن الداى علم بدسيسته، عندها أمر هذا الأخير بإعدامه بعد اتهامه بالخيانة العظمى وتحويله لأموال الخزينة التى كانت بمنزله. (سامح ألتر، 1989: 547).

كما أشار "DE GRAMMONT" إلى تعرض الداى محمد عثمان إلى ستة محاولات اغتيال فى ظرف ثلاثة أشهر (DE GRAMMONT, 1887: 320). فالمحاولات المتكررة للتخلص منه لم تتجح، بل زادته عزما للتصدي لها وإحباطها فى مهدها، فاستمراره دايا على الجزائر لمدة خمسة وعشرين سنة، تدل على قوة الشخصية التى تميز بها، ومن جهة أخرى الخبرة التى تحصل عليها من الوظائف الكثيرة التى تقلدها، مكنته من التحكم فى زمام الأمور والحفاظ على الاستقرار والهدوء، فالداى محمد عثمان يستحق كل المدح الذى خصته به الكاتبات المحلية وحتى الأجنبية فهو من أفضل الدايات الذين مروا على حكم الجزائر.

الداى بابا حسن 1791 - 1798

تولى الحكم بعد وفاة الداى محمد بن عثمان، حيث كان بابا حسن خرناجي فى حكومة هذا الأخير، ولذا تسلم السلطة بشكل سلمى، تميزت شخصيته بالهدوء والمرح لتتغير طباعه فأصبح شكاكا وحذرا (DE GRAMMONT, ALGER, 1887: 346). وقد أدرج الزهار وصفا لسيرته إذ قال عنه "...كان عاقلا عارفا له فطانة، إلا أنه فى بعض الأحيان يعتريه حمق حتى يفعل أمور لا محل لها." (الزهار، 1980: 52).

إن التناقض في شخصية الدايات يمكن إرجاعه إلى ذلك الخوف والفرع الذي تحكم في حياتهم وانعكس على تصرفاتهم، وهذا ما جعل بابا حسن يقدم على تصفية مقربيه وموظفيه، من هؤلاء مصطفى الوزناجي الذي كان بابا على التيطري، لما بلغه أن الداوي يريد التخلص منه فر إلى قبة أحد الأولياء الصالحين للنجاة بنفسه.

(DE GRAMMONT, 1887 :347)، وهذا ما جعل الزهار يتعجب من تصرفاته وقرارات الداوي الذي عمد إلى التخلص من مقربيه في قوله "...المعتبر في أمر هؤلاء ملوك الأتراك كيف يقتلون رجالهم وخصوصا خيارهم." (الزهار، 1980:52).

في فترة حكمه بدأ النفوذ اليهودي يتغلغل إلى السلطة، وذلك عندما سمح الداوي بتعيين حسن نفتالي مستشارا له وهو ما سيجعل الأمور تتطور لتعرف لاحقا منعرجا خطيرا على مستقبل الإيالة.

تعرض هذا الداوي إلى محاولة اغتيال اشترك فيها خمسون انكشاريا حاولوا دخول قصر الجينية بالقوة، إلا أن وكيل الحرج استطاع صدهم وإفشال مكيدتهم، حيث تمكن من البقاء على رأس الإيالة لسبعة سنين ورغم ما كان ينتابه من فرع وشك في مقربيه غير أن وفاته كانت طبيعية في 14 ماي 1798، ليعلن الوزناجي مصطفى دايا على الجزائر. (DE GRAMMONT, ALGER, 1887 :355).

الداوي مصطفى 1798 - 1805

الداوي مصطفى من مواليد الأناضول انضم إلى المليشيا ثم ارتقى للعمل في قصر الداوي محمد عثمان، وصوله لهذه الوظيفة كان بمساعدة حسن الخزناجي²². من

22- دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

1989، ص 39.

الوظائف التي مارسها قبل مجيئه للجزائر رعي الغنم في موطنه الأصلي ثم فحاما، فحارسا لدى الخزناجي لما دخل الجزائر. (DE GRAMMONT, ALGER, 1887: 356)

وعن سيرته فقد استرسلت المصادر الفرنسية في انتقادها وتبيان مواطن ضعف شخصيته، فهناك من وصفه بالخشونة والقسوة والجهل²³، كما اعتبره "ديبواتانفيل" شخص لا يتوفر على اللباقة السياسية، أهمل الحكم وارتكز على جمع المال²⁴، فالعيوب التي أوردتها هؤلاء في حق الداوي مصطفى تعود إلى توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا في عهده، لكن ذلك لم يكن حكم كل الكتابات الأجنبية فالألماني "شونبيرغ" ينفي هذه الأوصاف ويؤكد على سيرته الحسنة في قوله "تميز برفق لم يعرفه الجزائريين وكذا المسيحيين" (أبو العيد دودو، 1989: 41).

وما يعاب على هذا الداوي تقرب اليهود إليه، حيث جعلهم مصدر ثقته، ما سيمكنهم من التدخل في سياسة الدولة، بعد أن أصبح مصير الموظفين بأيديهم ووفق مزاجهم، ويمكن إرجاع هذه المكانة التي أصبح عليها اليهود إلى ذكائهم وسياستهم الدارسة للأوضاع التي مكنتهم من التدخل في الوقت المناسب لفرض آرائهم بإنقاذهم للداوي مصطفى عندما كان بايا للتيطري سنة 1792، لما أمر الداوي حسن باغتيالها، كما سعوا لدى هذا الأخير للحصول له على العفو وأقنعوه بضرورة توليته بايا على بابلك قسنطينة سنة 1794. (GRAMMONT, 1887: 350)، هذه الخدمات التي قدمها اليهود للداوي مصطفى ستقيده وتجعله ملزما على رد الجميل وترضية نفتالي. يكفي أن نشير إلى

23 -MERCCEL EMERIT , *Alger En 1800 D'après Les Mémoires Inédits De La Maye* , in Revue Historique Maghrébine ,N°02, Tunis, 1974, p175

24 - بوشنافي محمد، *الداوي مصطفى باشا 1798-1805*، مجلة عصور جديدة، العدد 7-8، جامعة وهران،

ما أورده الزهار حتى نتبين مكانة اليهود لديه في قوله "كان مبغضا للعرب محبا لليهود". (الزهار، 1980: 71).

فالامتيازات التي حصلها اليهود خلال هذا العهد مكنتهم من مضاعفة أرباحهم ووضع أيديهم على المؤسسات السياسية والاقتصادية للدولة الجزائرية، وكان ذلك على حساب السكان، ما أثار غضب الانكشارية عليهم وعلى سياسة الدايا، لكن السؤال الذي يطرح في هذا الخصوص ما الداعي الذي جعل مصطفى كداي يمنحهم كل هذه الحرية، حيث ما فتئ أن أصبح نفوذهم يتخذ هرما تصاعديا فلو تفهمنا أسلوب المجاملة والدبلوماسية التي تعامل بها معهم حينما كان بايا لقسنطينة، لأنه لو حد من هذا النفوذ سيسعون بالمؤامرات لدى الدايا حسن لإبعاده واغتياله، ولكنه كداي للجزائر كان يملك كل السلطة لمنعهم وإيقافهم، غير أن الاحتمال الأساسي لتصرفه هو المحافظة على مورد مالي إن هو حدث عجز في خزينة الدولة وذلك لإسكات غضب الانكشارية التي لا يمكنها التغاضي عن أجورها.

توترت في عهده العلاقة بين الجزائر وفرنسا بعد حملة هؤلاء على مصر بقيادة نابليون، فكان رد الباب العالي إصدار فرمان للدايا مصطفى يأمره فيه بإشهار عدائه للفرنسيين²⁵، وقد ساهم في هذا القرار الانجليز نتيجة عدائهم التاريخي لفرنسا، فكان كل طرف يسعى للكيد للآخر والتقليص من امتيازاته في الإيالة ولدى الدولة العثمانية.

وعن المحاولات التي استهدفت الدايا مصطفى خلال فترة حكمه، فكانت كثيرة تمثلت في خمسة محاولات اغتيال، المحاولة الأولى كانت وراءها أطراف خارجية نتيجة

25- حصول الدايا مصطفى على القفطان وفرمان التولية من السلطان العثماني 16 أكتوبر 1798 تلقى معه أمرا بإعلان الحرب على فرنسا إلا أن الدايا مصطفى تماطل في اتخاذ قراره ، ما جعل الدايا يكرر طلبه في 22 نوفمبر 1798 بلهجة تهديد وضرورة قطع العلاقات أنظر: الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1980 ، ص 225.

تقريب الداى للفرنسيين على حساب الانجليز، وهذا ما أغاض هؤلاء حيث سيسعى القنصل الانجليزي "فالكان" بتحريض خوجة الخيل لتنظيم محاولة اغتيال ضد الداى وكان ذلك 18 سبتمبر 1801، حيث استغلوا وجوده في المسجد للصلاة إذ دخل المتمردون قصر الجنيينة معلنين خوجة الخيل كداى للجزائر، إلا أن الداى ومرافقيه من الموظفين استطاعوا تطويق المجموعة ودحرها. (GRAMMONT, 1887: 357)، هذه الحادثة قد أوردها الزهار في مذكراته ومما جاء فيها "...جاء مختفيا ومعه بعض أصحابه فدخلوا الإمارة وطلعوا السراية فأخذوا السلاح وتفرقوا، فلم يجد عندها الجند إلا طريقة واحدة وهي وضع ثقبه في مسجد صغير ملاصق لسقيفة دار الملك حتى وقفوا عليه وقتلوه. (الزهار، 1980: 81).

ففشل المحاولة الأولى زاد من إصرار المستأين من حكمه للتخطيط لمحاولة ثانية انفرد الزهار برواية أحداثها حيث ذكر "...في السنة التي بعدها ثار علي خوجة وكان من ذاكري الله، أخذ قصبة يتكئ عليها إلى أن وصل دار الملك [...] ولما أراد ضربه استل اليطغان وترك القصبة، لكن لحق به وكيل الخرج وقتله (الزهار، 1980: 81). هذه المحاولة حسب رواية الزهار كانت فردية يمكن إرجاعها إلى انتقام شخصي.

بينما المحاولة الثانية كانت نتيجة أزمة اقتصادية مست الإيالة، خاصة مع استحواذ اليهود على صادرات القمح، ما انعكس على غلاء المعيشة والضيق التي أصبحت عليه الرعية ولذلك تحينوا فرصة تفقده لتحصينات المدينة إذ ترصده أربعة أتراك أطلقوا عليه النار، وقعت هذه الحادثة 21 مارس 1804 (GRAMMONT, 1887: 359). أصابت الطلقات النارية رأسه وذراعه غير أنها لم تكن قاتلة، وقد تعرض الداى

مصطفى لمحاولة رابعة كانت أخطر من سابقتها، أصابت يده اليمنى فقطعت له إصبعين وفيها أصيب الخزناسي بضربة سيف. (سامح ألتر، 1989: 385).

غير أن المحاولة التي أودت بحياته كانت نتيجة تقريبه لليهود ووقوعه تحت تأثيرهم وسيطرتهم، ومنهم كبيرهم بوجناس التي كانت له صولة كبيرة مع الأمير والخناسي (الزهار، 1980: 82)، وهذا ما خلق استياء وسخطا لدى الجميع، عندها أقدم أحد الأتراك واسمه يحي في 28 جوان 1805 من قتل اليهودي بوشناق وهو في دكانه (GRAMMONT, 1887: 361). عندها عم الاضطراب مدينة الجزائر، بعد أن نادوا بضرورة التخلص من الداى مصطفى وبتحريض من أحمد خوجة الذي كان أحد الكتاب الذين عزلهم الداى، وللانتقام منه خطط للانقلاب عليه والاستيلاء على السلطة مستغلا غضب الرعية، واعد العسكر برفع رواتبهم حتى يستميلهم إليه (دودو أبو العيد، 1989: 46)، وهذا ما أدى إلى فوضى عارمة انتهت بقتل نحو مائتي من اليهود²⁶ ليلحقه اغتيال الداى 30 أوت 1805 (DEVOULXA, EPIGRAPHIE, 1872: 152)، الموافق لـ 05 جمادى الثانية 1222هـ بعد محاولة فراره إلى أحد الأضرحة نجاة بحياته مع الخزناسي إلا أن بوصله إلى ضريح الولي دادة وجد أبوابه مغلقة ولذلك قتل هو ومرافقه (الزهار، 1980: 89). ورغم مقتل الداى مصطفى إلا أن الفوضى والاضطرابات استمرت شهرا كاملا لأن آغا الصبايحية هو الآخر كان يطمع في الحصول على هذا المنصب محاولا إسقاط أحمد خوجة المتسبب في هذه الفتنة الخطيرة.

ما يمكن استخلاصه عن اغتيال الداى مصطفى، هي سياسته التي اعتمدت على إرضاء اليهود ومنحهم كل الصلاحيات والتسهيلات لدرجة جعلتهم يتدخلون في شؤون

26 - يذكر أبو العيد دودو أن عدد القتلى اليهود وصل إلى 300 يهودي ، طالع كتابه عن الرحالة الألمان :44، كما يشير الزهار إلى هذه الحادثة ،أنظر: 88 .

الدولة الداخلية والخارجية، وهذا ما عجل في التخلص منه ومن سيطرة اليهود على الإيالة.

الداي أحمد 1805 - 1808

تقلد الداي أحمد لهذه الوظيفة كان بطريقة دموية بعدما كان المحرض لاغتيال سلفه والجلوس مكانه، افتتح عهده بتصفية منافسيه ونفي الآخرين (أبو العيد، 1989: 47).

أما عن صفاته فقد اعتبره "DE GRAMMONT" شخصا هادئ الطبع، حيث أظهر منذ الوهلة الأولى حبه للسلطة (DE GRAMMONT, ALGER, 1887: 366)، غير أن الزهار ينفي عنه صفة الهدوء معتبرا إياه سفاحا لدماء المسلمين من غير شرع (الزهار، 1980: 99)، لكن مثل غيره من الدايات كان شكاكا مرتابا فيمن حوله، ما جعل أكثر من تسعة مئة تركي يقتلون نتيجة عدم ثقته²⁷، فهذا النظام الدموي الذي اتبعه الداي أحمد ضد من يشك في ولائهم قد فجر غضب الجند ضده، إلا أن أخطر أزمة هددت سلطته كان اضطراب العلاقة مع تونس سنة 1806 ما أسفر عن نصر للجيش الجزائري وفرار ثمانين جنديا من التونسيين إلى الجزائر (أبو العيد دودو، 1989: 52)، عندها تشجع الداي لتوجيه حملة أخرى ليتجدد القتال بين الطرفين سنة 1807 غير أن الجند الجزائريين رفضوا الانصياع لطلبه حتى أرسل الخزناجي ومعه 200 ألف محبوب ليوزعها عليهم تشجيعا لهم . (أبو العيد دودو، 1989: 53)

أمام هذه الوضعية المعقدة والخطيرة التي عصفت ببايلك الشرق والإيالة معا، سيظهر ما يزيد من تعقيدها بظهور أحمد شاوش، وهو أحد الجند في الجيش الذي كان سيسير إلى تونس ليؤلب بقية الجند على الثورة ضد الداي أحمد، اعتمد في مخططه

27 - دوفال ألبير، الرئيس حميدو، تر. محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1972،

السيطرة على بايلك الشرق ثم التوجه بقوة عسكرية إلى مدينة الجزائر للإطاحة بالداي، وهذا ما أشار إليه الزهار في قوله "أحمد شاوش"²⁸ كان هاربا عند القبائل فبعث له الأمير كتاب الأمان وولاه كبيرا على عسكر المحلة، ولما دخل قسنطينة جعل يدا مع رؤساء العسكر ثم ثار على الباي والآغا وقتلها وفرق جميع ما وجده في الخزينة" (الزهار، 1980:98)، ويشير "الزبيري" نقلا عن "MERCIER" أن باي تونس كانت له يدا في المؤامرة، وهذا ما انعكس على المقاطعة الشرقية اقتصادا وتجارة. (الزبيري، 1984:32)، ولمواجهة الوضع والتحكم فيه عين أحمد بن طوبال كباي جديد على قسنطينة خاصة لما وصلت أخبار تؤكد عزم أحمد شاوش خلع الداوي، إلا أن الباي الجديد استطاع القضاء على أحمد شاوش وقتله. (الزهار، 1980:98).

فسياسة الداوي أحمد في حكم الإيالة لم تكن حكيمة بعد ارتكابه لأخطاء كثيرة منها إرضائه للانكشارية ومطالبها بزيادة أجورها على حساب خزينة الدولة دون التفكير في عواقب التصرف على الوضع المالي للإيالة، أشار إلى ذلك خوجة في قوله "عندما نصب على عرش الإيالة رفع الأجور وعزل وقتل البايات واستولى على ثرواتهم، واستبدلهم بآخرين لا يتمتعون بمميزات تجعلهم يسيرون الإيالة بشكل حسن" (خوجة، 2006:112)، فهذه الأسباب كلها ستؤدي به في الأخير إلى نهاية دموية كما أورد ذلك "DEVOLUX" نقلا عن رواية شاهد عيان وهو أحد الطلاب الذين يدرسون قرب قصر الجنيينة أحداث اغتياله في قوله "قد أحاط اليولداس بالقصر وحاصروه وأصبحوا يرمونه بالرصاص [...] وبمحاذاة القصر كان يجلس أحد الجند، واسمه الليالي عندما ظهر الداوي في أعلى الحائط يحاول الفرار ودون تردد صوب بندقيته إذ أصابته رصاصة

28 - أحمد القبائلي هو شاوش قديم يدعى بوتريوش ، عاش في قسنطينة خلال هذه الفترة ، وكان يعمل بدار الداوي ويلقب بالقبائلي لكونه عاش بجال القبائل ، وفي عام 1802 إتهم بالمشاركة في مآمرة لقتل الداوي مصطفى ، فنفى من الجزائر وزار خفية بجاية وجبل واستقر بقسنطينة . أنظر : (العنزي ، 1985 :76)

سقط على إثرها، في حين هاجمت اليولداش الجثة وقطعتها إربا. (دوفال، 1972: 77-78)، اغتياله كان في تاريخ 07 نوفمبر 1808. (GRAMMONT, 1887: 368).

فنهايته الدموية هذه تسببت فيها عوامل خارجية غدتها تحريضات باي تونس، وذلك للعلاقة السيئة بين الجزائر وتونس خلال هذه الفترة، وأخرى داخلية بالاستياء من طريقة حكمه لكثرة المظالم التي ارتكبتها.

الداي علي خوجة 1808 - 1809

يسمى علي باشا بورصالي تولى دايا سنة 1223هـ-1808. (DEVOULX 130: TACHRIFAT, 1852). لُقّب بالغسال لأنه زاول مهنة غسل الموتى، ثم أصبح وكيلاً لمصلى صغير وارتقى لاحقا إلى منصب خوجة، وهذا ما يبين أن منصب الحاكم في الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن تراعى فيه شروط الثقافة والمستوى العلمي ولا شرط الخبرة والدراية بشؤون السياسة²⁹، وصفه "DE GRAMMONT" بالخشونة والقسوة (DEGRAMMONT, 1887: 369)، ونعته خوجة بالضعف والخضوع (خوجة، 2006: 113) نستشف ضعف شخصيته عندما طلبت منه الانكشارية الزيادة في رواتبها، في فترة لم تكن أحوال الخزينة لتستجيب لرغبتهم، لذلك استحلوا نهب المدينة أمام رضوخ الداي للأمر الواقع ومراسلته ليعطيهم رخصة بنهب المدينة بيتا بيتا (GRAMMONT, ALGER 370: 1887)، غير أن ما حال دون تنفيذ مخططهم انقسام الانكشارية بين مؤيد ورافض للنهب، وبوصول محلة الشرق بقيادة عمر آغا الذي قرر في اجتماعه مع الجند اغتيال

29- في بداية حكم الداي علي خوجة باشر التخلص من العناصر التي تشكل تهديدا لسلطانه حيث أصدر أوامر حق الليالي الذي اغتال سلفه الداي أحمد، حين استدرجه لقيادة كتيبة إلى مليانة، وأرسل أوامر سرية بخنقه، أنظر (دوفال ، 1972: 79).

الداي علي خوجة الخيل (ألتر سامح، 1989: 594)، واتفقوا على وضع السم له، لكنه رفضه عندئذ سلم إلى رئيس الجلادين بتهمة الخيانة والطغيان (أبو العيد دودو، 1989: 59)، وقد نفذ فيه الحكم في 07 فيفري 1809. (DE GRAMMONT, 1887: 370)

استمر حكم علي خوجة للجزائر أربعة أشهر أظهر فيها الضعف والخضوع، فاستمراره على رأس الإيالة كان سيجلب لها المصائب والويلات، خاصة لما سمح للانكشارية بنهب مدينة الجزائر، خوفا على حياته وحتى يتجنب الاغتيال، وبذلك كانت سترتكب مجازر رهيبة في شوارع مدينة الجزائر ما كان لأحد أن يسلم منها فالداي علي خوجة مثال للدايات الضعاف الذين استحوذت عليهم صفة الخضوع والانصياع إلى رغبات الانكشارية وأهوائها فكانوا لعبة في أيدي الأوجاق.

الداي علي خوجة 1809 - 1815

تقلد وظيفة خوجة الخيل قبل أن يصبح دايا للجزائر بعد مقتل سلفه الداي علي خوجة، وبعد رفض عمر آغا الذي قاد التمرد قبول المنصب.

اعتبرته الكتابات الأجنبية جاهل وقاس، شكاك سفاك للدماء مدمن على تدخين الأفيون (GRAMMONT, 1887: 370)³⁰، كما ألصقت بعلي خوجة صورة الداي الدموي العنيف، للقسوة والصرامة التي اتبعها في الحكم لدى لقب بعلي النمر. (أبو العيد دودو، 1989: 63).

تجدد في فترته الصراع بين الجزائر وتونس، لدرجة جعلت السلطان العثماني محمود يتدخل للإصلاح بين الطرفين (سامح ألتر، 1989: 600)، كما ركنت الانكشارية

30 - يذكر ألتر أن التعذيب على الدولا ب والتعليق بالشناكل و الخوزقة كان شيئا محببا له أنظر: ألتر سامح، 596.

إلى الهدوء وفضلت رفض القتال، وسعت إلى تحية الداى علي خوجة، عن طريق الاستعانة بعمر آغا وتكليفه بخلع الداى علي خوجة، وتم الاتفاق هذه المرة مع وكيل الحرج عبد الله لقتله بطريقة لم يسبق انتهاجها إلا عندما قتل سالم التومي، فهي تضمن السرية التامة واحتمال نجاح المحاولة كبير جداً، كما تجنب الفوضى الناجمة عن الصراع على السلطة التي تصحب مثل هذه التصفيات، ويتمكن منفذها من الارتقاء إلى العرش بسهولة، هذه الحادثة قد أشار إليها الزهار في قوله "...دخل الأمير الحمام، فأتى وكيل الحرج وأغلق عليه الباب وأمر واقد النيران أن يقويها حتى أغمي عليه، فدخل حينئذ وكيل الحرج وذبحه" (الزهار، 1980: 111). بتنفيذ العملية تم ترشيح عمر آغا، هذا الأخير الذي رفض قبول منصب الداى للمرة الثانية ولذلك اقترح تعيين الخزناجي محمد بموافقة الوزراء، صادف ذلك تاريخ 22 مارس 1815.

الداى محمد 1815

ارتقى الخزناجي محمد إلى مرتبة داي 11 رجب 1230 هـ - 1815. (DEVOULX, 1852: 130). غير أن صعوده إلى السلطة لم تكن رغبته الخاصة في فترة توالى فيها النهاية الدموية للدايات، حيث تم إرغامه على قبول هذا المنصب الخطير الذي وافق عليه مكرها (شالر، 1982: 162)، ورغم كبر سنه إلا أن ذلك لم يمنعه من فرض الصرامة والانضباط على الأوجاق التي استقحلت الفوضى في صفوفها، ولتطبيق الأمر سن قرارا يقضي بعزل الجند العاجزين على مواصلة العمل العسكري لكبر سنهم، حيث وصل عدد الذين تم إقصاؤهم إلى حوالي سبعة مائة جندي من أصل أربعة آلاف مزاولين الخدمة. (GRAMMONT, 1887: 375).

فالإصلاح الخطير الذي انتهجه الحاج محمد، سيثير في الانكشارية مخاوف تهدد زوال كيانه، وهذا ما سيجعلهم يفكرون في إبعاد هذا الخطر الذي يهددهم، فاستمراره في

الحكم دام خمسة عشرة يوما وهي أقصر فترة حكم عرفها عهد الدايات، فكان السبب المباشر للانقلاب عليه ما أشار إليه الزهار مبينا أن الآغا عمر هو من كان وراء اغتياله بعدما روج لمقولة مفادها أن ابن الأمير يخرج المال من السراية [...] فذهب إلى قشلة العسكر ثم توجهوا لدار الإمارة، وبعثوا له بالخلع وأدخلوه لموضع قتل العسكر وخنقوه (الزهار، 1980: 115). فحادثة اغتياله كانت 28 رجب 1230 هـ (DEVOLUX, 130: 1852, TACHRIFAT).

تعتبر فترة حكم هذا الداوي من أقصر الفترات حكما، حيث كانت الاضطرابات والأحداث المتسارعة التي مرت بها الجزائر في أواخر هذا العهد سببا في اغتياله وفي فترة مبكرة، ما يعكس الضعف والفساد الذي أصاب هرم السلطة.

الداوي عمر 1815-1817

وصف الداوي عمر³¹ بالأمي، لجهله القراءة والكتابة (أبو العيد دودو، 1989: 64)

فالسمة والنفوذ التي كان يتمتع بها الداوي عمر بين الجيش، إضافة إلى سمة القيادة أهله ليصبح حاكما على الجزائر بعد إجماع الانكشارية على شخصه رغم رفضه لهذا المنصب لمرتين متتاليتين، وعلى ما يبدو، فالداوي عمر لم يكن يخشى الاغتيال وما يبرز ذلك توجهه إلى منزله الخاص دون حراسة، ولعل ذلك راجع إلى ثقته المفرطة في محيطه، خاصة لما كان آغا للانكشارية، إلا أن هذه الظاهرة الخطيرة التي عصفت بحكم الدايات لم تترك حاكما لم تهدده، ولذلك فهو الآخر تعرض في سنته الأولى إلى محاولة من طرف منافسه وزير البحرية عبد الله والذي كان نفوذه في ازدياد، غير أن مخططه فشل. (شالر، 1982: 173).

31- كان عند اعتلائه العرش يبلغ الثلاثة والأربعين سنة، وهو من الأعلاج ذو الأصول الإغريقية اعتنق الدين الإسلامي. أنظر: (شالر، 1982: 160).

لكن الشاذ والغريب عدم إصدار الداوي عمر لعقوبة القتل في حق خصمه عبد الله وإنما اكتفى بنفيه إلى المشرق مع أمواله، فخرينة الإيالة في عهده كانت تعاني عجزاً من دفع رواتب الجند في آجالها المحددة، فهذه المهمة هي أولى الأولويات التي على عاتق الحكام الاهتمام لها. وهذا ما توضحه الرسالة التي بعثها الداوي عمر إلى السلطان العثماني مما جاء فيها "إننا ملزمون على دفع إتاوات ما بين 30 إلى 40 ألف انكشاري [...] فمند عشرة سنوات لم نتمكن من مضاعفة إتاواتهم، أما اليوم فتسديد رواتبهم يتم كل أربعة أشهر للبعض وستة أشهر للبعض الآخر وقسم آخر كل سنة" (التميمي، بحوث، 1985: 60)، أما الأزمة الأخرى التي ستتغص عليه حملة اللورد اكسموت الانجليزي سنة 1816 والتي اشتركت فيها هولندا، حيث كانت نتائجها المادية خطيرة، إذ قضت على معظم وحدات الأسطول، وهدمت البنايات والمنشآت، وما سيثير الانكشارية عقد الصلح بشروط مخزية، بعدما تم تسليم جميع الأسرى المسيحيين وعددهم 1200 أسير وتعويض مصاريف الحملة بـ 500 ألف فرنك (GRAMMONT 1887: 379). وما زاد من تدهور الأوضاع انتشار الوباء الذي خلف ضحايا كثر، حيث أجمل الزهار الأزمات التي رافقت حكمه، قائلاً "كانت أيامه ودولته كلها عكس ومصائب الجراد، الغلاء ومصيبة موت حميدو، ومصيبة الانجليز، كما كان سفاكا للدماء". (الزهار، 1980: 127).

كما انتشر وتداول بين الألسن أن الداوي منحوس ومشؤوم (شالر، 1982: 167)، وهي شائعات قائمة على الخرافات والبدع، وهذا ما يعكس المستوى الثقافي لسكان الإيالة فكان وباء سنة 1817 خير دليل لهؤلاء على صدق مزاعمهم، ولذلك دبرت مؤامرة تزعمها علي خوجة وهو أحد الجند، فأخبار المؤامرة وصلت مسامع الداوي الذي حاول استمالة الجند غير أنه لم ينجح، عندها قرر مواجهتهم لكنه اصطدم بخذلان وزرائه له

حينها وضع السلاح ولم يقاوم وخنق بقصر الجينية (الزهار، 1980: 131)، يوم 26 شوال 1232 هـ. (DEVOLUX, TACHRIFAT, 1852 : 130).

يعتبر الداى عمر من الشخصيات الفذة والقوية، ونموذج لحاكم محنك يتمتع بمؤهلات وخصائص جعلته يسير الإيالة بطريقة أفضل. إلا أن الأزمات التي زامنت حكمه جعلته عرضة لغضب الجند والرعية، ما يؤكد لنا أن مثل هذه المصاعب كان الداى هو من يتحمل نتائجها، وفي الأخير يلقى المصير المأساوي.

الداى علي خوجة 1817-1818

تسمى دايا 26 شوال 1232 هـ وتوفي 23 ربيع الثاني 1233 هـ، بعد حكم استمر ستة أشهر (DEVOLUX, TACHRIFAT, 1852 : 130)، فلقب الخوجة الذي أضيف إلى اسمه لقب شرفي، وحسب شالر ربما لأنه كان عالما متطلعا في الجزائر، ولكنه لم يمارس مهنة الكتابة (شالر، 1982: 175)³²

صعوده إلى السلطة كان بعد ضلوعه في مكيده استهدفت اغتيال سلفه الداى عمر، وما ساعده على ذلك ما كان يتميز به من قوة الإقناع وسمعته بين الجند والوعود التي أطلقها لكسب الأوجاق. (شالر، 1982: 172)،

قام هذا الداى بخطوة جريئة وخطيرة لم يقدم أحد من الدايات على تنفيذها، وذلك عند تحويله لمقر الحكم من قصر الجينية إلى القصبة³³، فهذا الإصلاح قد أمن للداى حياته وللايالة استقرارها، كما حرص على تقوية مكانته بإدماجه للفئة المهمشة من

32- ينعته حمدان خوجة بالجاهل، فهو في نظره رجل مجهول ومعتوه، جمع الجيوش ثم استولى على مقاليد الحكم في الجزائر أنظر: (خوجة، 2006: 115)

33- القصبة مدينة محصنة تشغل جميع القسم الأعلى من المدينة وحوالي عشر مساحة مدينة الجزائر أنظر (شالر، 1982: 98)

السكان الجزائريين والکراغلة وكون منهم جيشا بلغ حوالي الألفين ليواجه بهم الانكشارية التي كانت تثير الاضطرابات والفوضى والفتن داخل مدينة الجزائر، فعمد بداية إلى سجن بعضهم ونفي الآخرين، كما وضع جواسيس وعيون لرصد تحركاتهم³⁴، فتحويل مقر الحكم إلى القصبة شكل تهديدا للأوجاق التي ستنتقد المشروع، إلا أن الباشا كان على دراية بانتفاضة الجند الرافضين لهذا التغيير، وعليه وجه مدافع القصبة نحو قشلات العسكر وأصدر أمرا بإحضار رؤوس الفتنة التي قطعت عند باب القصبة إهانة لها (الزهار، 1980: 136)، أما حمدان خوجة فقد عاب حكم الداوي علي خوجة والإصلاح الذي أقره معتبرا استمراره في الحكم خراب للإيالة. (خوجة، 2006: 116)

التغيير الذي حققه علي خوجة يعتبر ثورة حقيقية لم تستهدف السلطة العليا فحسب وإنما الإصلاح عم جميع الإيالة، ما ضمن وفاته بشكل طبيعي بعد إصابته بعدوى الطاعون الذي اجتاحت الإيالة مارس 1818، ليتولى بعده خوجة الخيل حسين آخر دايات الجزائر. (DE GRAMMONT, 1887: 382)

علي خوجة يمكن إدراجه من ضمن الحكام الذين تميزوا بقوة الشخصية والمقدرة الإدارية في تنظيم شؤون البلاد المتدهورة، كما عرف ببعد النظر والقدرة على تأمين الاستقرار والهدوء، ولولا إصابته بالوباء ووفاته ربما كان سيعيد للجزائر مجدها القديم وهيبته في ظل الضعف الذي أصابها نتيجة تداول حكام لم يهتموا بهذا الجانب إلا قليلا خاصة باستمرار محاولات الانقلاب المتكررة التي استفحلت كثيرا في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر.

34- أهم الوسائل التي استعملها علي خوجة للتخلص من المفسدين ما أورده الزهار في قوله: "...في احد المرات اخرج محلة وبعث فيها كلمن رآه شيطانا وبعث في إثرهم منهم من قتلوه ومنهم من أجلوه " أنظر: (الزهار ، 2006 : 136)

الداي حسين 1818 - 1830

آخر دايات الجزائر من مواليد شهر فيفري 1773، من أصل تركي، انتقل إلى اسطنبول أين انظم إلى صفوف المدفعيين، بعد ثلاثة سنوات كانت وجهته الجزائر التي التحق فيها بصفوف الأوجاق³⁵، ارتقى إلى وظيفة خوجة الخيل ليرفع بعدها إلى أعلى هرم السلطة وعمره 45 سنة³⁶، فالانكشارية في الجزائر كانت تفتح أمام منخرطها الباب لتسلك أعلى المراتب بالإيالة.

عرف الداي حسين بطبيعته المسالمة والسادجة والتي جعلت وزرائه هم من يتحكمون في الشؤون الداخلية والخارجية للجزائر، خاصة الخزناجي، الذي كان يسعى من خلال مؤامراته إلى إبعاد العناصر ذات الكفاءة والمكانة بين الرعية، من هؤلاء يحي آغا الذي كان يحظى بمكانة مرموقة عند الداي ما أثار غيرة وحسد خصومه، وقد تحدث صاحب المرآة عن خصاله قائلاً "...كان شديد الطموح صائباً في منطقه، يعرف كيف يحبب نفسه خاصة للعرب والقبائل" (خوجة، 2006:150)³⁷.

35- شريد حورية، الداي حسين والأسباب الحقيقية لسقوط الجزائر، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 13، الجزائر، 2003، ص144.

36 -NETTEMENT ALFRED, *Histoire De La Conquête D'Alger*, Ed Librairie Jacques Lecoferre, Paris, 1867, p139.

37- اعتبر حمدان خوجة الآغا يحي من أفضل أغوات الإيالة، لما امتاز به من كفاءة عسكرية، فمن عاداته أن يقوم بغارات وهمية وتحركات تدريبية لجنوده، فيضعهم في حالة الدفاع، فمراكز الحراسة في معسكره كانت دائماً يقظة . أنظر (خوجة ، 2006:164)

ولادانتة جاء الخزناسي بتقارير وشهود زور نفي على إثرها إلى البليدة كمرحلة أولية غير أن نفيه لم يرضي الخزناسي الذي يريد التخلص منه نهائيا، ولذلك دبر مكيدة أخرى لتحريض الداى حسين عليه الذي أصدر حكما بإعدامه، فكانت حجتهم الأولى اتهامه بضرب السفينة الفرنسية السلمية فترة الحصار الفرنسي (بفايفر، 2009: 62)، كما اتهموه بالتواطؤ مع العرب لقلب الحكم (خوجة، 2006: 150)، هذه الحجج الملفقة ضد يحي آغا لم تترك أدنى شك للداى حسين المتخوف من أي تمرد قد يستهدفه.

فالوشاية التي دبرها الخزناسي لإبعاد يحي آغا قد لاقت آذانا صاغية لدى الداى الذي لم يتحقق منها ولأن يحي آغا كان محبوبا لدى الانكشارية، ستسعى هذه الأخيرة الانتقام لمقتله بتنظيم خطة لاغتيال الداى، يوم عيد الأضحى أين اجتمعوا بصريح سيدي بنور (الزهار، 1980: 169)، وقد فصل الأسير الألماني بفايفر الذي تزامن وجوده بالإيالة مع حكم الداى حسين هذه الخطة حين قال "هم ستة وأربعون انكشاريا من أصدقاء وزير الشؤون البحرية (بفايفر، 2009: 74)، إلا أن خطتهم هذه لم يكتب لها النجاح بسبب وكيل الضريح الأعمى الذي أخبر الداى بصنيعهم، معترفا بأن الفقر هو الذي دفعه إلى مشاركتهم نظير مبلغ من المال. (الزهار، 1980: 169)، وهذا يؤكد مرة أخرى أن مثل هؤلاء ما كانوا إلا أدوات ووسائل في أيدي الناقمين الحقيقيين على الدايات، غير أن الداى حسين لم يسلم من محاولة أخرى نهاية سنة 1827 لما كان خارج قصره يراقب سير أشغال التحصينات لكنه نجا منها (NETTEMENT, 1867: 139). وحتى عند اشتداد أزمة الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية كانت ما تزال أفكار الاغتيال واردة وهذا ما أشار إليه حمدان خوجة " فالخزناسي كان همه جمع الانكشارية للإطاحة بالداى حسين بالتواطؤ مع المكاتبجي الذي عين للتفاوض من أجل الصلح،

عارضاً على القائد الفرنسي بورمون رأس الداى، ليقوع هو على الشروط التى يرضونها" (خوجة، 2006: 170).

فالمساعى المختلفة لتنحية الداى حسين واغتياله فشلت، فالداى حسين مثال على نوع من الدايات الذين لم يحسنوا اختيار موظفيهم وحاشيتهم التى من المفترض أن تعينهم على أعباء تسيير شؤون الجزائر، وليس لإثارة الفتن والقلق، فهذا سبب آخر لظاهرة الاغتيالات السياسية التى شملت كل العهد العثمانى فى الجزائر، وحتى الدولة العثمانية كان موقفها تخاذلها اتجاه الحصار الفرنسى، والتى رأت فى إنهاء هذا الصراع إرسال بعثة على رأسها طاهر باشا لتنظيم اغتيال الداى حسين (قنان، معاهدات، 2010: 244)، فهذا الإجراء الأخير يبين سياسة سلاطين آل عثمان الذين اعتمدوا على الاغتيال كحل لإنهاء مختلف المشاكل سواء كانت بالأسنانة أو الإيالة.

فعهد الدايات من العهود التى استفحلت فيها ظاهرة الاغتيال السياسية بشكل خطير، جعل الحكام يتداولون على السلطة فى أوقات متقاربة ومتسارعة حتى نهاية الحكم العثمانى بالجزائر.

الفصل الرابع :الاغتيال في أوساط المقاطعات وتأثيراته

❖اغتيال بايات المقاطعة الشرقية

❖اغتيال بايات المقاطعة الغربية

❖ انعكاسات الاغتيال السياسي

الاغتيال في أوساط المقاطعات

لم تقتصر ظاهرة الاغتيال التي ميزت العهد العثماني في الجزائر على السلطة المركزية الممثلة في الباشوات المبعوثين من اسطنبول، أو من الأغوات والدايات المعنيين بالجزائر، ولذلك نجد أن حكام المقاطعات الثلاثة هم الآخرين لم يسلموا من هذه الظاهرة السياسية، والتي غالبا ما يكون باشوات الجزائر هم وراء التخطيط لها.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى بايات كل إقليم مبيّن الأسباب والطريقة المتبعة لاغتيالهم بعد توضيح لقب الباي وشروط تنصيبه والمهام التي يمارسها على مستوى إقليمه.

1/ الباي

الباي مصطلح تركي يعني بلغة الأتراك قائد القيادة، ولما يعظمونه يقولون "الباي لار" (الزياني، 185:1978)، يعين من طرف الباشا على أحد المقاطعات الثلاث أو ما يعرف بببايلك الشرق، الغرب وال تييطري، فهو بذلك السيد الأول على إقليمه، إذ يحوز على صلاحيات واسعة ومطلقة (DE TASSY, 1725:231)، غير أن هذا الحكم يجب أن يراجع لأن الباي رغم حرية التصرف المطلقة التي منحت له على مستوى بايلكه، إلا أن سلطته محدودة أمام الباشا الذي يراقب ويتابع تصرفاته عن طريق الباش آغا وعشرة من الأتراك المعينين من طرفه حيث يعلمونه بكل أمر قد يخالف إرادته (سعيدوني، ورقات، 151:1999).

جعل "AUCAPITAINE" خدمة الباي بثلاثة سنوات (AUCAPITANE, 1865: 282) وربط ذلك بتقديم الباي للدنوش، هذه المهمة الموكلة له تعتبر علامة يتمكن على أساسها الباي من مواصلة ولايته، أو قد تكون سببا في عزله وفي أحيان أخرى اغتياله، لكنها ليست بالقاعدة الأساسية، لأن هناك من صدر فرمان عزلهم ولم يستمروا ستة أشهر.

2/ شروط تنصيبه: تولية البايات على المقاطعات، كان يعتمد في بداية عهد الأتراك بالجزائر على مقاييس ومعايير يحرص خلالها الباشا على تعيين أصحاب القدرة والكفاءة فلم يكن يرتقي لوظيفة الباي سوى المعروف بالحروب والشجاعة وحسن التدبير والسياسة. (قشي، 2005: 90)

فكان حكام الجزائر ينصبون بعض البايات حسب الظروف التي تقتضيها الأوضاع على مستوى كل بايلك وخصوصياته، فالباي كان يختار من بين المقربين لحكام الجزائر، أو من الأشخاص الذين لهم صلات قرابة بالعشائر أو ممن تولوا منصب القيادة مثل قائد العواسي لقسنطينة، قائد فليقة للغرب، أو خليفة للباي السابق. (سعيدوني، ورقات، 1999: 241)

يتجلى الهدف من هذا الاختيار في محاولة لتعيين أشخاص يتمتعون بمكانة هامة لدى العشائر والقبائل حتى تأمن شرها ورفضها¹، وتضمن مساعدتها، ومن جهة ثانية الحرص على ضبط المناطق الشاسعة الخارجة عن نطاق الحكم التركي، ومن الشروط

1- يشير حمدان خوجة أن البايات كانوا يختارون من ضمن الجنود الذين سبق وأن اظهروا قدرات وكفاءات عالية في مختلف الميادين، وجعل رتبة الباي في الدرجة الثانية بعد الآغا، وذلك لأهمية وظيفته. أنظر: (خوجة، 2006: 138).

الأخرى التي يجب أن تتوفر في الباي الأصل التركي، وهذا ما أشار إليه المزاري في قوله "ولا يتولى باي أو خليفة أو قيادة مدينة أو فليقة، إلا من كان تركيا أو كرغليا" (المزاري، 1990: 274).

فالشروط التي كان على أساسها يتم انتقاء حكام المقاطعات كالشجاعة وحسن التدبير بدأت تتزحزح وتزول لتترك المكان لسلطة المال والنفوذ كما بين صاحب المراء ذلك في قوله "...ففي أحيان كثيرة كان منصب الباي يمنح لأشخاص بلا مروءة ولا كفاءة" (خوجة، 2006: 130).

فالقول الأخير يبرهن على الفوضى التي مست التنظيم الإداري في الجزائر خلال الفترة الأخيرة، حيث انتشرت وبشكل فاحش ظاهرة الرشوة وشراء المناصب، ما كان له تأثير سلبي على الرعية باستنزاف خيراتها من خلال محلات جباية الضرائب التي كانت بإشراف البايات لتعويض الأموال التي فقدوها عند شرائهم للمنصب، وفي هذا الخصوص قد أورد الأسير الأمريكي كاتكرت حوارا عن صالح باي أثناء تواجده بمدينة الجزائر إلى أحد الخدم قوله: "كان صالح باي ذات يوم يخرج من القصر، إذ اعترض طريقه خادم يطلب إليه البقشيش [...] فرمى بقطعة نقود إليه وقال خذ سوف أبتز مثلها من مواطنيك..." (كاتكرت، 1982: 52).

فتعيين البايات في أحيان أخرى كان يعتمد على نزوات الدايات محاولة منهم مصادرة أموالهم وضمها إلى خزينة الدولة، وكنموذج على ذلك ما قام به أحمد خوجة (1805-1808) لما نصب دايا من رفع الأجور وعزل وقتل البايات والاستيلاء على ثرواتهم. (خوجة، 2006: 112).

3/ مهام البايات : يمارس البايات مهامهم ضمن نطاق إقليمهم، ومنها استخلاص وجباية الضرائب التي يجمعها كمصدر دخل قار لخزينة الدولة بمدينة الجزائر، يقتادها خليفته كل ستة أشهر، أما الباي فكل ثلاث سنوات، يذكر المزاري معرفاً الدنوش قوله " للباي شرط في دخول الجزائر كل ثلاث سنين، إن لم يكن به عذر من مرض، ويسمى هذا الدخول بالدنوش لإعطاء مال الدولة. (المزاري، 1990: 273) .

للدنوش مراسيم معروفة لا يمكن لأي باي تجاهلها والحياد عنها، وهي ثلاث مراحل، تتمثل المرحلة الأولى عند خروج الباي من البايك، والطريق الذي يسير فيه وصولاً إلى دار السلطان، وتأتي المرحلة الموالية في دخوله إلى مدينة الجزائر وقصر الداوي، ثم المرحلة الأخيرة وهي أهم المراحل التي يتم فيها تقديم العوائد ثم العودة إلى مقاطعته.

وكما جاء في مذكرات شريف الزهار فإن الباي لا يستطيع الدخول إلى مدينة الجزائر إلا بعد إذن الباشا له بذلك، حيث يعين له اليوم الذي يدخل فيه في قوله "عندما يقترب من المدينة، يذهب الباش آغا سيرا ويبيده كتاب الباشا يستأذنه [...] ويعين له اليوم الذي يدخل فيه. (الزهار، 1980: 37)

يباشر خدمته وكيله² المقيم بالجزائر، فهذه الرتبة لا تعطى إلا لمن هو أهل لها (المزاري 1990: 37) فالباي أثناء وجوده بمدينة الجزائر عليه أن يثبت جدارته وكفاءته حيث يمكن أن يشبه ذلك باجتيازه لامتحان، إذا نجح فيه ضمن بقاءه على رأس مقاطعته وإن خسر فقد يعزل أو تصدر أوامر بقتله، ولتفادي مثل هذا المصير المأساوي

2- يوضح ESTERHAZY أن الغاية من وجود وكيل البايات في مدينة الجزائر ليس فقط لخدمة الباي وإنما لمعرفة ما إذا كانت هناك دسائس تحبك ضد الباي من أعضاء الديوان لعزله. أنظر (ESTERHAZY, 1840: 245),

ما عليه سوى جمع قدر كبير من المال والهدايا الثمينة³ لإرضاء الداي وحاشيته التي هي الأخرى لها نصيب من هذه العوائد في قول المزاري "...وبعدها تضيفه أرباب الدولة وأكابرها، ويعطى فيها مال آخر" (المزاري، 1990: 273).

يستمر بقاء الباى بمدينة الجزائر سبعة أيام يغادر بعدها في اليوم الثامن رفقة الآغا الذي يشيِّعه على مسافة نحو الساعتين والثلاث. (المزاري، 1990: 274).

فتحصيل الضرائب ودفعها إلى خزينة الدولة، ليست المهمة الوحيدة التي على عاتق البايات، فمن وظائفهم الأخرى دفع أجور جند الحاميات العسكرية والحفاظ على الأمن والاستقرار للرعية (سعيدوني، ورقات، 1999: 242)، والإشراف على المخزن الذي يمثل قوة احتياطية يستعان بها وقت الحملات الخارجية التي تتعرض إليها الجزائر مثلما حدث وقت الحملة الاسبانية بقيادة أوريلي 1775، حيث استدعى الداي محمد عثمان صالح باي صاحب ناحية الشرق، وكذلك باي ناحية التيطري، كما بعث إلى خليفة الغرب (ابن رقية، 1976: 26) وللباي حرية التصرف في رعاياه بتطبيق جميع الأحكام التي قد تصدر في حقهم من القتل والقطع والضرب والسجن والعقوبة بالمال، أما إن كان تركيا فانه يستأذن الباشا في ذلك. (المزاري، 1990: 271).

4/ عزل واغتيال البايات

استفحلت ظاهرة عزل واغتيال البايات وعرفت حدتها في عهدي الباشوات والدايات، وذلك لجشعهم ورغبتهم الحصول على الثروة، حيث بقتل البايات يستطيع الباشا الاستحواذ على كل ثرواتهم، ومن الظروف الأخرى التي تستغل لقتل البايات، لما ينصب داي جديد، والذي يحرص على تنحية موظفي سلفه، وجعلها من نصيب أقربائه أو المتآمرين معه. (DE TASSY, 1725: 333)، ومن الدوافع الأخرى الدسائس التي كان

3- تتمثل أنواع هذه الهدايا في الأموال، الخيل والحياءك والبلاغي، والشمع والعسل والسمن. انظر: (الزهار، 1980: 40).

المراسيم المتبعة في الدنوش من طرف البايات قد تطرق إليها باستفاضة الزهار، ص 37-40. وانظر أيضا 245- (ESTERHAZY, 1840: 242)

يحكيها الموظفون السامون في الدولة وتحريض الداي بخلع أو قتل البايات خاصة إذا كان هؤلاء لا يراعون مصالحه ولا يتوددون إليه بالهدايا، وهذا ما وقع للباي عثمان الذي حدثت في فترته فتنة ابن الأحرش ولأنه لم يستطع إخمادها اتهمه الخرناجي بأنه متورط فيها، لكن نهايته كانت القتل من طرف ابن الأحرش. (خوجة، 2006: 132)

فالأوقات التي يستغلها الدايات لعزل أو اغتيال البايات، تكون أثناء فترة الدنوش أين يتواجد الباي بمدينة الجزائر، حيث يتحين الباشا هذه الفرصة لتجديد ولايته أو إنهاء حكمه، وهذا ما أشار إليه كاتكرت في قوله "...يعقد الديوان اجتماعا إذا رأى أن سلوك الباي مرضي يبعث إليه الداي مع كبير موظفيه بالقفطان التقليدي، وإذا لم يستحسن تصرفاته فبمجرد خروجه من منزله إلى قصر الداي يقدم إلى الآغا، حيث يرمى في السجن، ثم تقطع رأسه دون محاكمة وفي وقت سريع" (كاتكرت، 1982: 117) ويذكر المزاري في هذا الصدد "أن الباشا إذا أراد قتله يبعث من يقتله محل القتل [...] أو يبعث له من يقتله في الطريق قبل الوصول بحسب ما اقتضاه أمر الباشا من خنق أو غيره..." (المزاري، 1990: 274).

وعن تنفيذ عملية الاغتيال على مستوى البايلك فالباش آغا هو من يشرف عليها. وذلك بعد صلاة الجمعة، يتوجه هذا الأخير مصحوبا بمجلس العشرة، فيبادر إلى نزع خنجر الباي بعد تقديم مراسيم التحية بتقبيل كتفه ثم يتم تسليمه إلى الجلاّد لتنفيذ الحكم. (سعيدوني، ورقات، 1999: 152)

1/ اغتيال بايات المقاطعة الشرقية

يعتبر بايلك قسنطينة أكبر أقاليم الإيالة وأكثرها نفوذا وقوة ذلك لأن المقاطعة

الشرقية تكتسي أهمية بالغة للسلطة المركزية، باعتبارها الواجهة الأمامية التي تتصدى للحملات التونسية التي ازدادت حدة خاصة مع أواخر العهد العثماني بالجزائر. فالباي

إلى جانب مهمته الأساسية في تنظيم وتسيير أمور البايك كان يكلف بخوض ورد الهجمات الخارجية.

علاقة الباي بالسلطة المركزية تتجلى في حصوله على فرمان التعيين، العزل أو الاغتيال، حيث نلاحظ ومنذ الوهلة الأولى أن هناك مرحلتين ميزت الوضع السياسي لبايات قسنطينة.

تمتد المرحلة الأولى من تاريخ تعيين أول باي سنة 1567 وتنتهي باغتيال صالح باي سنة 1792، فترة تميزت بالهدوء والاستقرار على مستوى السلطة المحلية من مظاهرها المدة الزمنية الطويلة التي قضاها البايات في مناصبهم فغالبا ما كانت حياتهم تنتهي بالوفاة الطبيعية، إلا أن هذه المرحلة تخللتها بعض أحكام العزل والاغتيال والتي لم تكن كثيرة، فمن أصل خمسة وعشرون بايا عزل ثلاث بايات ونفذ حكم الإعدام في حق اثنان.

أما المرحلة الثانية فهي تختلف عن الأولى اختلافا كليا، فبقاء البايات على كرسي البايك لم يستمر طويلا حيث يأتي أمر بعزلهم أو باغتيالهم وبالتالي النهاية السيئة، ما انعكس سلبا على المقاطعة والايالة معا.

أ/ المرحلة الأولى: 1567-1792

كان تعيين أول باي لباييك الشرق سنة 1567، تولى هذا المنصب رمضان تشولاق والذي استمر على رأس البايك إلى سنة 1574 (العنثري، 1985:30) يليه بعد ذلك جعفر باي الذي استمر أربعة عشرة سنة من سنة 1574 إلى سنة 1588، وقد تميز هذا الباي باعتماد سياسة حكيمة في تنظيم البايك، إلا أنه وحسب العنثري استدعي لمهام أخرى، وجاء مكانه فرحات باي 1588-1608، من نبلاء قسنطينة هو الآخر انتهت المدة التي قضاها بايا بعد إصابته بعدوى الطاعون توفي على إثرها. (العنثري، 1985: 30-33)

أما الباي مراد الذي حكم من سنة 1622 إلى سنة 1647 لمدة خمسة وعشرون سنة حدثت في عهده ثورة ابن الصخري بن بوعكاز⁴، وكان سبب هذه الثورة إقدام الباي مراد على قتل محمد بن بوعكاز بأمر من الديوان لأنه خرج عن الطاعة السلطانية وقتل معه ابنه وستة أنفس من أجواد العرب بعدها بسنة جهز أخ الهالك وهو أحمد جميع العرب والحنانشة وقصد بهم قسنطينة⁵، وكان ذلك في ربيع 1638. (MERCIER, HISTOIRE DE CONSTANTINE, 1903 :224) هذه الثورة شكلت بنتائجها الخطيرة تهديدا للأمن والوجود العثماني بالبايلك⁶ كادت أن تعصف بحكم الأتراك في المقاطعة إذ أخذ ابن الصخري في إطلاق النار في نوادر القمح والشعير فأحرقها [...] ولم يزل يحرق وينهب، وما إن يسمع بدشرة بها شيء من الزرع إلا نهبه (FERAUD, 1866 :181).

أمام الوضعية المتأزمة والمضطربة التي عاشها البايلك في غياب الأمن وانتشار الفوضى لم تجد الرعية وأعيان المدينة في هذه الحالة من وسيلة إلا تقديم العرائض للمطالبة بتعيين باي جديد فوق الاختيار على فرحات ابن مراد باي الذي وافق الباشا عليه ومنحه فرمان التولية. (MERCIER, HISTOIRE CONSTANTINE, 1903 :229) وإلى ذلك أشار العنترى في قوله "وقد ترك لهم الباشا في الجزائر أمر اختيار الباي من أهل قسنطينة والذي استمر ست سنوات من 1647-1653 (العنترى، 1985:49)، إلا أنه تنازل عن ولايته وذلك في وقت دنوشه ربيع 1653، وبعد مكوثه لثمانية أيام المعتاد عليها التمس من الباي قبول تنحيته من السلطة لكبر سنه الذي لا يسمح له بمواصلة مهامه، فاستجاب الباشا لطلبه وجعل ابنه مكانه بشرط الإشراف عليه من طرف والده. (MERCIER, HISTOIRE CONSTANTINE, 1903 : 230-231)

4 -MERCIER E , *Histoire de Constantine*, éd Marle. J et F .Biron Imprimeurs Editeurs , Constantine ,1903 , p224.

5 -FERAUD L , *Epoque de l'établissement des turcs a Constantine* ,in RA ,N10 ,1866, p181.

6- تعرض مراد باي إلى هزيمة كبيرة في معركة سهل فيجل قرب سطيف ، اضطرت له للفرار رغم النجيدات الكثيرة من باشا الجزائر ، ولم تنتهي هذه الثورة إلا بتوسط الأغا يحيى بشيخ أولاد عزام ،حيث تم الاتفاق على دفع ضريبة الزمة من طرف قبيلة الحنانشة والدواودة ،أنظر (العنترى، 1985 : 37).

استمرت مدة حكمه من سنة 1653-1666، إلا أنه عزل بعد ثلاثة عشرة سنة كما عزل أخاه رجب باي 1666-1674، هو الآخر بعد ثمانية سنوات. (العنتري، 1985: 48) فهؤلاء البايات الثلاث كانوا من أسر متنفذة وذات مكانة وتأثير ما مكنهم من الاستمرار لمدة زمنية طويلة. فإلى هذا التاريخ لم نلاحظ إلا حالات العزل.

أول حادثة اغتيال عرفها بايات الشرق مست الباي دالي باي 1676-1679، والتي تزامنت مع عهد الدايات، فهو من الأتراك وصف بأن حكمه تميز بالظلم والجور في حق السكان الذين أصبحوا يتذمرون من تصرفاته. (MERCIER, 1903: 235) ويفعل الشكوى التي تقدم بها أهل قسنطينة واتهامه بأخذ أموال الناس بالباطل ودون وجه حق أمر الباشا بقتله. (العنتري، 1985: 49).

نجد من البايات الذين نفذ فيهم حكم الإعدام في هذه الفترة أحمد بن فرحات باي الذي لم تتوفر معلومات عن حكمه ولا عن أسباب اغتياله، فيشير العنتري أن بعد حكمه الذي دام ثلاث سنوات 1700-1703 حكم عليه الباشا بالسجن ثم أعدمه. (العنتري، 1985: 51)،

توالى بعد هذه الفترة على البايك مجموعة من البايات لا نكاد نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم وتاريخ توليهم الحكم، وهم حمودة باي 1707، حسن شاوش 1708، عبد الرحمان بن فرحات 1709، حسين دنفزي 1710 وعلي ابن صالح باي 1710-1713 (العنتري، 1985: 53) لكن هذه التواريخ المتقاربة لتعيين هؤلاء لا تعكس إلا عدم الاستقرار، فأغلبهم لم يلبث سوى سنة أو أقل ليترك مكانه لباي آخر دون أن نعرف إن كان عزلاً أو اغتيالاً.

عرفت قسنطينة عاصمة البايك هدوءاً واستقراراً على مستوى السلطة، وذلك بعد تولى حسين باي المدعو "بوكمية"، الذي تميز بالشجاعة والقوة في تسيير شؤون الإقليم فتمكن بذلك من فرض سيطرته.⁷ فالسنوات الثلاثة والعشرون التي قضاها بايا من سنة

7 - DOURNON A , *Kitab Tarikh qosantina par Elhadj Ahmed El Mobarek*, in RA ,N 57, 1913,p287.

1713 إلى سنة 1736 تعكس سياسته الحكيمة في سوس الرعية، وقد تمكن الرحالة الفرنسي PEYSSONNEL من زيارة الباي بوكمية سنة 1725 حيث أدرج بعضا من صفاته في قوله: " لا يوجد لديه حرس خاص، صارم في أحكامه وقراراته، توفي سنة 1736". (MERCIER, 1903, 245)

فهو شخصية سياسية وقيادية محنكة استطاعت إرجاع الانضباط إلى المقاطعة الشرقية للبلاد، كما تميز بالحزم والقوة.

حسن باي المدعو بوحنك 1736-1754

يضيف ابن العطار إلى اسمه لقب أشجي والأغلب أنه كان طباحا، يتصف بشخصية حاذقة، قاسي وذو طبيعة استقلالية وطبع حيوي (DOURNON, 1913: 289)، أما فترة حكمه تميزت باضطراب العلاقة مع تونس هذه الأخيرة التي عرفت صراعا على السلطة بين علي المتولي باشا وبين حسين بن علي المنفرد بالقيروان. لذلك سعى هذا الأخير للتحالف مع حسين بوحنك ليجلس على عرش تونس مقابل مبلغ معتبر من المال (MERCIER, HISTOIRE COSTANTINE, 1903 : 254)، في نفس الوقت وجد علي باشا حليفا وهو داي الجزائر الذي أرسل أحمد آغا لمساعدة باشا تونس عندها لم يستطع حسين بوحنك الوفاء بوعده لأنه مطالب بالانصياع لأوامر الداي. (DOURNON, 1913: 290)

ومن حوادث اغتيال موظفي الدولة محاولة الداي التخلص من الآغا أحمد أرسل إلى حسين بوحنك، وبطريقة سرية أمرا للتخلص من الآغا بقتله. (DOURNON, 1913: 291) وقد تمكن الباي من تنفيذ الأوامر بعد أن دخل خيمته سرا وقام بخنقه، بينما "فايسات"⁸ يشير أن قتله كان بدس السم في فنجان قهوته. (MERCIER, HISTOIRE COSTANTINE, 1903 : 260, 261)، ولعل هذه النهاية للآغا أحمد لم تكن إلا خطة حيكت للتخلص منه،

8- ما أورده فايسات يشير إليه العنتري الذي يوعز السبب إلى أن باشا الجزائر وقع ضر بينه وبين الباش آغا ، الذي لم يستطع قتله بمدينة الجزائر لذلك حاول إبعاده في حملة ضد تونس وأمر الباي أن يقتله، أنظر (العنتري ، 1985: 56)

وعليه فالبايات ليس هم من كانوا يقتلون، بل كانوا ينفذون مشيئة الداي في الاغتيال ضد موظفيه السامين.

الباي حسين زرق عينو 1754-1756

لقب بهذا الاسم لأنه كان ذو عينان زرقاوتان، فهو صهر للداي بوحنك، سبق وأن تولى خليفته في عهده وصف بأنه شخص يتحلى بالذكاء والقدرة في التنظيم الإداري (MERCIER, HISTOIRE COSTANTINE, 1903 : 262) تمكن بأوامر من الداي من السير إلى تونس حيث استحوذ عليها، وأخذ كل الأموال الموجودة في خزنة علي باشا ومجوهرات زوجاته بعدها قفل راجعا إلى قسنطينة، مرض على إثرها ثم توفي (DOURNON, 1913 : 294). وهذا يدل على أن وفاته كانت طبيعية، بعد حكمه المقاطعة الشرقية لمدة سنتين.

الباي أحمد القلي 1756-1771

هو أحمد بن علي يكنى "بالقلي"، لأنه عاش فترة من الزمن بمدينة القل أين كان آغا عليها. (MERCIER, HISTOIRE COSTANTINE, 1903 : 266) يعتبره ابن العطار شخصا تقيا وذكيا (DOURNON, 1913 : 295). وما يثبت ذلك تقربه من الأسر المحلية النافذة عن طريق مصاهرتهم، إذ تقرب من عائلة ابن قانة التي تزوج أحد بناتها، لكنها لم تتجب، ولهذا السبب صاهر عائلة المقراني شيخ مجانية كما زوج أخته مع شيخ العرب علي بوعكاز (MERCIER, HISTOIRE COSTANTINE, 1903 : 267)، هدفه من هذه المصاهرة كان لجلب الحلفاء لصفه وتقادي الصراعات التي كثيرا ما كانت تنيرها القبائل الكبيرة في البايك وسعيها لدى الداي لعزل أو قتل الباي، فهذه السياسية التي اتبعها قد عادت عليه بالفائدة ما مكنه من الاستمرار في الحكم لمدة خمسة عشرة سنة إلى غاية وفاته سنة 1771.

صالح باي 1771-1792

يعتبر أشهر وأبرز بایات قسنطينة، اسمه الكامل صالح ابن مصطفى، ولد بمدينة أزميز 1137هـ-1725، سبب مجيئه للجزائر كان بعد ارتكابه لحادثة قتل بموطنه فر على إثرها خوفا من العقاب، وهو ابن السادسة عشر، عمل بداية في أحد مقاهي الأوجاق ثم انضم إلى صفوفهم. (سعيدوني، ورقات، 1999: 124). أظهر صالح الأزميزي شجاعة ومقدرة حربية في حرب تونس أثناء حكم الباي أحمد القلي⁹ هذا الأخير الذي قربه إليه ومنحه منصب قائد الحراكطة، كما جعله سنة 1765 خليفة له. (MERCIER, HIS, 1903 : 272) وبوفاة أحمد القلي سنة 1185هـ-1771 عينه الداوي محمد عثمان بايا على المقاطعة الشرقية. (سعيدوني، ورقات، 1999: 124).

استمر صالح باي على رأس بايلك قسنطينة اثنان وعشرون سنة إلى غاية 1792، عرفت في عهده قسنطينة ازدهارا كبيرا في جميع المجالات بتشجيده للكثير من المباني، منها مسجد سيدي الكتاني، كما بنى المنازل وشجع على الزراعة والتشجير (DOURNON, 1913 : 297) وأولى اهتماما خاصا بالحياة الثقافية والعلمية بتوفير الظروف الملائمة للمدرسين وطلبة العلم وتنظيمه لإدارة الأحباس ورعاية الأوقاف. (سعيدوني، ورقات، 1999: 125)

فاليسر والأمن الذي ساد الإقليم الشرقي جعله محل مدح كل الكتابات ومنها المحلية وفي هذا الصدد قد أدرج العنتري وصفا لحالة البايك في عهده قائلاً "...كانت أحواله في غاية الاستقامة والرعية طائعة إليه ومنقادة عاش في زمانه عيشة محضية وأحواله سديدة مرضية..." (العنتري، 1985: 62).

فالخصال الحميدة التي تميز بها صالح باي والكفاءة والحنكة التي أظهرها في تنظيم إقليمه بدأت تزول بانتهاجه لسياسة القسوة والعنف، من ذلك إرهاب كاهل السكان

9 - تعرض الباي احمد القلي في هذه الفترة إلى محاولة انقلاب من طرف حسن ابن حسين بوحناك الذي كان يطمع إلى هذا المنصب، لكن استطاع صالح باي كشف مآربه وأمر بإيقافه لكن تمكن من الفرار. انظر (Mercier, 1903 : 272)

بالإتالات الثقيلة التي لم تطقها الرعية التي أصبحت تكن له العداء، ولذلك وجهت مجموعة من الشكاوي إلى باشا الجزائر ضده، وهذا ما جاء في مذكرات كاتكرت الذي أورد حديثا لصالح باي مع أحد الخدم في مدينة الجزائر قوله "...إنما حضرت إلى الجزائر لأرد على شكاوي شيوخ قسنطينة الذين يزعمون أمام الداوي إني أرهقهم بالضرائب التي من واجبي جبايتها..." (كاتكرت، 1982: 52)

فالعصامة الشديدة التي أظهرها راح ضحيتها حتى علماء وأعيان المدينة خاصة لما أقدم على إعدام المرابط سيدي محمد بعدما أعلن هذا الأخير العداء لصالح باي والتحريض للثورة عليه. (سعيد وني، ورقات، 1999: 301).

ويضاف إلى هذا العامل عوامل أخرى أكثر خطورة بعد مساسه بمصالح الموظفين السامين، ومنهم الخزناجي وبمصلحة اليهود الاقتصادية الذين أصبح نفوذهم في ازدياد وعرف ذروته في عهد الداوي بابا حسن والداوي مصطفى، هذه الحادثة أشار إليها شريف الزهار في قوله "...اختلى الباشا بالباي وسأله عن أمر وسق الزرع والبقر لأرض النصارى [...] وكان الباشا قد أوصى البايات من قبل أن لا يبيعوا، فأجابه الباي بأن الوسق قد وقع، فقال الباشا ألم يصلك كتابي؟ قال وصلني وبعد ذلك وصلني كتاب من الخزناجي بأن نترك الوسق حرا" (الزهار، 1980: 49).

وهذا ما جعل الداوي محمد عثمان يصدر حكم الاغتيال في حق الخزناجي الذي خالف أوامره وبصعود حسن كداي للجزائر ولشخصيته الشكاكة في مقربه عمد إلى عزل صالح باي¹⁰ وعين مكانه إبراهيم قائد سباو على إقليم قسنطينة، وذلك يوم الأحد 19 ذي الحجة 1206هـ - 08 أوت 1792، وفي نفس اليوم غادر مع سبعين فارسا لتولي وظيفته الجديدة.¹¹

10 - من الأسباب الأخرى لعزل صالح باي ما أدرجه الزهار في مذكراته قوله "بنت الخزناجي كانت تحت حسن باشا التي طالبت به الأخذ بئار أبيها" انظر (الزهار، 1980: 64).

11 - FERAUD CHARLE, *Ephémérides D'un Secrétaire Officiel Sous La Domination Turque A Alger 1775 a 1805*, in RA , N 18, 1874, p300.

وصلت إلى مسامع صالح باي بأن الداي حسن عزله، وعندها فضل الهرب ومغادرة المدينة غير أن حاشيته أصرت عليه في البقاء إلى وصول إبراهيم باي في 17 أوت، حيث اجتمع بأعيان المدينة لإطلاعهم على فرمان تعيينه وعلى أمر القتل الصادر في حق صالح باي. (MERCIER, HIS COSTANTINE, 1903 : 286-287)

تشير إحدى الروايات أن إبراهيم باي حاول أن يخفف من وطأة القرار على صالح باي واعداد إياه بأنه سيراجع الباشا في أمره، وأمر بإسكانه بعلو دار الباي¹²، إلا أن هذه المعاملة التي عامل بها إبراهيم باي سلفه تطرح أكثر من سؤال خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن إبراهيم باي كان يكن العداء لصالح باي لما عزله من منصبه كقائد لزمالة قسنطينة تم طرده. (سعيدوني، ورقات، 1999: 299) ضف إلى ذلك أنه كان يحمل فرمانا بإعدام صالح باي من الداي حسن وعليه تنفيذه. فكيف له أن يصفح عليه بهذه السهولة ؟

ولعل ما يمكن ترجيحه من هذه المعاملة ربما لجلبه إليه، وحتى يأمن شره منتظرا الوقت المناسب لتنفيذ فرمان الداي، خاصة وأن صالح باي كان لا زال يتمتع بهيبة ومكانة بين بعض السكان.

اغتيال إبراهيم باي بعد ثلاثة أيام من ولايته على قسنطينة من طرف صالح باي المعزول وذلك بدعم من حاشيته، فدخلوا في الليلة الرابعة إلى مضجعه حيث ضربه قائد القصبة وهو سليمان بضربة سيف على ذراعه ثم قطع رأسه وجثته إلى قطع، كما صدرت الأوامر بقتل المرافقين له إلا واحدا منهم تمكن من النجاة. (FERAUD, 1874 : 301) استولى من جديد صالح باي على سلطة البايك بالقوة، ما انجر عنها فتنة عظيمة كتب على إثرها كبار البلد إلى الباشا الذي أرسل الكرغلي حسن باي وكلفه بقتل صالح باي، وبهذه الجريمة صارت عادة جارية بقتل البايات المتأخرين. (العنتري، 1985: 66). فالدموية التي ارتكبها صالح باي استمرت يومي العشرين والواحد والعشرين من شهر

12- سعيدوني ناصر الدين، من أحداث باييك قسنطينة في العهد العثماني نهاية صالح باي كما أنبتتها أحد

الكتاب القسنطينيين، مجلة التاريخ، الجزائر، 1985، ص 190.

أوت وزع خلالها خمسة مئة محبوب على الجند الذين ساعدوه وفاء بوعده لهم (FERAUD,1874:301).

وبوصول الأخبار إلى الداوي وبأن صالح باي سيعمل كل ما بوسعه للمحافظة على منصبه عندها لم يكن أمام الداوي سوى البحث عن شخصية قوية تستطيع قطع رأس صالح باي، فكان الشخص الأنسب لهذه المهمة حسن ابن حسين بوحنك العدو القديم لصالح باي الذي توجه إلى قسنطينة فور الحصول على فرمان تعيينه. (MERCIER, HIS COSTANTINE, 1903 : 289) ولما علم صالح باي بخبر وصوله اعتصم بمنزله وأغلق أبوابه بإحكام ولم يسمح لأحد بالدخول ورفض الخروج إلا بحضور شيخ البلد. عندها لحقه شاوش العسكر فأصعدوه إلى دار الأغا بالقصبة (سعيدوني، وركات، 1991:192) وبقي على هذه الحالة إلى وصول الباوي حسن الذي نفذ في حقه حكم الإعدام وكان ذلك 14 محرم 1207هـ - 01 سبتمبر 1792، ونفس المصير لحق بالآغا إبراهيم وأحمد خوجة قائد القصبة وقائد عنابة. (FERAUD,1874:303).

هكذا انتهى حكم شخصية لازالت تتداول على الألسن بما خلفته من مآثر وانجازات في جميع الميادين، فكان خلع الطاعة للداوي وعصيانه سببا في مقتله.

ب/ المرحلة الثانية: 1792-1830

الباي حسن بن حسين بوحنك 1792-1795

توليه لبايلك قسنطينة كان بعد النهاية المأساوية لسلفه صالح باي، نصب على رأس البايك من طرف الموظفين السامين الذين رافقوه، وهم الآغا مصطفى ووكيل الحرج علي وقائد المتيجة. هؤلاء حملوا الأموال الموجودة في خزينة البايك والتي نقلت على متن مائتين وخمسين بغلا محملا بأربعة آلاف ريال، وجواهر فضية وذهبية وأحجار كريمة وأثاث قيمته 275 ألف دينار. (FERAUD,1874:304).

عمد الباوي حسن إلى تنظيم مخزن البايك (MERCIER, 1903: 299) ، كما أعاد بناء قصر دار الباوي والتي هي مقر إقامة البايات. (VAYSSETTES ,RA ,N03 ,1858:125)

فسبب اغتياله كان نتيجة إهماله لشؤون إقليمه بعد إصابته بمرض تعطلت بذلك أحكامه (العنتري، 1985: 67)، استمر في حكمه عامين وأربعة أشهر حيث خنق في القسبة 30 جانفي 1795. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 300). نتيجة عدم تمكنه من مزاوله مهامه وواجباته التي عليه القيام بها، فكان القتل الوسيلة المعمول بها لإبعاده.

الباي مصطفى الوزناجي 1795-1798

الوزناجي لقب يعني الشخص الذي يعمل في صنع البارود، فأغلب الظن أنها كانت الوظيفة التي مارسها قبل أن يرتقي كباي لبايك التيطري لمدة عشرين سنة. (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 127) إلى أن صدرت في حقه أوامر بقتله من طرف الداوي حسن غير أنه تمكن من النجاة بنفسه لما فر إلى قبة سيدي عبد الرحمان الثعالبي، لكنه استطاع الحصول على العفو عن طريق اليهود الذين أصبحوا يتمتعون بحظوة لذا بلاط الداوي، وجعلوه بايا على قسنطينة، وبذلك كان تاريخ تعيينه يوم الخميس 16 جمادى الأولى 1209هـ-29 نوفمبر 1794. (FERAUD, 1874 : 308)

فالباي مصطفى الوزناجي لم تكن تنقصه المهارة العسكرية ولا الإدارية وهذا ما تجلّى في حسن اختيار موظفيه إذ جعل الحاج حميدة الفخار الباش كاتب، أما مصطفى انجليز فخليفته. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 301). ولأنه كان يملك ثروة كبيرة لم يكن للداوي من وسيلة للاستيلاء عليها وإنعاش الخزينة إلا إصدار حكم القتل في حقه، وكان ذلك عند وصوله مدينة الجزائر لتقديم الدنوش حيث نفذ فيه الاغتيال 07 رجب 1212هـ-25 ديسمبر 1797. (FERAUD, 1874 : 311)

فاغتيال الوزناجي لم يكن لسبب وجيه يستحق لأجله هذه النهاية، وإنما نفذ ظلما خاصة وأن هذه الفترة انتشرت فيها الفوضى وغاب النظام، وهذا ما عبر عنه العنتري في قوله "بموت الداوي محمد عثمان وصالح باي أصبح ملك الترك في انحطاط إذ تبدلت أحكام الترك وانقلبت حقائقهم وأصبح صغيرهم لا يوقر كبيرهم" (العنتري، 1985: 68). بينما يشير "فايسات" أن الشكوى التي تقدم بها القنصل الفرنسي "جون بول سانت أندري" بعد رفض الباي بيع القمح للفرنسيين، جعلتهم يتآمرون عليه ويتسببوا

في نهايته الدموية. فالمصير الذي وصله مصطفى الوزناجي اشتركت فيها عوامل داخلية وأخرى خارجية، فكل من كان يمس الامتيازات الفرنسية كانت تسعى هذه الأخيرة لإبعاده إما عزلاً أو قتلاً.

الباي مصطفى انجليز 1798-1803

الباي مصطفى من أصل تركي، لقّب بانجليز، إذ تعود أصل التسمية إلى مكوته بانجلترا من عشرة إلى اثنتا عشرة سنة بعد احتجازه من طرف سفينة انجليزية (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 195). سبق له وأن تولى خليفة للباي مصطفى الوزناجي في عهده ازدهرت المدينة وعمها الرخاء حيث رخص ثمن القمح وحتى الفقراء تيسرت أحوالهم. (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 195-196)، غير أن هذه الوضعية لم تستمر طويلاً إذ بدأت في التدهور بعد اغتياله لخليفته محمد ابن صالح باي سنة 1798 بوضع السم له تفادياً للشبهات، وفي مكانه أجلس ابنه علي الذي تميز بطبع خشن وعنيف. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 306)

فالقسوة التي اتبعها اتجاه الرعية جعلتهم في ضيق وشدة من تصرفات ابنه السيئة فسوء اختياره لموظفيه جعله يتحمل المسؤولية الكاملة خاصة بعد الشكاوي المتكررة ضده للداي هذا الأخير أمر بعزل مصطفى انجليز في 03 صفر 1218 هـ وتم توقيف ابنه علي وهو بمدينة الجزائر. (FERAUD, 1874 : 317-318) ونتيجة توسط وزراء الداي له لم يتم اغتياله وإنما تم نفيه إلى تونس. (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 196).

فانقلاب الأوضاع وانحطاطها بالبايلك قد عبرت عليها القصيدة التي نظمها بلقاسم الرحموني الحداد واصفا الحالة المزرية للمدينة في قوله.¹³

واش تنتظر فيها هلكت راهي فسدت

مابقات تسمى بلدة

13 -Cour A, Constantine en 1802 d'après une chanson populaire ,in RA,N°60,1919, p219.

الباي عبد الله 1804-1806

الباي عبد الله بن إسماعيل تركي الأصل جاءت توليته بعد مقتل سابقه عثمان باي¹⁴ في فتنة ابن الأحرش¹⁵، وعن توليته يقول الزهار "...استقدم الأمير قائد الخشنة شيخ العرب بقسنطينة وولاه بايا عليها، وقد كاتب عبد الله أصهاره وجميع الرعية واستقام له الأمر." (الزهار، 1980: 86).

اضطربت في فترته العلاقة مع تونس بعد رفض هذه الأخيرة دفع الإتاوات المعتادة إلى الجزائر، ولذلك استعان حمودة باشا بمصطفى انجليز الباي السابق الذي نفي إلى تونس لحرب الجزائر مقابل إرجاعه إلى منصبه : (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 255). حتى العلاقات الجزائرية الفرنسية لم تكن بأفضل حال خاصة لما أقدم الداوي أحمد على سحب الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري، ومنحها للانجليز، ما أثار تذمر السكان الذين تعودوا التعامل مع الفرنسيين وخوفا من انتفاضتهم كتب الباي عبد الله إلى الداوي حتى يطلعه على الوضع لكنه بذلك لم يثر إلا غضبه وسخطه (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 320) وعجل في نهايته حينما أمر الداوي بضربه ألف ضربة ونفس العقاب نفذ في حق زوجته التي توفيت من جراء العذاب (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 266)، بينما يشير العنتري إلى سبب آخر لعقابه بوصول أخبار إلى الداوي تتهم فيها الباي بأن زوجته تشاركه الأحكام، وهذا أمر قبيح عند العرب والأعاجم (العنتري، 1985: 74). فالحكم التركي لم يكن يسمح للمرأة المشاركة في السلطة أو اتخاذ القرارات .

14- تولى الباي محمد عثمان 1803-1804، وهو أحد أبناء الباي محمد بن عثمان فاتح وهران ، سبق له وأن تولى على المقاطعة الغربية إلى أن صدر في حقه قرار العزل ، كان اندلاع ثورة ابن الاحرش بالإقليم الشرقي سببا في مقتله .أنظر (العنتري، 1985 : 96)، و (الزياني، 1978 : 293)

15- ثورة ابن الأحرش اختلف في سبب اندلاعها ، فهناك من يوعز السبب إلى بريطانيا التي كانت تبحث على نشر الفتنة بعد ميل الدايات إلى الجانب الفرنسي ، بينما هناك من يعتبر أن حاكم تونس قد أغراه ضد داي الجزائر ، حيث وصلت قواته إلى 60 ألف .أنظر العربي الزبيري: 29 ، العنتري: 70 - 71 ، الزهار: 86.

فالعقاب حتى الموت أو إصدار حكم الاغتيال لا يتوقف على البايات فقط فحتى الزوجة وعائلة المعتال تعتبر مدانة هي الأخرى.

حسين باي ابن صالح باي 1806-1807

من الكراغلة وهو الابن الثاني لصالح باي، غير أنه يختلف عن أبيه لجهله في الأمور العسكرية والإدارية، كما عرف عنه أنه لا يحسن ركوب الخيل ولا شارك في حرب قط. (DOURNON, 1913 : 282) فنقطة ضعفه استغلها حمودة باشا صاحب تونس بتجهيز قوته المكونة من 50 ألف جندي بقيادة الكاهية سليمان ومصطفى انجليز الباي السابق حيث هاجمه في 3 افريل 1807. (MERCIER, HIST CONSTANTINE, 1903 : 323) وحسب مخطوط وجد بالمكتبة الوطنية يعود إلى سنة 1807، وهو موجود بالعدد 39 من المجلة الإفريقية يشير إلى الحرب مع تونس ورد فيه أن " يوم 24 محرم 1222هـ كان عسكر تونس لا يحصي عددهم إلا الله... فتغلبوا علينا قومهم وعسكرهم وردونا إلى سطح المنصورة ولم يزل كذلك حتى أخذوا المحلة متاعنا والباي هرب"¹⁶، وقد دام حصار المدينة شهرا كاملا، عندها وصل الدعم من الجزائر بقيادة الآغا أحمد إذ استطاعوا إلحاق الهزيمة بالتونسيين (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 267)، حيث قتل منهم نحو ستمائة رأس أما الذين أسروا حوالي أحد عشر مئة وسبعة وستون كلهم بعثوا إلى الجزائر (S, 1895 : 166)، هذا الانتصار فتح رغبة الآغا الذي سار في إثر الجيش التونسي بهدف الدخول إلى مدينة الكاف. (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 166) وخرج الآغا يوم الاثنين 02 ربيع الثاني ولحقه الباي يوم السبت 07 من نفس الشهر، وبعد نحو الشهر تقابل الفريقان فغلب في اليوم الأول عسكر الجزائر وتقاتلوا وفي اليوم الثاني هرب الباي ومن معه من القوم (S, 1858 : 166)، فالغنائم التي خلفوها من مدافع وجمال وبغال سقطت في أيدي التونسيين إضافة إلى عدد كبير من الأسرى. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 327-328)

16-S .Note chronologique pour l'histoire de Constantine ,in RA ,N°39, 1895, p p165-166.

فالطريقة الجبابة التي تصرف بها الباي جلبت له انتقام داي الجزائر بتحريض من البعض كما أشار إلى ذلك العنتري في قوله: "...في عهده صارت الحرب بين الجزائر وتونس لكن مني الجزائريين بهزيمة نسج على إثرها أصحاب المكر، ومنهم الباش آغا الذي اتهم باي قسنطينة بالهروب محملاً إياه الهزيمة فاستغاض الداي من الخبر وأمر بقتل الباي خنقا " (العنتري، 1985: 75).

فالتحريض والوشاية كانت وسيلة فعالة لإنهاء حياة الموظفين وحتى البايات.

الباي علي بن يوسف 1807-1808

خلف الباي حسين ابن صالح باي، من أصل تركي انضم إلى الأوجاق كعادة الأتراك تميز بشجاعته واحترامه لزملائه، ولذا اختاره الداي ليتولى المقاطعة الشرقية واشترط عليه الثأر للهزيمة التي مني بها الجزائريون أمام تونس. (VAYSETTES, RA, 127 : N03, 1858)، لكن مشروع الداي سيعرف تعطّيلاً بسبب الفتنة التي تسبب فيها أحمد شاوش القبائلي.

قرر أحمد القبائلي¹⁷ بوصوله إلى قسنطينة الثورة ضد بايها علي، ولينفذ ما هدف إليه كان لابد له من حلفاء إلى جانبه وقد ساعده في ذلك قوة الإقناع التي تميز بها في أوساط الجند الذين وعدهم برفع رواتبهم وتم الاتفاق بينهم على جعل خطتهم سرية حتى يحين وقت تنفيذها. (VAYSETTES, RA, N03, 1858 : 129).

ولأن حرب تونس تتطلب قوة عسكرية تفوق قدرة البايك، أرسل الداي مددا بقيادة حسين آغا الذي وصل المدينة وخرج الباي لاستقباله، وكان دخولهما يوم الجمعة 22 ربيع الثاني.

بقي المتآمرون ينتظرون الفرصة السانحة لتنفيذ مخططهم، الذي تزامن مع موعد مغادرة الباي والآغا لمواجهة تونس، وبدخولهما المسجد للصلاة قام عليهم العسكر

17- أطلقت على أحمد القبائلي تسميات مختلفة منها باي "رأسه"، باي "روحه"، والباي ذراعه. انظر: Vaysssettes (209 : N03, 1858)، تمت الإشارة إلى هذه الفتنة في اغتيال الداي أحمد في الفصل الثالث.

وقتلهم بالجامع الأعظم "سوق الغزل" (S,1895:167)، إذ انجرت على هذه الحادثة فوضى وفتنة كبيرة انتهت بجلوس أحمد القبائلي على كرسي البايك معلنا نفسه بايا عندها أصدر أوامره للسكان للخروج من بيوتهم وفتح دكاكينهم بعد الاضطراب الذي وقع معلنا البراح عن ارتقاء الباي الجديد لحكم البايك. (DOURNON,1913:304) وازدادت حالة البايك تدهورا لما أقدم احمد القبائلي الذي اغتصب ولاية الإقليم بتفريق أموال الخزينة على مناصريه وفاء بوعوده لهم حيث أخذ كل جندي مائة سلطاني إضافة إلى الخيل،البرانس والأسلحة . (VAYSETTES,RA ,N03,1858 :12)

مشروعه لم ينته عند هذا الحد فهدفه كان أبعد بخلع الباشا وإعلان نفسه دايا على الجزائر،إلا أن أخباره وصلت الداوي عن طريق خليفة الباي المعتال علي،عندها صدرت أوامر بقطع الطريق عليه خشية وصولهم إلى مدينة الجزائر (MERCIER HISTOIRE,1903 : 332)، كما استعان الداوي أحمد بشيخ البلد حتى يفرق شمل الجنود المتآمرين معه وتنفيذا لأمر الداوي وتجنباً للفتنة خاطب شيخ البلد سكان قسنطينة والجنود بضرورة قتل أحمد شاوش مقابل الحصول لهم على العفو فقتلوه في حينه. (العنتري،1985:78) وتولى مكانه أحمد الطوبال الذي استطاع إلحاق الهزيمة بالمتمردين،فكانت المدة التي تولاهها بايا خمسة عشرة يوما وبمقتله زالت الفتنة وعاد الهدوء إلى الإقليم.

الباي أحمد الطوبال 1808-1811

عين أحمد طوبال على بايلك الشرق. بعد فترة الاضطراب التي عرفها الإقليم، لقب بالأعرج من أصل تركي سكن قسنطينة قبل أن يصبح بايا عليها عمد في بداية ولايته إلى إرجاع الاستقرار وفرض النظام وإعمار الخزينة بعد فراغها (VAYSETTES RA , N04,1860 :439-440)، إلا أنه سرعان ما تحول عن سيرته الأولى بإهماله لشؤون الرعية ما كان السبب في تنفيذ حكم القتل فيه بعدما انشغل بالزهو والطرب وترك الحكم

لصهره¹⁸، بينما يوعز "MERCIER" سبب اغتياله إلى تعامله مع اليهودي دافيد بكري، الذي قام بشحن ثلاث حمولات من القمح كان الداى قد منعه من التعامل معهم (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 337) فكثيرا ما كانت المخالفات والعصيان ونزع الطاعة تؤدي بصاحبها إلى الهاوية خاصة إذا كانت تنقصه القدرة والإمكانات اللازمة ليتحمل ويدافع عن قراراته، ما يتسبب في نهايتهم المأساوية السريعة.

الباي محمد نعمان 1811-1814

تولى على المقاطعة الشرقية 1226هـ-1811، تقلد قبلها وظيفة الخليفة في فترة الباى عبد الله كما ارتبط مع الباى زرق عينو بعلاقة مصاهرة (VAYSETTES, RA, N04 : 441 : 1960، تميز الإقليم في عهده بالرخاء والازدهار ومرد ذلك يعود لسياسته القائمة على إنعاش وملء الخزينة من جهة وإشباع جشع الداى من جهة أخرى، وهذا ما يبرز جليا في الدنوش الذي أرسله مع خليفته 15 شوال 1227هـ - 16 ماي 1812 الذي لقي رضى واستحسان الداى بإرساله رسالة شكر له. (VAYSETTES , RA, N04, 1960 : 443).

فالمقدرة والكفاءة التي أظهرها الباى نعمان لم تشفع له ولم تجنبه الاغتيال والنهاية الدموية كسابقه حيث يرجع العنترى السبب إلى تحريض وسعي الباش آغا في الجزائر إلى هلاكه حتى أمر الداى بقتله. (العنترى، 198:80)، بينما يرجع صاحب بايات قسنطينة السبب إلى إفراط الباى في الأحكام وأخذ الخطايا في غير موجب، مما جعل الناس يشكون حكمه إلى الداى في الجزائر، فأمر بعزله وقتله (شاطو، 2008:164) فهذه الشكاوي والعرائض قد شكلت عاملا قويا وحجة مناسبة لعلّي آغا حتى يزيع الباى نعمان من على المقاطعة الشرقية ولتنفيذ هدفه استغل الثورة التي اندلعت بين سكان بوسعادة وأولاد ماضي، حينها غادر مدينة الجزائر على رأس قوة عسكرية لإخمادها وللإشراف بنفسه على قتله خنقا. (VAYSETTES , RA, N04, 1960 : 443)

18- شاطو محمد، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية، مجلة المواقف، العدد 03، جامعة معسكر، 2008، ص164.

الباي محمد تشار 1814-1818

تولى بايا سنة 1225هـ-1814 من أصل تركي، ولد بمدينة أزمير ثم التحق بالانكشارية في الجزائر، تمكن من الارتقاء بايا بعد ضلوعه في مؤامرة إلى جانب الباش آغا في الجزائر حتى يزح الباي نعمان ويجلس مكانه، أورد "فايسات" بعضا من صفاته في قوله "معتدل القامة ضخم الجسم، وصف بالنمر المتوحش، إلا أنه يظهر الوقار والتقوى." (VAYSETTES, RA, N05, 1861 : 96)، ويعتبره العنتري صاحب بطش يسفك الدماء ويأخذ أرزاق الناس بالغزو. (العنتري، 1985: 81).

الدموية التي عرف بها الباي تشار¹⁹ لم يسلم منها حتى موظفوه، ومنهم عمر الحملوي الذي استماله للخروج معه في أحد الأمسيات بينما كان يدبر لاغتياله، وبخروجه من منزله أوقفه قائد القصة مع اثنان من اليهود حيث خنق وعلقت جثته تنكيلا به. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 337)

قد عانى من ظلمه سكان المقاطعة بأحكام القتل التي كانت تصدر بذنب أو دون ذنب، كما ترك الجيش يعيث في الأرض فسادا فقتلوا ونهبوا وأكلوا أموال الناس واغتصبوا النساء وعندما تكاثرت الشكاوي ضدهم أمر الداوي الباي محمد تشار بقتل بعض قاداتهم، غير أن هذا الأخير لم يطع قراره، ولذلك تم عزل وقتله. (شاطو، 2008: 164)،

غير أن رواية أخرى تبين سببا مغايرا لاغتياله مفادها أن تشار باي قد وصلتة أخبار بتنحيته وتعيين قارة مصطفى مكانه، هذا الأخير استطاع الوصول إلى مدينة الجزائر وكشف كل الجرائم التي ارتكبها الباي، وعليه صدر حكم بعزله (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 348)، ورغم القرار إلا أنه حاول التثبيت بمنصبه وذلك بمراسلة أعضاء الديوان وأصحاب النفوذ لتغيير قرار الداوي، لكنه لم يحصل على أي طائل

19 - أورد فايسات تفصيلا بالجرائم التي ارتكبها الباي محمد تشار في فترة حكمه للبايلك في حق موظفيه. انظر (Vayssettes, RA, N05, 1861 : 96-102).

(VAYSSETTES, RA, N05, 1861 : 110) عندها أغلق على نفسه أبواب القصر، ولحق به ابنه محمود الذي كان يشاركه الفساد والظلم وبوصول قارة مصطفى الباي الجديد المدينة نفذ فيه الحكم حيث قتل خنقا وذلك يوم الخميس 04 صفر 1233 هـ. (S, 1895 : 167).

الباي قارة مصطفى 1233-1818

كان قائدا للمسيحة قبل أن يتولى بايا، أحاط هذا الباي نفسه بأهل الذمة من اليهود إذ مارس أبشع أنواع التعذيب، ومن ذلك الجريمة التي أقدم عليها والتي ظلت محفورة في أذهان الرعية عندما أوقف ابن العطار أحد أهم العائلات المخزنية ورماه على الصنابر الحديدية. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 350) فالتصرفات اللإنسانية التي قام بها هي ما ستعجل في اغتياله وبذلك فهو لا يختلف عن سابقه.

أرسل الداوي صهره محمد بن مالك إلى عاصمة البايك قسنطينة للتحقيق في أمر الخزينة التي تعتبر العصب الحساس لاستمرار الدايات في حكمهم، إلا أنه وجدها شبه فارغة بعدما استولى محمود بن تشاركر على أموالها. (VAYSSETTES, RA, N06, 1862 : 207) وتبعاً لذلك رفع تقريراً إلى الداوي بينوا فيه عدم تمكن الباي مصطفى من إدارة البايك بطريقة جيدة، ما دفع الداوي إلى إصدار أمر بوضع حد لولايته حيث نفذ فيه حكم الإعدام، ولحق العقاب باليهود الذين كانوا يحضون لديه بمكانة هامة. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 351) ويعود تاريخ مقتله إلى يوم الاثنين 07 ربيع الأول 1233 هـ بعد استمراره بايا لمدة شهر واحد. (S, 1895 : 167).

الباي أحمد المملوك (الولاية الأولى والثانية)

الباي أحمد المملوك إيطالي الأصل، فهو من الأعلاج، تميز بحنكة ومهارة إدارية (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 351)، جلوسه على كرسي البايك كان في نفس اليوم الذي قتل فيه قارة مصطفى يصفه "فايسات" بأنه شخص مهذب، عادل في أحكامه سريع في اتخاذ قراراته. (VAYSSETTES, RA, N06, 1862 : 209)

لم يستمر هو الآخر في ولايته إلا سنة واحدة، ليأتي الأمر بخلع بصعود الداوي حسين إلى رتبة داي. (العنتري، 1985: 86)، فهذه السياسة لعزل الموظفين والبايات كانت معتمدة من طرف بعض الدايات لاستبدالهم بآخرين وإن كان دون سبب مثلما حدث لأحمد المملوك الذي قيد وأرسل إلى مدينة الجزائر، ومنها نفي إلى مازونة. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 353)

عاد أحمد المملوك كباي على قسنطينة في ولايته الثانية 1820-1822، حيث يجعل العنتري عودته من جديد إلى الصداقة التي جمعت أحمد المملوك بآغا العرب، إذ سعى هذا الأخير عند الداوي لإرجاعه. (العنتري، 1985: 88)، وأول ما بادر به تنفيذ حكم الإعدام في حق سلفه الباي إبراهيم، كما أوقف خليفته محمود تشاركر الذي نفاه. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 358)

قاد أحمد المملوك العديد من الحملات ضد القبائل العاصية لتحصيل الأموال تحسبا لوقت الدنوش، ففي غزوته إلى وادي سوف جمع غنائم ضخمة من الذهب والفضة والقماش، كما سار إلى توقرت حيث أخذ منها أموالا كثيرة وهدايا معتبرة. (VAYSETTES, RA, N06, 1862 : 388)، فغزوه للصحراء كان مخالفا لمشيئة الداوي الذي منعه من السير إليها، ولذلك تم عزله عند تقديمه للدنوش، ويوعز "MERCIER" بسبب عزله إلى تأخره عن مواعده المحدد لإعطاء دنوش مقاطعته، ولكن تخلفه كان نتيجة لعوامل طبيعية بسقوط الأمطار والثلوج التي أعاقته. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 363) ولعل مخالفة الباي لأوامر الداوي وسيره إلى الصحراء حتى يجمع العوائد التي من المفروض عليه تقديمها في أوانها، خاصة أن هذه الفترة قد عرفت المقاطعة الشرقية أزمة اقتصادية، إذ قلت المؤن في الأسواق ونقص القمح والشعير ما اضطره إلى أخذ الحبوب بالقوة من المخازن. (VAYSETTES, RA, N06, 1862 : 390) فغزوه للصحراء كان أمرا حتميا حتى يوفر أموال الدنوش التي عليه تقديمها وفي أوانها المحدد.

وعلى كل فأحمد باي لم يقتل، وإنما نفي مثل المرة الأولى إلى مدينة مازونة حتى وفاته بعد استمراره في حكم البايلك لمدة سنتين. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 363).

الباي محمد الميلي 1818-1819

الباي محمد الميلي من الأتراك الذين سكنوا مدينة قسنطينة (العنتري، 1985: 86) تميزت شخصيته بالخشونة والجهل وسوء التسيير (VAYSSETTES, RA, N06, 1862: 208) يظهر ذلك من خلال تصرفاته حيث اشتغل بقتل الأعراب ونهب أرزاقهم وابتدع قطع الرأس بالشاقور حتى سموه الباي بوشطابية (شاطو، 2008: 164)، ونتيجة لذلك سلط ظلمه على الكثير من موظفي البايك منهم قائد الدائرة طاهر زموري، والباش سيار سليمان بن دالي، ما انعكس سلبا على الرعية التي استاءت من ولايته ولذلك رأت ضرورة تنحيته كما أورد ذلك العنتري في قوله: "قليل العقل يظلم الناس ويأخذ أرزاقهم بالباطل [...]" صدر فيه الظلم والجور فرفعوا شكاياتهم إلى باشا الجزائر حينئذ عزله ". (العنتري، 1985: 86).

وكان ذلك وقت دنوشه، فلما أكمل المراسيم المعتادة وأكمل أيام زيارته قفل راجعا حيث تم توقيفه ونفيه إلى مليانة جويلية 1819 بعدما استمر سنة واحدة على بايالك قسنطينة. (MERCIER, HISTOIRE DE COSTANTINE, 1903: 355)

الباي ابراهيم الغربي 1819-1820

سبق لإبراهيم الغربي أن تولى بايا على مقاطعة التيطري عينه الداوي حسين لما كان إبراهيم في مدينة الجزائر. عرف عن الباي إبراهيم تهاونه وكسله فيما يخص تسيير شؤون البايك، حيث رمى بثقل المسؤولية على خليفته.

وعن سيرته يذكر العنتري قوله "...كان رجلا عاقلا لا يبدي شيئا ولا ينهيه، ولا يبرم حكما ولا يمضيه، وكانت كل الأمور بيد خليفته أحمد." (العنتري، 1985: 87)، لكن سرعان ما انقلبت الصداقة بين الطرفين إلى عداوة، حيث أصبح الباي يكن العدا لخليفته، هذا الأخير وخوفا من القتل فر ليلا من قسنطينة والتجأ إلى الجزائر، عندها جعل مكانه محمود ابن تشاكر باي. (VAYSSETTES, RA, N06, 1862: 212) ما يبين بجلاء سوء تسييره الإداري، الذي لم يعتمد فيه على اختيار موظفيه على أساس الكفاءة

والأمانة وهي كلها صفات لا تتوفر في هذا الأخير الذي اتصف بظلمه اتجاه الرعية وسلبه لأموال الخزينة في عهد والده.

كان السبب وراء عزل الباي إبراهيم عدم حرص هذا الأخير على تحصيل الأموال الضرورية التي تقدم للداي في شكل الدنوش، وباقتراب مغادرة الخليفة كل ستة أشهر إلى مدينة الجزائر وجدت الخزينة شبه فارغة، وأمام هذا الأمر الواقع لم يجد من طريقة لجمع المال اللازم إلا انتهاج سياسة السلب والنهب وإرهاق السكان بالإتاوات المختلفة. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 357) حيث جمع ما أمكنه وسار به إلى الداي فكان شيئاً يسيراً لم يتعود عليه الدايات من مقاطعة الشرق التي كانت عوائدها دائماً معتبرة، ما أغاض الداي حسين الذي أرسل له رسائل يطلب منه استفساراً منتظراً رده الذي لم يصله.

فالداي إبراهيم الغربي قضى فترة حكمه في قصره بين حريمه، عدا عن إسرافه وتبذيره لأموال الخزينة حينها تيقن الداي من عدم كفاءته فأصدر فرماناً بعزله وقتله جاعلاً مكانه أحمد المملوك. (VAYSETTES, RA, N06, 1862 : 213).

إبراهيم الكريتلي 1822-1824

يعتبر من الأتراك القدماء الذين سكنوا مدينة قسنطينة، تولى بايا على المقاطعة الشرقية 1237هـ-1822 كان قبلها قائداً لقبيلة الحراكطة، تميز بعلاقة جيدة برعيته، لكن ذلك لم يمنعه من إصدار عقوبات صارمة في حق المخالفين ومرتكبي الجرائم (VAYSETTES, RA, N07, 1863 : 115)، فرغم ما تميز به من خصال إلا أنه لم يستمر إلا سنتين ونصف ليقرر الداي حسين تنحيته، فسبب عزله غير واضح ولا وارد في الكتابات المحلية ولا الأجنبية.

عزله كان شهر ديسمبر 1824، عندما قدم اثنان من الفرسان من مدينة الجزائر حيث توجهوا إلى قصر الداي، فأجابهم قائد الدار بأنه بمسجد للصلاة، إذ تم توقيفه هناك

(367 : 1903, HISTOIRE, MERCIER) عندها اقتيد إلى القصة وبعد ثلاثة أيام أخذ أسيرا إلى الجزائر ثم نفي إلى المدينة عاصمة بايلك التيطري.

الباي محمد مناماني 1824-1826

خلف الباي إبراهيم الكريتلي، امتدت ولايته من شهر ديسمبر 1824 إلى جويلية 1826²⁰ وهو من أتراك قسنطينة، وكغيره من البايات المتأخرين اشتهر بالظلم والقتل بين الناس فانحلت في عهده الأحكام وضعفت الرعية ووقع الضيق بين المخازنية، ولهذا عزله الداوي. (العتري، 1985: 89)، غير أن "FERAUD" يوعز قرار عزله إلى الوضعية المزرية التي أصبح عليها البايك، وعدم قدرته على جمع المال اللازم للدنوش وما يوضح ذلك الرسالة التي بعث بها الباي للداوي حسين والمؤرخة في 07 ربيع الثاني 1241 هـ- 19 نوفمبر 1825 مما جاء فيها قوله "...أجد صعوبات في تكملة العوائد المقدمة للدنوش." (FERAUD, 1874 : 115).

فمداخل الخزينة تعتبر مؤشرا أساسيا لاستمرار الباي على مقاطعته من عدمه، فالباي مناماني كان يهدف من وراء الرسالة تأجيل وقت دنوشه، لكن الداوي أمره بالقدم ولما استكمل أيام الدنوش السبعة ليغادر إلى مقاطعته تم توقيفه وتكبله ونفيه إلى القليعة جويلية 1826. (MERCIER, HISTOIRE, 1903 : 270).

آخر البايات كان أحمد باي، وهو أحد الكراغلة الذي خلف ماناماني واستمر في حكم المقاطعة الشرقية إلى غاية 1830، تم التصدي للاستعمار الفرنسي بعد ذلك. فالبايات بالإقليم الشرقي تراوحت صفاتهم وطريقة حكمهم من باي إلى آخر، فمنهم من ساهم في ازدهار مقاطعته والاهتمام برعيته، ومنهم من ترك العنان لنزواته ما انعكس سلبا على البايك، إلا أن الملاحظ على بايات المقاطعة الشرقية في الفترة

20 -FERAUD CHARLES, *Lettres Autographes De Mohammed Manamani Bey De Constantine* 1824, In RA , N18 ,1874, p115.

الأخيرة من الحكم التركي بالجزائر تسارع الولايات وكثرة أحكام العزل والاغتيال الذي عكس عدم الاستقرار السياسي للمقاطعة.

2/ اغتيال بايات المقاطعة الغربية

يحتل هذا البايك المرتبة الثانية من حيث الأهمية، أول باياته حسن بن خير الدين، فالإقليم الغربي هو أول الأقاليم التي زحف الإسبان على مدنه، ومنها مدينة وهران، ولذلك جعلوا مازونة العاصمة الأولى، لتتحول لاحقا إلى معسكر ثم وهران بعد فتحها.

يختلف إقليم المقاطعة الغربية عن غيره من الأقاليم من خلال البايات الذين تداولوا على حكمه، حيث شكل باياته شبه حكم وراثي من خلال الأسرة الممراتية التي حكمت لما يربوا عن واحد وستون سنة، غير أن المعلومات شحيحة فيما يخص الفترة الأولى من حكم بايات المقاطعة الغربية، ولذلك سننترق إلى الفترة الممتدة من حكم الباي مصطفى بوشلاغم إلى آخر بايات وهران.

الباي مصطفى بوشلاغم 1686-1708

تولى بايا على الإقليم الغربي سنة ثمانية وتسعين وألف، عين من طرف الداوي محمد بكداش، وذلك لمحبه كان يكنها له، بعد مقتل الباي شعبان أثناء محاصرته لوهران، ينتمي الباي مصطفى بوشلاغم إلى الأسرة الممراتية ونسبه الكامل مصطفى بن يوسف بن إسحاق الممراتي. (مسلم، 1974: 19).

بادر هذا الباي إلى تغيير عاصمة البايك من مازونة إلى معسكر، والسبب في ذلك أن العاصمة الأولى كانت ذات موقع غير استراتيجي، لبعدها عن قبائل الجنوب خاصة في حالة ثورات هذه الأخيرة فإن السلطة تجد صعوبة في إخضاعها، ولذلك

اختار معسكر قاعدة له لتنفيذ مشروعه في فتح مدينة وهران المحتلة من طرف الإسبان. (ESTERHAZY , 1840:1705)

نجح الباي بوشلاغم بفضل الحنكة والكفاءة التي أظهرها في إدارته. من فتح مدينة وهران بعد محاصرتها لخمس أشهر متتالية²¹ بعدما أمده الداوي محمد بكداش بالجيوش العديدة جاعلا معه صهره ووزيره أوزن حسن، حيث فتحت عنوة صبيحة يوم الجمعة 26 شوال 1029 هـ. (المزاري، 1990: 275).

انتقل الباي بوشلاغم بعد الفتح إلى مدينة وهران التي جعلها عاصمة إقليمه، حيث عمل طيلة المدة التي بقيها فيها من تنظيم شؤونها، ما مكنه من تقديم الدنوش في موعده المحدد كل ثلاثة سنوات إلى مدينة الجزائر، كما ازدهرت الوضعية التجارية حيث أضحي ميناء المرسى الكبير قاعدة لممارسة الغزو البحري، ما أنعش المدينة بالغنائم ونشطت المعاملات التجارية بين سكانها. (FEY, 1858:140).

فالرخاء والاستقرار التي أصبحت عليه المدينة في ظل حكم العثمانيين لم يستمر طويلا بعد معاودة الإسبان احتلال المدينة مجددا بعد أربعة وعشرين سنة ولذلك انتقل إلى مدينة مستغانم التي صيرها دار ملكه (الزيان، 1978:162)، حيث استمر بقاؤه فيها خمسة سنوات توفي بعدها 1138 هـ 1737 م (1840:174).
ESTERHAZY) فالباي بوشلاغم مثال عن البايات الذين اهتموا خلال حكمهم بالجهاد ونصره الإسلام والمسلمين، وهذا ما مكنه من فتح مدينة وهران للمرة الأولى منذ احتلالها سنة 1509، كما اهتم بتسيير مقاطعته وتنظيمها، فهو من الشخصيات القوية التي عرفها الحكم العثماني في الجزائر.

21- FEY LEON HENRI , *Histoire D'Oran Avant . Pendant Et Après La Domination Espagnol*, Ed typographie Adolphe Perrier éditeur , Oran, 1858 ,p139.

الباي يوسف بن إسحاق المسراتي 1733-1735²²

ينتمي هو الآخر إلى العائلة المسراتية، يشير المزاري أنه أخ الباي بوشلاغم نسبه الكامل يوسف بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي (المزاري، 1990: 277) وهناك من يعتبره ابن مصطفى بوشلاغم (1840: 174، ESTERHAZY) لكن ما نرجحه هو الاحتمال الأول، لأنه من خلال النسب نستنتج أنهما يرتبطان بعلاقة الأخوة. أظهر الباي يوسف خلال ولايته للإقليم الضعف والخضوع، فصفاة القيادة والكفاءة التي توفرت في سلفه غابت عنه، ولذلك أهمل الحكم حيث استأثر خليفته محي الدين المسراتي بشؤون البايك إذ أصبح صاحب الحل والعقد فيه (ESTERHAZY, 1840: 174).

تميزت الأوضاع بمدينة تلمسان بالاضطراب بعد تمرد كراغلة وحضر المدينة على قائدها سنة 1738 (الواليش، 1993: 23) غير أنه تمكن من إرجاع الهدوء إلى المدينة.

فالإلمبالاة التي أظهرها هذا الباي شجعت خليفته على التخطيط في الخفاء لعزله والجلوس مكانه وبوصول أخبار هذه المآمرة إلى الباي قرر التتحي والمغادرة إلى مدينة تلمسان، أين توفي بها بعد إصابته بعدوى الطاعون 1135هـ - 1738، بعد مكوته بايا على المقاطعة لسنة واحدة. (ESTERHAZY, 1840: 175).

22- ذكر الزباني أن الباي يوسف هو من طالب بولاية الإقليم انتقاما من سكان مدينة تلمسان "يوسف المسراتي تعصب عليه أهل تلمسان ، ونقموا عليه وصاروا يرمون ساحته في الليل بكل مينة ودم فاغتاض [...] فمشى إلى الجزائر وسأل الباشا أن يولييه ، وقد أوقع بأهل تلمسان إيقاعا كبيرا " أنظر (الزباني ، 1978 : 195)

الباي مصطفى الأحمر المبراتي 1734-1747

هذا الباي ابن الخليفة محي الدين تولى 1147هـ-1734 (المزاري، 1990:275) لقب بقائد الذهب، وذلك لسخائه وكرمه، بقي بايا على المقاطعة لعشر سنين إلى سنة 1747، حيث مات مسموما بمدينة مستغانم. (مسلم، 1974:20)، وما هو مرجح أن عائلة زوجته هي من سمته. (الواليش، 1993:24).

الباي الحاج عثمان 1747 - 1756

توليته كانت سنة 1160هـ -1747 (المزاري، 1990:283)، وسبب تعيينه تعود لعلاقة الصداقة التي ربطته بداي الجزائر، كما ارتبط بعلاقة مصاهرة مع أسرة الباي بوشلاغم (ESTERHAZY, 1840:825)، هذا الباي ليس من العائلة المبراتية التي أغاضها تعيينه على البايك بعدما انحصر منصب الباي فيهم، ما دفعهم إلى تنظيم خطة لاغتياله وإبعاده محاولة منهم الاحتفاظ برئاسة البايك، لكن لم ينجحوا في مساعيهم، فكفأته ضمننت له الاستمرار بايا لتسعة سنوات. (مسلم، 1974:20).

اضطربت من جديد تلمسان التي ثارت على الأتراك، التي كان قائدا عليها رجب البجاوي، عندها جهز عصمان باي حملة لإخضاعهم حيث انتصر عليهم وأزاح رجب البجاوي الذي أرسله إلى مدينة الجزائر لينفذ فيه الداي العقاب الذي يختاره، أما البقية الثائرة فقد مارس فيهم أبشع أنواع التعذيب بسلخ أجسادهم وهم أحياء. (1868:389), (MERCIER,

أثبت الحاج عثمان جدارته وكفأته في تسيير مقاطعته رغم أنه ليس من الأسرة المبراتية، ورغم كل ما تعرض له من مؤامرات من طرف خصومه، إلا أنه استمر لمدة زمنية معقولة خاضها في استتباب الأمن والاستقرار.

الباي حسين : 1756

استمراره بايا على البايك لم يدم طويلا، بعدما فضل اعتزال وظيفته، وذلك وقت تواجده في مدينة الجزائر بعدما لاحظ الاستقبال السيئ الذي حضي به وقت تقديمه الدنوش فخشي على نفسه النهاية الدموية، وبانتهاء أيام دنوشه غادر إلى الإسبان بمدينة وهران ومنها انتقل إلى إسطنبول بحرا حاملا معه أموالا معتبرة . (MERCIER 390 : 1868,

ابراهيم الملياني : 1757-1771

تسمى هذا الباي على المقاطعة الغربية، بعد تقلده وظيفة القائد على مليانة ولذلك سمي بالملياني، وصل إلى مقر حكمه مع أبناء صديقه الباي السابق للتيطري عثمان الكردي، إذ جعل أحد أبنائه وهو محمد الأكل قائدا على فليّة (MERCIE 390:1868) فتولي مثل هذه الوظيفة كثيرا ما تؤهل صاحبها إلى مرتبة باي.

تجهزت في عهده اسبانيا لحرب الجزائر موجهة الأميرال أوريلي على رأس أرمدة عسكرية سنة 1775، ما استدعى الداوي إبراهيم إلى إرسال خليفته محمد الأكل استجابة لنداء الداوي محمد عثمان. إذ تعتبر هذه الحرب أهم الأحداث التي زامنت فترة حكمه، توفي الباي إبراهيم ودفن بمعسكر 1771. (مسلم، 1974: 21) .

الباي الحاج خليل 1771-1778

كان جنديا بسيطا في الإنكشارية، والباي الرابع والعشرين لبايالك الغرب (FEY 288 : 1858 تولى سنة خمسة وثمانين ومائة وألف (المزاري، 1868: 411) ، ارتقاؤه إلى

مرتبة باي كان بعد شرائه للمنصب نتيجة انتشار ظاهرة الرشوة، هذا الداء الخطير ارتبط بالسلطة حيث أصبح تولي المناصب الهامة لا يمنح لأصحاب المقدرة والحنكة وإنما أصبح يعطى لأصحاب المال والنفوذ الذين لا تتوفر فيهم أدنى شروط الثقافة والرئاسة ثم أن الدايات هم أنفسهم كانوا يبحثون عن أصحاب الثروة حتى يحولوا أموالهم إلى الخزينة، وهذا ما أشار إليه ابن سحنون في قوله "نصب بايا لكونه كان له مال أريد ضمه لبيت المال لئلا يدرج في زوايا الإهمال." (ابن سحنون، د.ت: 126)

كما عرف عنه عدائه للعلماء ورجال الدين، ولذلك أقدم على غزوه لدشرة الشيخ أبو ترفاس، وفرق طلبته وهم بقتله إلا أن الله عصمه. (المزاري، 1990: 287)

تصرفاته اللامسؤولة كانت سببا في هلاكه، كما أشار إلى ذلك المزاري حينما دعى عليه الشيخ في قوله "فضحتنا علانية بلا سبب، فضحك الله وعجل بهلاكك لتستريح منك البلاد والعباد"، وقد ابتلاه الله بعلّة يقال لها الشّهدة، فحملوه لتلمسان أين توفي دون علم أحد. (المزاري، 1990: 287-288) وكان ذلك بعد ثلاثة سنوات ونصف من يوم إمرته. (ابن سحنون، د.ت: 126).

الباي محمد عثمان: 1778-1797

تولي هذا الباي سنة 1192هـ - 1778م، ينتسب إلى الأكراد، والده عثمان الكرد الذي كان حاكما بمليانة ثم صار بايا للتيطري وأمه أم ولد اسمها زائدة (المزاري 1990: 290) استرسلت المصادر المحلية في مدح هذا الباي²³ وإظهار شمائله،

23- من مآثر الباي محمد بن عثمان العمرانية بابا حسين، والجامع الأعظم بالبرج، أنظر (مسلم، 24: 1974) أنظر أيضا (المزاري: 295-290).

منهم كاتبه ابن الهطال الذي قال فيه " كان فارسا كثيرا ما يعتني بتربية الخيل، فكان يوجد بإسطبلاته أنواع مختلفة من الطيور الحسان ما لم يجتمع عند غيره من الملوك" ²⁴ كما تميز بشجاعته وفروسيته ومقدرة حربية مكنته بقيادة مجموعة من الحملات ضد القبائل المعادية، إذ استطاع فتح الأغواط وعين ماضي ونزل شراعة وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد من الأتراك، وأعظم فتوحاته فتح وهران. (المزاري، 1990: 290) عندها لقب بالكبير بعدما تمكن من إرجاع مدينة وهران إلى الحاضرة الإسلامية، وافتكاكها من السيطرة المسيحية.

أما عن سير الفتح فكان بانتهاج أسلوب الحصار والتضييق على الإسبان وإجبارهم البقاء داخل المدينة وحصر تحركاتهم، وقد استعان في ذلك بالطلبة والفقهاء، وأخذ يحارب في الأعداء إلى أن تم له الفتح سنة 1206هـ- 1791 (مسلم 17:1974،

اختلفت الروايات في أمر فتحها، هل كان عنوة أم بتأثير الزلزال الذي خلف دمارا بالمدينة، وإلى ذلك يشير صاحب تحفة الزائر في قوله " ثم وقعت زلزلة عامة في جميع المغرب الأوسط، واشتدت بوهرا فسقط أكثر دورها، فطلب الإسبان الهدنة لمدة ثلاثين يوما وقبل تمامها غدروا بالمسلمين [...] عندها سار الباي إلى وهران وأعظم النكاية في الإسبانيول" ²⁵، فهذا القول فيه إشارة واضحة أن المدينة فتحت عنوة على أيدي الباي محمد الكبير والمجاهدين الذين شاركوا في الفتح، أما الرأي الثاني فقد

24- ابن الهطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1969، صص 61.

25 - محمد ابن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، و الأمير عبد القادر، تعليق ممدوح حقي، الط. 03، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص 111.

أشارت إليه الكتابات الأجنبية التي أرادت من وراء ذلك الحط من قيمة الإنجاز وأهمية الجهاد في سبيل الله واعتبارهم أن الزلزال هو الذي مكنهم من استرجاع المدينة نهائياً التي جعلها عاصمة الإقليم إلى الاحتلال الفرنسي.

حكم الباي محمد الكبير تسعة عشر سنة، أما عن سبب وفاته فقد انفرد الزهار بذكره مشيراً أنه قتل مسموماً من طرف الداوي بابا حسن، خاصة لما عرف عنه من شكه المبالغ في كل موظفيه مما أورده قوله "كان ذلك في أيام الدنوش، فلما أكمل أيام الضيافة، وفي طريق عودته، توفي وقيل في موته أن حسن باشا بعث من سقاه سما. (الزهار، 1980: 63)

يبقى الاحتمال وارداً لسكوت المصادر المحلية، وما يؤكد ذلك ظاهرة الاغتيالات وقرارات العزل التي كثرت في عهد الداوي بابا حسن بإزاحته لكل الشخصيات النافذة على مستوى كل إقليم، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث، وكذلك عند الحديث عن بايات المقاطعة الشرقية متجاهلاً بذلك كل الانجازات التي حققها، والتنظيم التي أصبحت عليه الجهة الغربية في ظل حكمه.

الباي عثمان بن محمد: 1797-1800

يعتبر ثالث بايات وهران بعد انتقال عاصمة الإقليم إليها، تولى يوم الخميس 25 جمادى الأولى 1212هـ - نوفمبر 1797 (FERAUD, EPHIMIRID, 1874: 113)، لقب بالأعور ساهم عثمان في إدارة شؤون البايلك في عهد والده الباي محمد عثمان الذي أشركه معه في الحكم. (MERCIER, HISTOIRE, 1868: 244)

اهتمام هذا الباي برعيته وشؤون مقاطعته لم يكن بمثل اهتمام والده، إذ جعل أمور رعيته أمراً منسياً، حيث انتقدت المصادر المحلية التي كتبت عن بايات وهران طريقته في التسيير ومن هؤلاء المزارى الذي أعطى وصفاً للسياسة التي اتبعها في قوله " ... اتخذ مجلساً للخلوة بأحكام وصار لا يخرج منه للحكم إلا بعد مرور أيام، وصرف أمور رعيته إلى من شاء من أرباب دولته، فانفقوا نفعا كثيراً ونالوا من الرعية مالا غزيراً " (المزارى، 1990:299)، غير أن ذلك لم يمنعه من الخروج في حملة إلى عين ماضي وشيخها التجاني التي كانت زاويته وجهة لطلاب العلم، فالشهرة التي أصبح عليها التجاني قد ارتاب منها الباى، الذي لم يستطع تحقيق مراده بالقبض عليه، وذلك لمغادرة التجاني المنطقة، ولكنه أغرم الرعية بما قدره 170 ألف بوجو (MERCIER, HISTOIRE 1868:450).

فالتهاون الذي طبع شخصيته، وتوصله من واجباته التي عليه تأديتها، خلفت المتطفلين وأصحاب المصالح، هؤلاء الذين فرضوا على الرعية دفع أموال كثيرة مقابل قضاء حوائجهم، وهذا فساد آخر نتج عن سوء اختيار البايات المناسبين، ما دفع أعيان المدينة لمراسلة الداى في أمر عزله (FEY, 1858:289) نتيجة الفساد والضيق الذي لحقهم من جراء سياسته.

بينما هناك رواية أخرى مخالفة تشير أن سبب عزله هي الوشاية التي تقدم بها ابن أخيه، ومفادها أن الباى عثمان نقل أمواله إلى بلد أجنبي، إلا أن الباشا اعتبر إدعائه كاذباً في بداية الأمر، ليصدر بعد فترة أمراً إلى آغا العرب الحاج قويدر بن سنوسي للقبض عليه. (FERAUD, EPHIMIRID, 1854:314)، حينما كان ينوي مغادرة مدينة

وهران بمساعدة قنصل اسباني، لكن اكتشف أمره بوصول الآغا مع قوة قدرها مائتين جندي حيث احتجز في القسبة. (FEY، 1858 : 289. 290)

ويشير ابن سحنون إلى الطريقة التي عومل بها عند عزله من منصبه في قوله :
"إن الباشا نهب ماله وسمّر داره وكبله قيّداً حديداً ونقله إلى البليدة بعد أن عفى عن قتله"، فالباي عثمان دامت ولايته لبابيك الغرب ثلاثة سنوات، قضّاها في مجالس اللهو والطرب مهملاً شؤون الرعية والبابليك، وبذلك قد خالف سيرة والده ذا الانجازات العظيمة لكن رغم ذلك تولى بايا للمرة الثانية على المقاطعة الشرقية كما سبق الإشارة إلى ذلك.

الباي مصطفى العجمي 1800-1805

الباي مصطفى رابع بايات وهران، اسمه الكامل مصطفى بن عبد الله العجمي، تولى سنة خمسة عشرة ومائتي ألف (المزاري، 1990:301)، ينحدر من عائلة أزميرية، يُلقب بمصطفى المنزالي (FEY، 292:1858)، وفيه قال بعض الأولياء الصالحين سيأتي الحاج مصطفى العصي هو فوق الكرسي والناس تعصي. (ابن سحنون، د.ت: 208).

وصف بالجين حيث هاجت في أيامه عامة درقاوة وزعيمهم الشريف الدرقاوي²⁶ الذي ألحق هزائم متتالية بالحاميات التركية بسيطرته على مدينة مليانة، تنس، معسكر وتلمسان، عندها خلى له الجو لإخضاع عاصمة البابليك مدينة وهران. (FEY، 1858 : 292)، التقى الباي مصطفى بجموع درقاوة في معركة فرطاسة بين وادي مينا ووادي العبد سنة 1219 هـ- 1805م (الزياني، 1978:209)، حيث باء مخزن الباي بهزيمة كبيرة، حينها ما

26- الشريف عبد القادر، أصله من كسانة وهي قبيلة بربرية بوادي العبد من قبيلة بغريس ، أخذ العلم عن الشيخ محي الدين في مدرسته بالقيطنة، ثم رحل إلى المغرب الأقصى أين التقى بشيخ الطريقة الدرقاوية العربي الدرقاوي. أنظر (ابن عبد القادر الجزائري ، 1964 : 115) .

كان أمام مصطفى العجمي إلا التحصن بمدينة وهران التي أغلق أبوابها، وذلك ما زاد في شدة الأزمة على الرعية التي أصبحت تعاني من الغلاء في الحبوب، لدرجة أن القمح صار يأتي من مدينة الجزائر عن طريق البحر. (الزهار، 1980: 87)

فاضطراب الأوضاع وغياب الأمن جعل الباشا يصدر أمرا بعزل الباي مصطفى الذي رآه غير قادر على التحكم في زمام الأمور واستبدله بآخر أكثر جرأة وشجاعة (FEY, 1858: 295)

الباي محمد المقلش: 1805-1808

يعتبر الباي المقلش الابن الأكبر للباي محمد الكبير، وأخ الباي السابق عثمان، الذي رافق هذا الأخير إلى منفاه بالبليدة، يلقب بالمقلش. وصله فرمان تعيينه من طرف الداوي، الذي كلفه بمهمة تفريق شمل درقاوة التي هددت الوجود التركي مما ورد فيه "قد جعلتك بايا على وهران لتخضعها مجددا إلى الحكم التركي". (FEY, 1858: 295).

وصل الباي المقلش إلى وهران من البحر على متن فرقاطة مع قوة قدرها خمسة وخمسون خيمة، لسيطرة الدرقاوي على الطريق البري المؤدي إلى المدينة.

ولايته للمقاطعة الغربية كانت سنة عشرين ومائتين وألف (المزاري، 1990: 308)، وليقوي مكانته ويكسب حلفاء إلى صفة ارتبط بعلاقة مصاهرة مع الشيخ قدور بن الصحراوي رئيس قبيلة الحشم (ابن سحنون، د. ت: 45)، كان عمره آنذاك حسب ما أورد الزياني ثمانية عشرة سنة ليستمر على رأس البايك لثلاثة سنوات. (الزياني، 197: 231)

يعود للباي المقلش الفضل في بعثرة شمل درقاوة وإضعاف شوكتهم، باستعماله أسلوب الترغيب ومنحه لكل شخص يجلب رأسا من الأعداء عشرة سلطاني (الزهار،

(1980:87) فشجاعته وذكائه مكنّاه من فتح أبواب وهران وفك الحصار عنها وأصبح الناس أحرار في دخول المدينة وخروجها. (DELPECHE, 1874:46).

فرغم الانتصارات المحققة وعودة الأمن إلى المدينة عاصمة الإقليم، إلا أن نهايته كانت دموية مأساوية²⁷ وعن سببها يذكر المزاري في قوله "...سرح المحلة للجزائر، ولما عدم الذواب أمر بحمل الأثقال على البقر، فبلغ أمره الباشا الذي أمر بعزله وقتله... " (المزاري، 1990:325)، ومنهم من يشير إلى رواية أخرى مفادها أن الباشا أرسل الآغا عمر للتحقيق في أمر الشكاوى التي وصلت إليه، وللنظر في أمر الخزينة، إلا أن الداي كان غائبا بالريف، وبوصوله إلى هران أدخله القسبة وقام بتعذيبه حتى يفصح عن مكان المال الذي خبأه، ولما أجابه بضياح الخزينة أعدمه. (FEY, 1858:300)، وعن التعذيب الذي نفذ في حق هذا الباي ما أورده المزاري في قوله " قتل شر قتلة بعد أن ذاق أنواعا من العذاب خارجة عن الحد، حتى كانوا يحملون سبائك الحديد، ويضعونها على رأسه".

الباي محمد بن عثمان الرقيق 1808 - 1812

يلقب هذا الباي ببوكابوس²⁸، وهو أخ الباي محمد الكبير، تولى أواخر السنة الثانية والعشرين والمائتين والألف. (المزاري، 1990:328).

الباي بوكابوس هو الآخر واجه فتنة درقاوة عن طريق مجموعة من المعارك، ومن ذلك التقائه بالدرقاوي قرب ندرومة حيث قطع ستين رأسا منهم (ESTERHAZY

27 - يذكر ابن سحنون سببا آخر لاغتيال الباي في قوله " أما سبب قتله اتهامه بعدم استطاعته القضاء على الدرقاويين وانتقامه من العلماء ومصادرة أموال الأهالي، لذلك نفذ فيه حكم الإعدام. أنظر: (ابن سحنون: 46)

28 - لقب بالرقيق لأنه كان رقيق الجسم ، وببوكابوس لحمله الكابوس (المسدس) ولقب بالصغير للتفريق بينه وبين أخاه الباي محمد الكبير. أنظر: (المزاري ، 1990 : 328) .

(1840:210)، إلى جانب ذلك انتهج سياسة القمع والترهيب بفرض عقاب صارم وقاس في كل من يشك في ولائه للدقاوي، لدرجة أن من حسد أحدا ووشى به عنده وادعى عليه محبة الدقاوي فسينتقم منه فوراً [...] فمنهم من يأمر بدق أعضائه حياً، ومنهم من يقلع عينيه، ومنهم من يأمر بقطع أعضائه إلى أن يموت. (المزاري، 1990:328).

خلال ولاية الباي بوكابوس للبايلك اغتيل الداوي أحمد واستبدل بالحاج علي، هذا الأخير قام بتجهيز حملة ضد تونس، ولضمان نجاحها أرسل إلى البايات الثلاثة لطلب الدعم (FEY, 1858:303)، فاستجاب الباي لطلب الباشا وخرج بجيشه من وهران، إلا أنه وفي طريقه حدثته نفسه ورفض أمر الباشا، ولم يتوقف عند هذا الحد بل وتحالف مع سلطان المغرب. (الزياني، 1978:231)

فأسباب هذا الرفض ونزع الطاعة لازالت غير معروفة وواضحة، وحتى المصادر المحلية التي عاشرت هذه الفترة يكتنفها الغموض حول تصرف الباي بوكابوس رغم ذكرها للثورة وإشارتها إلى التحالف الذي جمع الطرفين، كما بينت ذلك رسالة إسبانية مؤرخة في 15 ماي 1813 جاء فيها: "...كل العرب في حالة استنفار، وقد ذبحوا عددا كبيرا من الأتراك، ومن المتوقع أن يصل الأسطول المغربي لمساعدة الباي الذي هو ومولاي سليمان على اتفاق تام".²⁹

يظهر أن ثورة بوكابوس على داي الجزائر كان مجهز لها قبلاً، وذلك ما أشارت إليه بعض الوثائق الإسبانية تبين حرصه الحصول من إسبانيا على العتاد العسكري،

29 - بلحميسي مولاي، الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر، مجلة الثقافة، العدد 46، الجزائر، 1978، ص 42.

والمتمثل في مائتين قنطار من البارود حيث بيع كل خمسة مائة غرام بأربعة ريالات (بلحميسي، الثورة، 1976: 34)، لكن تمرد هذا لم يوفق فيه، بعد أن كان يرمي من ورائه إلى اعتلاء كرسي الحكم في الإيالة، ولأن الداي علي اعتبر بوكابوس خائناً وسببا في الهزيمة التي مني بها الجيش الجزائري ضد تونس، فأوقع به أبشع أنواع العذاب قبل قتله، ولهذا الغرض أرسل عمر آغا مع قوة قدرها خمسين خيمة عن طريق البر وجعل الوكيل أحمد يذهب عبر البحر. (ESTERHAZY, 1840: 213-212) عندها لم يجد الباي من مخرج سوى العودة إلى مدينة وهران، حيث أغلق على نفسه أبواب برج الأحمر مهددا بتفجير القسبة مخزن العتاد الحربي إذ كان سيلحق بالمدينة دمار كبير، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا، لماذا لم يلجأ الباي بوكابوس إلى حليفه سلطان المغرب وفضل العودة إلى مدينة وهران منتظرا مصيره المأساوي؟.

ثمّ القبض على الباي بوكابوس الذي عذب أبشع عذاب بسلخ رأسه حيا وملئه قطنا كما لحق العقاب بعائلته حيث قتل أولاده الصغار 1228هـ - 1813م (مسلم، 1974: 28) بينما هرب أعضاء الثورة البارزين نحو الحدود المغربية، وصودرت أموال الباي فحصلت الخزينة في الجزائر على مبالغ عظيمة من المال. (بلحميسي، الثورة، 1978: 45-46).

الباي قارة باغلي 1812-1817

ألّبس ققطان ولاية المقاطعة الغربية في مازونة من طرف عمر آغا الذي كلف بمهمة القبض على الباي بوكابوس. (المزاري، 1990: 337)، أما عن لقبه قارة باغلي فنسبة إلى بلدة باغل ببلاد الترك، عرف بالعقل والرياسة، ولذلك زوجه الباي بوكابوس ابنته. (المزاري، 1990: 339)

تعرض الباي قارة باغلي كغيره من البايات المتأخرين إلى القتل، حيث يرجع سبب هذه النهاية إلى عدم تنفيذه لأوامر الداوي علي الذي كلفه بقتل بعض الأتراك الفارين إلى البايليك (مسلم، 1974: 29)، إلا أن هؤلاء فروا لمحلة الشتاء فبلغ خبرهم الباشا الذي استغاض شديدا منه (المزاري، 1990: 346)، غير أن مسلم بن عبد القادر يذكر رواية أخرى تشير أن الباي هو من غض عنهم الطرف متجاهلا أوامر الداوي .

وفي وقت دنوشه ووصله بقرب مليانة أرسل إليه الباشا من عزله وقتله (مسلم، 1974: 29)، فالدنوش في أغلب الأحيان يعتبر فرصة مناسبة لبشوات الجزائر حتى يتخلصوا من البايات وبذلك يتجنبون عناء التنقل إلى مقر مقاطعتهم واغتيالهم.

آخر بايات الإقليم الغربي كان الباي حسن بن موسى الذي تولى منتصف ذي حجة 1232هـ-1817 م، من الوظائف التي تقلدها قبل أن يتولى بايا الطبخ لأربعين جندي ثم بائعا للتبغ، ليرتقي في عهد الباي بوكابوس إلى قيادة فليقة إحدى أكبر قبائل البايليك (مسلم، 1974: 30) استمر الباي حسن بن موسى على البايليك إلى غاية الاحتلال الفرنسي إذ لم تصدر في حقه أوامر بالعزل أو القتل.

3/ انعكاسات الاغتيال السياسي

الاغتيال من الظواهر السياسية الخطيرة التي صاحبت باشوات الجزائر خلال حكمهم مع اختلاف الأنظمة السياسية الأربعة من عهد البايلريبات، البشوات، الأغوات وحتى الدايات ولذلك حرص كل باشا في الجزائر على أخذ احتياطاته لتفادي المصير أو النهاية المأساوية، وكحل مبدئي لابد من تشجيع التداول السلمي على السلطة وتجنب الصراعات الدموية، فمن الإجراءات التي اتخذت في هذا الصدد إخفاء وفاة الداوي حتى يتم البحث عن خلفه بين كبار المسؤولين والموظفين في الدولة، وهذا ما تم عند وفاة

الداي محمد عثمان سنة 1791، إذ ذكر الزهار في مذكراته لتجنب الاغتيال قوله " لما توفي الداي محمد تكلم علي برغل، وهو وكيل الحرج مع الخزناجي حسن، أنه إذا توفي الباشا يرسل له خفية ليتولى بعده، وخوفا من علي آغا الذي كانت له نوايا في الحكم [...] ولما كان وقت الضحى استقدمه خفية، عندها حمل علي آغا بندق صغيرة واتجه إلى القصر، لكن حسن الخزناجي كان متفطنا إذ أمر بالقبض عليه ثم نفيه إلى القلعة حيث وجد مذبوحا " (الزهار، 1980: 51-52)، وهذه طريقة اعتمدها أغلب الدايات للتخلص من المنافسين أو العناصر التي قد تهددهم.

ومما بادر إليه حسن خوجة الذي حكم الجزائر خلال الفترة الممتدة من سنة 1705-1707، لما ارتقى دايًا إلى عزل كل من يخالف سياسته من الأوجاق خاصة تلك العناصر التي لها الكلمة العليا على الجند تجنبًا للتحريضات والفسائس (ابن ميمون، 1981: 29)،

وعمد بعض الدايات الآخرين حفاظًا على حياتهم إلى التنازل على السلطة أمثال الداي حسن شاوش الذي تولى في 26 ذي الحجة 1109هـ - 1698 (ابن المفتي، 2009: 56)، حيث تنحى عن منصبه تاركًا السلطة ومخاطرها، وذلك بعد هزيمة الإنكشارية أمام التونسيين إذ قتل من الجيش الجزائري خمسة مئة جندي (MERCIER، 1868: 319)، ولأنه تنازل عن منصبه، وانسحب من وظيفته التي قد تكون في أغلب الأحيان سببًا في مقتله، قوبل بمعاملة لائقة ومنح مركبًا للمغادرة إلى طرابلس الغرب. (DE GRAMMONT, ALGER, 1887: 270)

ومن الاحتياطات الأخرى الاستعانة بالجواسيس والمخبرين الذين كان لهم دور مهم في تقصي الأخبار ونقلها إلى الداي الذي يتخذ الإجراءات اللازمة في حينها

للحيلولة دون تنفيذ المتآمرين لدسائسهم، وهذا ما نجد له إشارة واضحة في حرب اسبانية للجزائر، عندما سأل الخزناجي الداوي محمد عثمان إن كان على علم بها، فأجابته الداوي "أن الخبر يأتييني من الرجل إذا انقلب في فراشه فكيف بهذا". (المدني، محمد، 1986:107).

فالطريقة التي اعتمدها محمد عثمان كان لها تأثير إيجابي على استمراره في الحكم، وما نستشفه أيضا مقدرته في إفشال كل المحاولات التي استهدفتها والتي استطاع القضاء عليها في مهدها، وبثبت أيضا كفاءته وخبرته التي أصبح يتمتع بها من خلال المناصب التي تولاه كخوجة النوباتيجة ثم خزناجي.

وكان حرص بعض البشوات على تفادي الاغتيالات التي استهدفتهم داخل قصر الجنية، من خلال سنّ بعض القوانين، ومنهم الداوي كور عدي 1723-1733 الذي أنشأ حرصا خاصا لتفتيش ونزع السلاح لكل شخص يريد مقابلته، كما عين قبل وفاته خلفه في الحكم حفاظا منه على الاستقرار السياسي. (مروش، 2009:378)

ومن الاحتياطات الأخرى ما أورده أحد الآباء المسيحيين أثناء زيارته للجزائر بهدف تحرير الأسرى قوله "خلال الثمانية سنوات التي حكمها هذا الداوي، أنا متأكد من أنه لم يخرج من قصره إلا أربعة أو خمسة مرات مرتين وثلاث لرؤية عائلته، ومرتين لتفقد الميناء وتحصيناته، وكان في عودته يرجع من طريق آخر غير الذي سار فيه أثناء ذهابه حتى يتجنب أية رصاصة قد تصبه" (EMERIT, VOYAGE, 1954 : 374).

ومن واجبات الدايات الاحتفاظ بمفاتيح المدينة وأبواب الثكنات عند الغروب لتفتح في نفس الوقت صباحا، فهذه الإجراءات تتخذ للحيلولة دون وقوع الانقلابات، والتي كثيرا ما تقع بالليل. (كاتكرت، 1982: 100).

و تجلى حرص الباشوات على تحصين مقر الحكم، حيث أعطى شالر وصفا له من الناحية الخارجية نستنتج منه أنه مكان يسهل الدخول إليه، "فهو يفتقد للخنادق والممرات والتحصينات (شالر، 1982: 75)، عكس الناحية الداخلية، فقصر الجنيّة بني بشكل هندسي يصعب على أصحاب الدسائس القيام بما ينوونه، إذ ورد وصفه في مذكرات كاتكرت أحد الأسرى الذين عملوا فيه قوله "من الباب الخارجي يجد الداخل إلى اليسار بلاطا واسعا [...] به درج ضيق معتم لا تناسب بينه وبين بقية البناية منه يصعد وينزل الداوي، والسبب الوحيد لعدم إدخال أي تغيير عليه، لأنه في حالة وقوع انقلاب يكون عدد الثوار الذين يصعدون الدرج قليل ما يمكن الداوي من كسب الوقت للدفاع عن نفسه". (كاتكرت، 1982: 30)

ويبقى أهم احتياط ما أقدم عليه الداوي على خوجة 1232هـ - 1817 بعد إقدامه على نقله لمقر الحكم من قصر الجنيّة إلى القصبة، بعدما لاحظ التدهور والانحراف الخطير الذي أصبحت عليه السلطة في الجزائر، ولذلك كان لابد من تغيير جذري للأوضاع، فالتحول الأخير أدخل الإيالة فترة جديدة من تاريخها أمن الهدوء والاستقرار بعدما كان الدايات عرضة لتقلب مزاج الثوار، رغم أن الداوي علي خوجة لم يستمر طويلا إذ دامت مدة حكمه ستة أشهر توفي على إثر إصابته بعدوى الطاعون، فالقصبة اختيار ممتاز لأنها مكان استراتيجي تحيط به الأسوار التي تعلوها والمدافع التي تحرس المدينة. (أبو العيد دودو، 1989: 71).

تمت عملية الانتقال بشكل سري وبتخطيط محكم، أمر الباشا بداية بحمل المدافع مع ما يلزم من البارود تحسبا لأي طارئ ليتمكن من مواجهة الإنكشارية بهذا العناد كما أمر شيخ البلد أن ينادي على أصحاب الصنائع بالصلاة في الجامع الملاصق لدار الملك وإغلاق التكنات بعد صلاة المغرب (الزهار، 1980:132)، كما فتحت الخزينة ونقل ما بها من ذهب وأموال وأثاث في تلك الليلة لينادي في الصباح على سكان المدينة موضحا لهم دوافع التحول وفائدته كما أورد ذلك الزهار في قوله "إني أريد أن انتقل إلى القسبة وأسكن بها، لأجل أن تتقطع فتنة العسكر وتنهأ جميع الناس" (الزهار، 1980:134)

فالإجراءات والاحتياطات التي اتخذت من طرف باشوات الجزائر للحفاظ على حياتهم من النهاية الدموية ومحاولات الانقلاب، وتحقيق مبدأ التداول على السلطة لم تتجح إلا في بعض الحالات، فالاغتيال قد استفحل وبشكل خطير خاصة فترة حكم الأغوات والدايات ما كان له انعكاس سلبي على الحكام أنفسهم وعلى الاستقرار السياسي للسلطة.

يتجلى تأثير الانقلابات على باشوات الجزائر في ذلك الخوف والترقب الذي أصبح لصيقا بكل تصرفاتهم، وهذا ما أشار إليه "فاليير" قنصل فرنسا بالجزائر في عهد الداوي بابا حسن 1791م، مبينا خطورة الاغتيال على نفسية هذا الأخير التي أصبحت هواجس الخوف تتحكم في كل تصرفاته قوله "...للأسف هذا الداوي أصيب بأعلى درجات المرض العقلي مثل غيره من الدايات، وافتقد للتوازن العقلي، فهو يتصرف بانفعال شديد" (GRAMMONT, 1887: 349)، ونفس القول أورده كاتكرت في مذكراته عن حادثة وقعت للداوي حسن نتيجة شعور الخوف الذي كان يسيطر

عليه باستمرار من حصول تمرد قد يؤدي به إلى نهاية مأساوية إذ يقول "...في أحد الأيام إذ بالداي حسن يغير قميصه،ولما حاول خلع له لم يتمكن لضيق فتحتة، فاستولى عليه الرعب معتقدا أنهم وضعوا كيسا حول عنقه لقتله،فأخرج يطغانه وأوشك أن يقتل أحد عبيده." (كاتكرت،1982: 29-30).

ولهذا فأغلب الكتابات الأجنبية التي وصفت الدايات اعتبرتهم سجناء قصرهم، ومن ذلك وصف القسيس "فو" نقلا عن جون وولف قوله "إن الداى في الغالب لا يخرج [...]،فقد يحدث أنه إذا خرج من قصره أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب داي ومن حياته. " (وولف ،2009:389) .

فكل الدايات الذين سبق الحديث عنهم في الفصل الثالث نعتهم المصادر الأجنبية بمجموعة من النعوت،منها القسوة،الخشونة والشك،فهذه الصفات لم تكن كلها من طبائع الدايات الشخصية،وإنما كانت وليدة ارتقائهم الحكم،ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الداى أحمد 1805-1808 الذي راح ضحية شكوكه أحد أغواته،الذي كان يحرز على نفوذ كبير،وهذا ما يخشاه أي داي،فسعى إلى التخلص منه،بدخوله المدينة أخذ ليلا وفي سرية تامة إلى السجن حيث خنقه متهما إياه بالتخطيط لقتله. (أبو العيد دودو،1989:51).

فالدايات في الجزائر يصبحون عرضة لغضب الجند وأصحاب المصالح عندما يقدم على قرار أو أمر يحمل إهانة كالدخول في حرب والهزيمة فيها أو قبول معاهدات السلم مع الدول الأجنبية بشروط مخزية كما حصل للداى بابا حسن عندما رضخ لتهديدات دوكين ما جعل ميزومورطو يؤلب عليه الانكشارية التي اغتالته ولهذا نجد الداى بابا حسن سنة 1791 في المحادثات التي جمعت الإيالة والولايات

المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي تقدمت بعرض يحمل في طياته إهانة لهيبة وقوة الجزائر في البحر الأبيض المتوسط، ولذلك رفضها معللا ذلك في قوله "...وأترك أبناء جلدتي أسرى في يد النابليين [...]، ماذا سيقوله السلطان عني، فكر في ماذا يقع لي لو تركت أتراكا في قيد العبودية، ماذا يقوله عني جنودي، سوف يقطعون رقبتني بمجرد ما يحضرون لدفع مرتباتهم." (كاتكرت، 1982:250) .

فالتغيير الدموي وطرق الاغتيال المتعددة في أعلى هرم السلطة ولدت حكاما ضعافا خاضعين لرغبات الجند وطلباتهم ما انجر عنه فسادا إداريا باستفحال ظاهرة الرشوة، وشراء المناصب في عهد الداوي أحمد، الذي عزل باي قسنطينة عبد الله، وعرضه بآخر دفع مالا للحصول على منصبه (أبو العيد دودو، 1989:51)، فهذه السياسة التي انتهجت من طرف الدايات للحصول على المال وإغناء الخزينة كثرت بنهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ولهذا كثيرا ما كانت تصدر أحكام العزل والاغتيال في حق بايات المقاطعات للإستيلاء على أموالهم ما نجم عنه التغيير المستمر في السلطة.

الغيض والتذمر الذي يحمله الناقمون على البشوات لا يتوقف عند الاغتيال فقط، وإنما تلحقهم الإهانة حتى بعد مقتلهم حيث تتعرض جثثهم لأبشع إهانة، ومن ذلك ما حدث للداوي شعبان 1690-1695 بعد خنقه، إثر قراره بحرب تونس وهذا ما أورده صاحب الشهب المحرقة في قوله "... فلما طلع النهار تسامع الناس، وتوجهوا نحوه ينظرون، فبعض الأتراك بصق عليه وبعضهم نتف شيء من لحيته، وبعضهم ضربه بسكينة" (سعد الله، من أخبار، 1980:118) فالعقاب لا يلحق بشخص الداوي فقط، فحتى عائلته يلحقها العقاب، فالداوي حسن خوجة 1705-1707 عذب زوجته الداوي

السابق مصطفى 1705، وابنته للبوح بمكان الأموال التي خبئها الداي (الميلي، 1964: 201)، فبشاعة القتل لم تكن تستثني لا الصغير ولا المرأة، فنساء الداي الحاج علي قتلن جميعا من طرف الداي الذي خلفه. (شالر، 1982: 163).

التأثير السلبي لظاهرة الاغتيال هدد الاستقرار الأمني والسياسي للإيالة، فالثورات التي تصاحب عمليات الاغتيال غالبا ما تنتهي ببشاعة وتتم في معارك رهيبة بشوارع مدينة الجزائر، ما يستغله المفسدين والانتهازيين للسلب والنهب، أما السكان من كل هذا اتخذوا موقف المحايد والمراقب لسير الأحداث وتطورها كما قال بذلك حمدان خوجة "أما رأي السكان في كل هذا وضع المتفرج لا المشارك" (خوجة 206: 122)، ولعل تجنب الأهالي الانضمام إلى أحد الطرفين، لأن في مثل هذه الأحداث يغيب القانون وربما تحدث مجازر تتحمل الرعية تبعاتها، وعليه فالسكان كانوا على الهامش في كل ما يخص الأحداث السياسية في الجزائر.

غالبا ما ينجم عن هذه العمليات الانقلابية خلو الشوارع وقلة حركة المارة وتغلق أبواب المدينة ويجمد النشاط الاقتصادي، ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه "دوفال" عند اغتيال الداي أحمد سنة 1223 هـ - 1808 م، حيث أغلقت أبواب الحي (دوفال، 1972: 72)، ونفس الأمر ذكره الزهار في مذكراته في المحاولة الأولى التي استهدفت الداي مصطفى في قوله "...بعدما أخذ المتآمرين الأسلحة صاروا يضربون، وانقطع مرور الناس من الأزقة الثلاثة المقابلة لدار الملك" (الزهار، 1982: 81).

ولن تنتهي الفوضى والاضطرابات حتى يتم الإعلان عن خلف الداي المغتال إذ يسعى هذا الأخير إلى إعادة الهدوء إلى المدينة، ويأمر بفتح المحلات والمنازل

ومباشرة الرعية لأعمالها التي كثيرا ما تتعطل بسبب غياب الأمن والنهب الذي يرافق مثل هذه الأزمات. (DEVOLUX , MORT ,1872:325)

الاغتيال في أحيان أخرى يحمل إيجابيات، من خلال وضع حد للحكام المستبدين الذين طغوا في أحكامهم وفي قرارات القتل التي كانوا يصدرونها في حق الجند لمجرد شكوك تؤدي بهم إلى تصفيتهم، إلى جانب هذا النوع فمن البشوات ما أطلق العنان لنزواته وشهواته تاركا تنظيم شؤون الإيالة وشؤون الرعية إلى موظفيه، حيث يستغل هؤلاء الوضع لاختلاس أموال الخزينة، واستفحال ظاهرة الرشوة وشراء المناصب، ما سيؤدي بالاستقرار السياسي والتنظيم الإداري إلى التدهور والضعف، وانعكس لاحقا على هيبة الدولة وقوتها.

الخاتمة

برز الاغتيال كظاهرة سياسية مع بداية الوجود العثماني بالجزائر حيث كان من أهم الوسائل التي جعلت من العثمانيين يحافظون على السلطة السياسية بعد حادثة اغتيال شيخ مدينة الجزائر سالم التومي وتنصيب عروج حاكما عليها.

اتخذت ظاهرة اغتيال حكام الجزائر خلال الفترات الأربعة هرما تصاعديا وعرفت حدة أكبر خلال فترة الأغوات والدائيات.

شجع استفحال الظاهرة بهذا الشكل الخطير عوامل كثيرة، ومن بينها طبيعة التنظيم الإداري الذي كان متحكما في تسيير الشؤون العامة بدار السلطان أي عاصمة الدولة، وكذلك بالمقاطعات المعروفة بالبايلك التي تمثل السلطة المحلية، إلا انه كان يحمل في طياته بعض المساوئ والعيوب، كانتتشار ظاهرة الرشوة والفساد للحصول على المناصب المهمة في هرم السلطة، والتي كثيرا ما تكون على حساب أصحاب المناصب السابقة عن طريق الاغتيال ما انعكس سلبا على ممارسة الحكم بظهور حكام ضعاف متسلطين يتسارعون لضمان مصالحهم الشخصية متجاهلين الرعية وشؤون البلاد.

يظهر الأمر جليا خلال فترة البشوات موظفي الدولة العثمانية، المعينين لثلاث سنوات بعد دفع مبلغ معين في عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول التي كانت تبعث بهم كولاة على الجزائر، وبالضرورة كان يسعى هؤلاء إلى استرداد أموالهم بشتى الطرق.

كثيرا ما أدت هذه المظاهر من اغتيال وتمرد وفساد إلى غياب الشروط الواجب توفرها لتؤهل صاحبها إلى الرياسة كالخبرة والحنكة السياسية والمهارة الإدارية .

ومن العوامل التي شجعت على تزايد الظاهرة أيضا ذلك الصراع الذي طفى إلى السطح بين القوتين البرية المتمثلة في الانكشارية والبحرية المتمثلة في رياس البحر، فالصراع في بدايته كان ذا طابع اقتصادي حول تقاسم الثروة، لكن سرعان ما تحول إلى صراع سياسي حول السلطة، وذلك ما يستشف بسعي الأوجاق من خلال الديوان للهيمنة على الحكم بتعيين حكام من طائفتها ما عرف بعهد الأغوات، أو فترة استئثار الجيش بالسلطة، ما جعل طائفة الرياس هي الأخرى تبحث عن السلطة باستحداث عهد الدايات، حيث أن الدايات الأربعة الأوائل كانوا من رياس البحر، لكن سرعان ما عادت الانكشارية لتفرض عناصرها إلى نهاية العهد العثماني بالجزائر.

وتجدر الإشارة إلى أن الأطراف المنفذة للانقلابات السياسية، اتضح وحسب دراستنا لموضوع الاغتيالات أن الانكشارية لم تكن الطرف الوحيد المنفذ لهذه التمردات والوحيدة التي تثير الفوضى وتتشرب الفتنة، كما ذهبت إلى ذلك أغلب الكتابات، فغالبا ما كانت الفئة التي تشعر أن مصالحها مهددة وكيانها في خطر تلجئ إلى التخطيط وتنفيذ عمليات دموية في حق الحكام واستغلال وتحريض أعدائهم ومنافسيهم لأن أغلب الاغتيالات تحتاج إلى قوة عسكرية يضمنون بها نجاح مخططهم. هذا من جهة ومن جهة كانت الأوضاع الخارجية كالهزيمة أو القبول بشروط مخزية مع الأعداء هي الدافع، ومن أمثلة ذلك اغتيال الداوي بابا حسن، الداوي شعبان ومصطفى اهجي.

وهناك عامل آخر كاستغلال الموظفين السامين في الدولة لمناصبهم ونفوذهم للإطاحة بالحاكم والجلوس مكانه، خاصة وأن النظام الإداري كان يجعل من الخزناجي، وكيل الخرج وخوجة الخيل المرشحين الأوائل لتولي السلطة.

الأطراف المحرصة على الانقلابات لم يكن منطلقها داخلي دائما، إذ العناصر الخارجية هي الأخرى كان لها يد في إثارة الفوضى وزعزعة الاستقرار الأمني، منها فرنسا ونتيجة تزايد نفوذها لدى بلاط السلطان العثماني كانت تسعى إلى تتحية ولاية الجزائر إن هم خالفوا مصالحها خاصة في المرحلة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر، ونفس السياسة انتهجتها انجلترا بعد حرمانها من الامتيازات المختلفة ومنحها لفرنسا، وهذا ما أثار صراعا بينهما في الجزائر، كما كان حكام تونس يحاولون التخفيف من تدخل الجزائر في شؤونها الداخلية عن طريق إثارة المشاكل الداخلية للإطاحة بالحاكم.

وحتى الدايات الدين توفي وفاة طبيعية لا يمنع عدم تعرضهم لمحاولات الاغتيال حيث معظمهم تعرضوا لأكثر من محاولة تستهدف التخلص منهم لكنهم استطاعوا النفاذ منها أمثال الداوي محمد عثمان.

ظاهرة الاغتيال لم تقتصر على الحكام بدار السلطان، وإنما لحقت حتى بايات المقاطعات الثلاث باختلاف وتعدد الأسباب والدوافع منها الشكاوي المقدمة ضدهم من الرعية التي عانت من استبدادهم وتسلطهم، ومنها سعي الحكام أنفسهم لإزاحتهم أو التخلص منهم للحصول على ثرواتهم، كما كانت الوشاية من الموظفين السامين تعمل على اغتيالهم وتولية آخرين دفعوا أموالا للحصول على الوظيفة .

ومن أهم الطرق التي اتبعت للاغتيال كانت القتل خنقا، والذي استخدم مرتين الأولى عند اغتيال سالم التومي من طرف عروج، والثانية عند اغتيال الداوي الحاج علي أواخر العهد العثماني في الحمام والتظاهر بأنه توفي نتيجة ارتفاع درجة حرارة الحمام العالية، فهي طريقة لا تجلب الشبهات ولا تثير الفوضى

وفي المقابل تضمن نجاح العملية،بينما الطريقة الشائعة كان القتل بقطع الرأس وبالتالي النهاية الدموية،إما بقصر الجنيّة مقر الحكم أو أثناء خروج الباشا إلى المدينة لتفقد التحصينات أو الميناء.

استفحلت ظاهرة الاغتيال السياسية في المرحلة التاريخية من حكم العثمانيين بالجزائر وبشكل خطير،ما جعلها تؤثر وبشكل واضح على الاستقرار السياسي والتداول السلمي على السلطة،وأثارت الكثير من الفوضى والصراعات الدامية في شوارع مدينة الجزائر المحيطة من قصر الجنيّة،حيث كان يغيب القانون ويكثر السلب والنهب،ويجمد النشاط الاقتصادي، والوضع نفسه كان على مستوى المقاطعات الثلاث للبلاد.

فالاغتيال الذي مس الحكام بالجزائر أو الدولة العثمانية ما هو إلا مظهر من مظاهر الصراع على السلطة ووسيلة للاستحواذ عليها.

الملاحق

ملحق رقم 01

قائمة لأغوات ودايات الجزائر 1659-1830¹

الآغوات	تاريخ توليتهم
خليل آغا	1659
رمضان آغا	1660
شعبان آغا	1665
الحاج علي آغا	1671
الدايات	تاريخ توليتهم
الحاج محمد التريكي	1671
بابا حسن	1681
حسين ميزومورطو	1683
الداي شعبان	1689
الداي أحمد	1695
الداي علي	1696
حسن شاوش	1699
الداي مصطفى أهجي	1700
الداي حسين خوجة	1705
الداي محمد بكداش	1707
الداي إبراهيم	1710
الداي علي شاوش	1710
الداي محمد أفندي	1718
الداي كور عبيد	1723
محمد باشا	1729

¹ »les dirigeants de l'Algérie pendant la période turque « , in revue histoire et civilisation maghrébine ,n 06 -07 ,1969 , pp 40-41 .

1731	الداي إبراهيم
1745	كوجك إبراهيم
1748	الداي محمد ابن بكير
1754	الداي علي "بوصبع"
1766	الداي محمد بن عثمان
1791	الداي بابا حسن
1798	الداي مصطفى
1805	الداي أحمد
1808	الداي علي خوجة "الغسال"
1809	الحاج علي خوجة
1815	الحاج محمد باشا
1815	الداي عمر آغا
1817	الداي علي خوجة
1818	الداي حسين

ملحق رقم 02

قائمة لبايات المقاطعة الشرقية لقسنطينة

البايات	تاريخ توليتهم
فرحات باي	1052هـ - 1647م
محمد بن فرحات باي	1063هـ - 1653م
رجب باي	1077هـ - 1666م
خير الدين باي	1083هـ - 1674
دالي باي	1087هـ - 1676
باش آغا باي	1090هـ - 1679
شعبان باي	1099هـ - 1688
علي خوجة باي	1104هـ - 1692
بن فرحات باي أحمد	1112هـ - 1700
إبراهيم باي العلي	1114هـ - 1703
حمودة باي	1119هـ - 1707
علي بن حمودة	1120هـ - 1708
حسين شاوش	1121هـ - 1708
عبد الرحمن باي بن فرحات	1122هـ - 1709
حسن دنفزي باي	1122هـ - 1710
علي بن صالح باي	1122هـ - 1710
حسين بوكمية	1125هـ - 1713
حسين باي بوحنك	1170هـ - 1736
الباي احمد القلي	1170هـ - 1756
صالح باي	1185هـ - 1771

1792-1206 هـ	1 إبراهيم بوصبع
1792-1206 هـ	صالح باي ثانية
1792-1207 هـ	حسين ولد حسن بوحنك
1795-1209 هـ	مصطفى الوزناجي
1798-1212 هـ	مصطفى انجليز
1803-1218 هـ	عثمان باي
1804 - 1219 هـ	عبد الله باي
1806-1221 هـ	حسين باي ولد صالح باي
1807-1223 هـ	علي باي بن يوسف
1808-1223 هـ	أحمد شاوش القبائلي
1808-1223 هـ	أحمد الطوبال
1811-1226 هـ	محمد نعمان باي
1814-1229 هـ	محمد شاكر باي
1818-1233 هـ	قارة مصطفى
1818-1233 هـ	أحمد المملوك
1818-1233 هـ	محمد الملي
1819 - 1234 هـ	إبراهيم الغربي
1820-1235 هـ	أحمد المملوك ثانية
1811-1237 هـ	إبراهيم باي الكريتلي
1824-1240 هـ	محمد مانماني
1826-1241 هـ	أحمد باي

¹ - قائمة مستقاة من مصدر "تاريخ قسنطينة، للعنصري

ملحق رقم 03

قائمة لبايات المقاطعة الغربية "بوهرا" ¹

البايات	تاريخ توليتهم
الباي مصطفى بوشلاغم	1098هـ - 1686
يوسف المسراتي	1140هـ - 1734
مصطفى الأحمر المسراتي	1147هـ - 1734
محمد أبو طالب المجاجي	1148هـ - 1735
مصطفى قائد الذهب	1155هـ - 1742
الباي حاج عثمان	1160هـ - 1747
الباي حسن	1170هـ - 1757
إبراهيم الملياني	1170هـ - 1757
الحاج خليل	1185هـ - 1771
محمد بن عثمان	1192هـ - 1778
عثمان بن محمد	1213هـ - 1798
مصطفى العجمي	1215هـ - 1800
محمد المقلش	1220هـ - 1805
مصطفى العجمي ثانية	1222هـ - 1808
محمد الرقيق	1222هـ - 1808
قارة باغلي	1228هـ - 1812
حسن بن موسى	1232هـ - 1817

1- القائمة مستقاة من كتاب طلوع سعد السعود، للمزاري بن عودة

ملحق رقم 04

الرسالة من السلطان العثماني إلى حاكم فاس حول عزل حسن باشا وتولية صالح باشا

ولما بلغ إلى سمعنا الشريف أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقاً حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه ومال إلى جانب العنف والاعتساف ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق والإئتلاف وسد باب الاتحاد مع المجاهدين حماة الدين لذلك بدلناهم غيره فأنعمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية وخلصنا خدام اعتابنا الجليلة أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى صالح باشا دام إقباله لفرط شهامته وشجاعته وكمال دينه وديانته فوضنا إليه تلك الديار وأمرناه بإقامة شراع (الشرع) الشريف المبين وأحياء قوانين سيد المرسلين وصون الرعايا وحفظ البرايا الذين هم ودائع الله تعالى وإن يكون مع الأهالي الاسلام على أكمل اتحاد وأجمل اتفاق مجدا فيما يتعلق بالدولة والدين وقيام ناموس سلطاننا المتين مثابرا على دفع أعداء الدين وقمع الكفرة الفجرة المتمردين على أن أقصى مراد حضرتنا العلية أحياء مراسم الاسلام واطفاء نائرة الكفرة اللئام وذلك المرام يكون باتفاق أمراء الاسلام واتحاد أمناء شرع سيد الأنام ويتم به النظام وينفي آثارهم في الشهور والأعوام.

وأمرناه أيضا أن ينظر إلى أحوال المسلمين بنظر الاشفاق والمراحم وينظر بينهم بكمال هذا مثالنا الشريف العالي السلطاني وخطابنا المنيف السامي الخاقاني لا زال نافذا مطاعا بالعون الرباني والصون الصمداني أصدرناه إلى الجناح العالي الأميري الكبير الأكرمي الأفخمي الأكملي الأرشي الأعدي الهمامي الماجدي النصيري الذخير الحسبي النسبي نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصاة العلية المحفوف بصنوف لطايف عواطف الملك الصمد حاكم ولاية فاس يومئذ الشريف محمد دام علوه وزاد سموه.

أصدرنا هذا المثال الشريف العالي إلى جنابه العالي نخصه منا بسلام بتكميل صلاة (صلوات) المحبة بالتحيات الطيبات وتتأكد بعطره صلات المودة بالتسليمات الزاقيات وبعد.

فان الله جلّت قدرته وعظمت مشيئته منذ أقامنا في دولة هائلة نركب خيولها ونعمة طائفة نسحب ذيولها وسيادة سائدة كالشمس وضحيها. وسعادة سامية كالقمر اذا تليها وخصنا خلافة جليلة عضد الايمان بها منصور ومنحنا سلطنة سنوية ساعد الاسلام بها مرفوع لاجرم وجب علينا وتحتم على ذمتنا أداء (شكر) هذا اللطف الجسيم والاحسان العميم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وكان ابدنا دأبنا ودائماً عادتنا الاهتمام باجراء الشرع المبين وانفاذ

ولما بلغ إلى سمعنا الشريف أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقاً حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه ومال إلى جانب العنف والاعتساف ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق والإئتلاف وسد باب الاتحاد مع المجاهدين حماة الدين لذلك بدلناهم غيره فانعمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية وخلصة خدام اعتابنا الجليلة أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى صالح باشا دام أقباله لفرط شهامته وشجاعته وكمال دينه وديانته فوضنا إليه تلك الديار وأمرناه باقامة شراع (الشرع) الشريف المبين واحياء قوانين سيد المرسلين وصون الرعايا وحفظ البرايا الذين هم ودائع الله تعالى وإن يكون مع الأهالي الاسلام على أكمل اتحاد وأجمل اتفاق مجدا فيما يتعلق بالدولة والدين وقيام ناموس سلطاننا المتين مثابرا على دفع أعداء الدين وقمع الكفرة الفجرة المتمردين على أن أقصى مراد حضرتنا العلية احياء مراسم الاسلام واطفاء نائرة الكفرة اللئام وذلك المرام يكون باتفاق أمراء الاسلام واتحاد أمناء شرع سيد الأنام ويتم به النظام وينفي آثارهم في الشهور والأعوام.

وأمرناه أيضا أن ينظر إلى أحوال المسلمين بنظر الاشفاق والمراحم وينظر بينهم بكمال

ولا بد لكم أن تحسنوا المجاورة وتذهبوا طريق حسن المعاشرة مع كونكم أولاد سيد الأنبياء وأحفاد سيد الأصفياء سمعنا عدلكم وانصافكم وبكمال التقوى وصفات الكمال اتصافكم ولذلك الشأن كتبنا اليكم منشورا يوجب مضمونه المصافات (كذا) ويشفي مكنونه أن تكون المودة في أقصى الغايات ولكم أن تنبؤا بأخبار صحتكم إلى اعتابنا العلية...^(١).

تحريرا في أوائل شهر محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة

بمقام أدنة

خليل ساحلي، 2000: 325-326

ملحق رقم 05

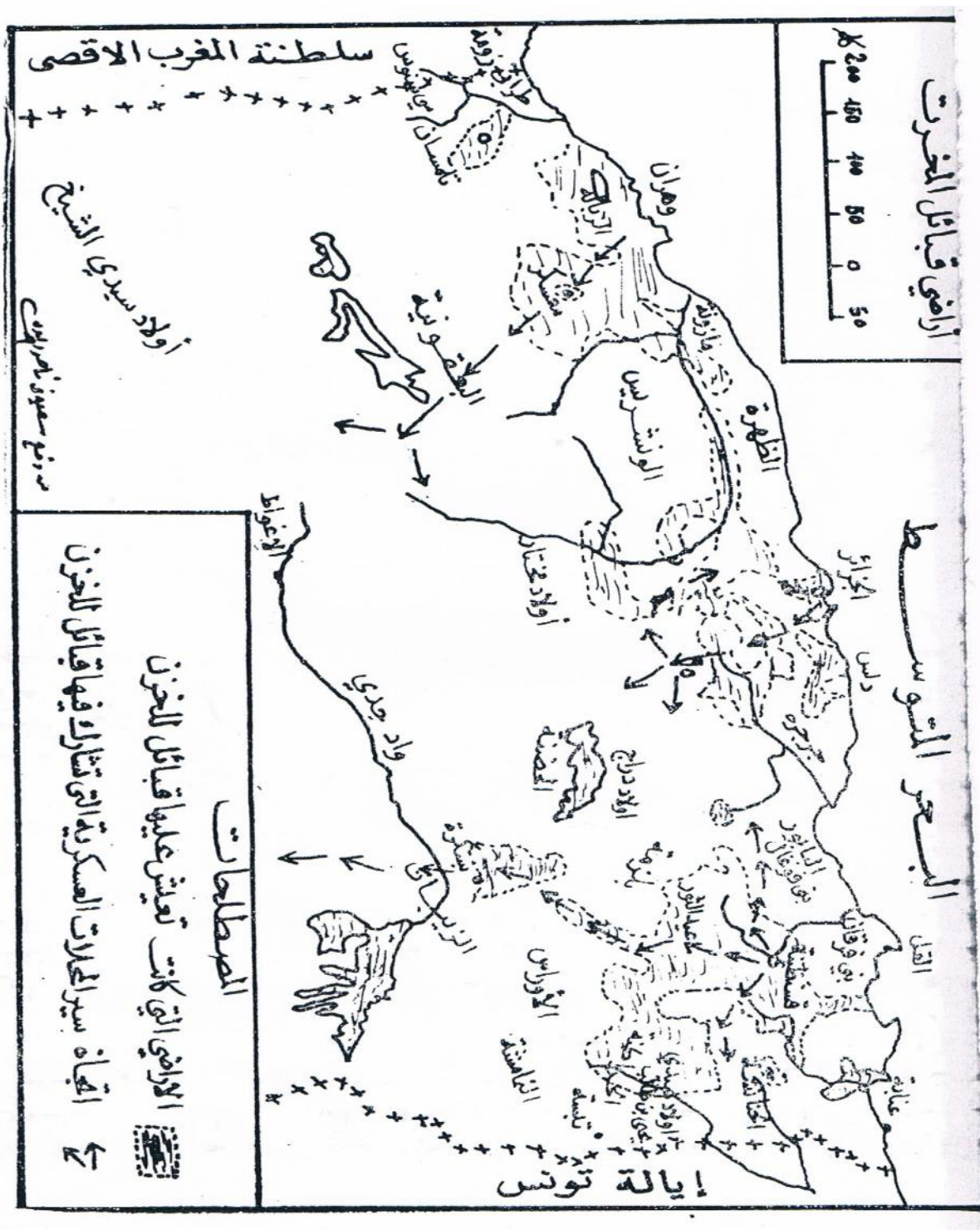
المعاهدة التي جمعت الداوي عمر واللورد اكسموث، والتي كانت بنودها سببا في

اغتياله 1816¹

العهد والشروط التي صارت وتمت فيما بين حضرة الجنب العلي عمر باشا متاع (74) (كذا) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجنب العلي ادوارد بارون اكسموث كواليز (كذا) (75) علامة الصليب الكبير متاع (كذا) باشا المنسوب لاهل الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، ورأس حاكم على كل السفاين (كذا) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين في بحر الشرق وهذا اعتبارا وكذلك لعظم المنافع والفائدة التي اشتهرت من طرف حضرة الجنب العلي الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية في انتها (كذا) وعدم اسار (76) (كذا) النصاري حضرة الجنب العلي عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لمودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة (كذا) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اى دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون (كذا) احدا من الاسارا معسود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبذل كالعادة الجارية في الاوروبة في ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التي كانت تنص على اسارات النصاري متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومنكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

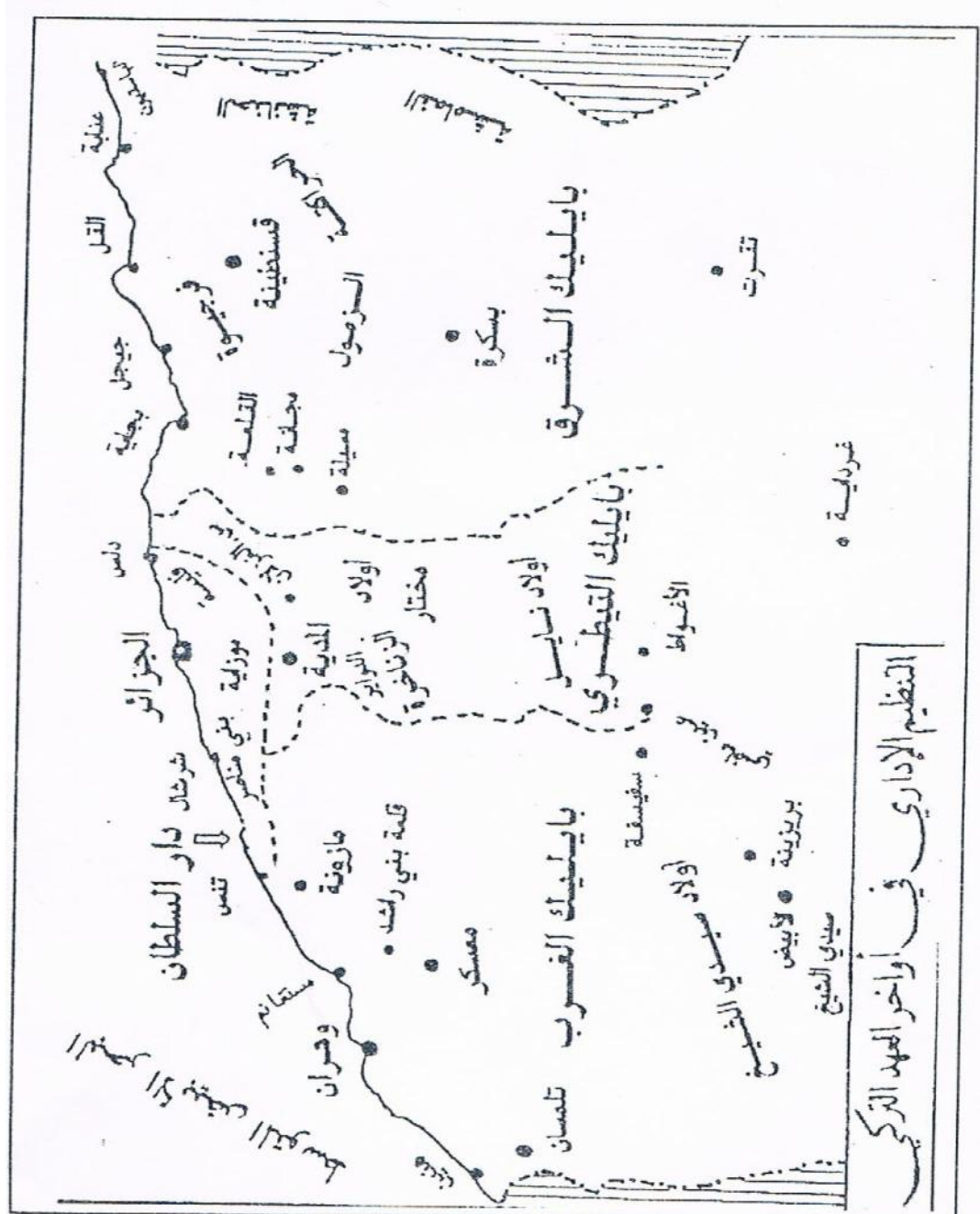
هذا العهد قد تحرر (كذا) نسختين في المدينة المجاهدة محروسى بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

1- التميمي عبد الجليل، 1985: 148



ملحق رقم 07

التنظيم الإداري للجزائر خلال الحكم العثماني



عباد صالح، 2007: 283

ملحق رقم 08¹



البايلرباي خير الدين
بربروس

عروج بربروس مؤسس إيالة الجزائر
بعد اغتيال سالم التومي



¹ - JEAN LOUIS BELHACHEMI, *Nous Les Frères Barba Rousse*, Ed Librairie Artheme Fayard ,Paris ,1984 .

صور لبعض دايات الجزائر



علي بن أحمد "علي خوجا"
1817-1818 م

تم اغتياله سنة 1818



داي الجزائر (مصطفى) يستقبل القائد الفرنسي "هولين"
1802 م

اغتيال سنة 1808 بعد الثورة على اليهود



حسين بن حسين 1818-1830 م

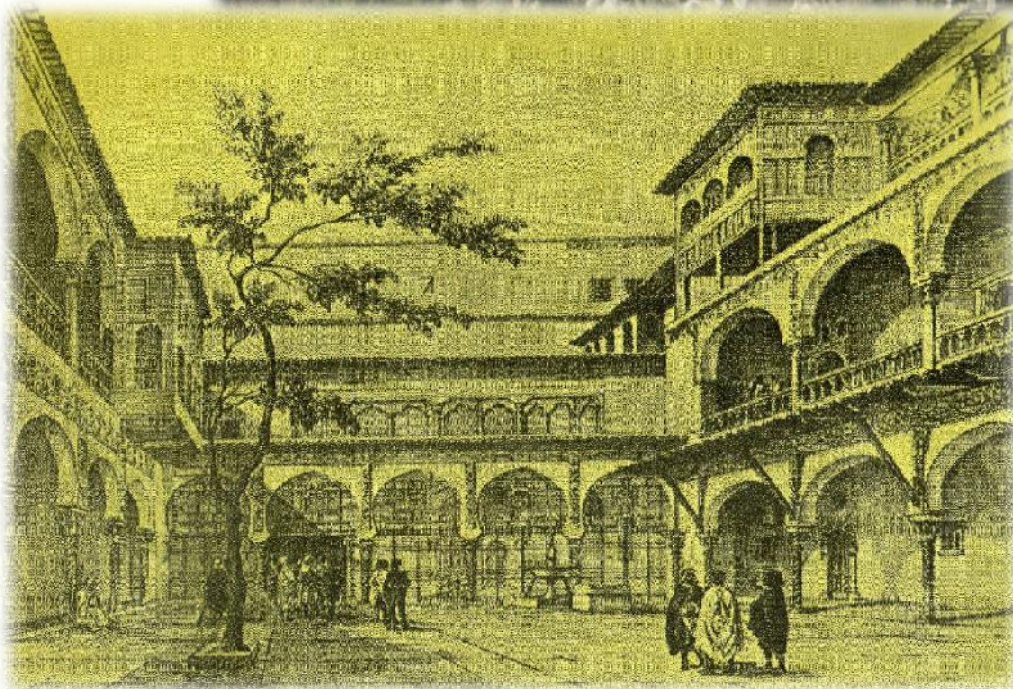
تعرض لثلاث محاولات اغتيال



الداي حسين ميزومورطو 1683-1688 تسبب في اغتيال بابا حسن ، وفر إلى اسطنبول لتمرّد الجيش ضده

<http://www.hukam.net/family.php?fam=54>

قصر الجنينة، مقر
الحكومة إلى غاية
سنة 1817 أين نقل
الداي علي خوجة
مقر الحكم إلى
القصبه



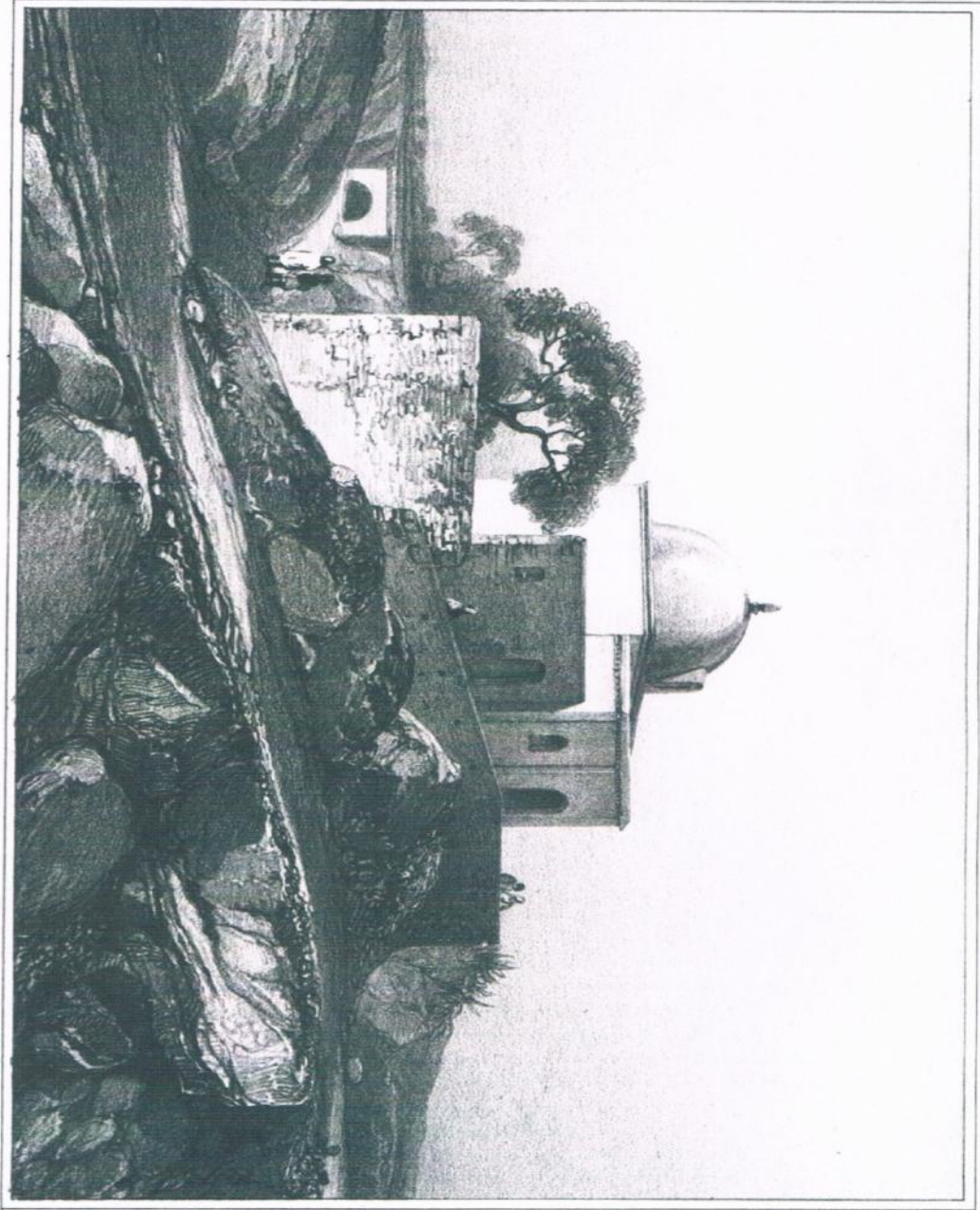
قصر الجنينة من
الجهة الخارجية



الجنينة قصر dfff

ملحق رقم 11

قبة سيدي يعقوب التي اغتيل فيها الباي لرباي تكلرلي حسب رواية هايدو



ROZET , *voyage dans la régence d'Alger* ,éd Arthus Bertrand libraire éditeur ,Paris, 1833 ,p 38 .

القائمة البيبليوغرافية

القائمة البيبليوغرافية

1/المصادر العربية والمعربة

ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، دون تاريخ.

ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبي قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون تاريخ

ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار الكتاب للنشر، الجزائر، دون تاريخ .

الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، الط الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 .

العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

ابن المفتي حسن بن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، مطبعة بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق، محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

الناصرى أبي راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق غالم محمد، الجزء الأول، منشورات CRASC، وهران، 2005.

الناصرى أبي راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم، الجزء الثاني، منشورات CRASC، وهران، 2008 .

ابن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين، ترجمة محمد دراج، الطبعة الأولى، شركة الأصالة، الجزائر، 2010.

حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

شالر وليام، مذكرات وليام شالر فنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

عميرايو أميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر في العهد العثماني، مذكرات تدبنا نمونجا، دار الهدى، الجزائر، 2009.

كاتكرت جيمس، مذكرات أسير الداوي كاتكرت فنصل أمريكا المغرب، ترجمة العربي إسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

2/ مصادر أجنبية

D'Aranda. E, Les Captifs D'Alger ,éd Rocher Jean Paul ,Etablir Z'rari Latifa ,Paris, 1997.

D'Arview Chevalier, *Mémoire du CH Arview ;envoyez extra ordinaire du roi a la porte consul d'Alger, de tripoli* ,T 05 ,éd Charles Jean Baptiste, Paris, S D.

Dan , *Histoire De Barbarie Et De Ses Corsaires*, second édition, chez Pierre Rocolet imprimeur, libraire ordinaire du roi ;Paris ,1646.

De Haedo Diego, *Histoire Des Rois D'Alger* , Trad De L'espagnol Par Henri De Grammont ,Ed Alger Livres Editions, ALGER ,2004 .

DE Haedo Diego ,Topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnole par Monnereau et Berbrugger ,Alger ,1870

De La faye jean ,Denis Marckar ,D'Arcisas Angustin ,Le roy Henri ,*Relation En Forme De Journal Du Voyage Pour La Rédemption Des Captifs Aux Royaumes De Maroc Et Alger*, notes Farouk Ahmed ,éd Bouchene ,Paris ,2000.

De Tassy Laugier, *Histoire du royaume d'Alger*, chez Henri du sauzet Amsterdam, 1725.

Francois. C ,De la motte , Bernard j , *voyage pour la rédemption des captifs aux royaumes d'Alger et de Tunis fait en 1720* ,Paris , 1720.

Picquit.CH , *Aperçu Historique Statistique Et Topographique Sur L'état d'Alger* ,deuxième édition, PARIS,1830.

Peyssonnel J . A , *Voyage Dans Les Régences De Tunis Et d'Alger* ,Présentation et notes Valensi lucette, éd la découverte, Paris, 1987.

Shaw Thomas ,*Voyage dans la régence d'Alger* ,traduit de l'Anglais Mac Carthy ,éd Marbin, Paris 1830.

venture De paradis, *Alger au XVIII siècle* ,éd Adolphe Jourdan, Alger,1898.

3/المراجع العربية والمعربة

ابن المبارك الميلي, *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*, الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1964.

أبو العيد دودو, *الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855*, المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

ألتر سامح, *الأتراك العثمانيون بشمال إفريقيا*, ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989

المدني أحمد توفيق, *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792*, الط. الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

المدني أحمد توفيق, *محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791*, المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

المحمي فريد بك, *تاريخ الدولة العثمانية*, تحقيق حقي إحسان، الط. 06، دار النفائس، بيروت، 1988.

الزبيري العربي, *التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

الساحلي خليل أوغلو، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني .بحوث ،وثائق وقوانين
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة (إريسكا) ،اسطنبول ،2000.

بركات مصطفى ،الألقاب والوظائف العثمانية 1517-1924،دار غريب للطباعة والنشر،
القاهرة ،2000.

بوعزيز يحيى ،علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830،ديوان
المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1980.

حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر،2007.

خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،الطبعة
الأولى،1969.

دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر وثائق
تنشر لأول مرة ،الدار العثمانية ،الجزائر،2009 .

دوفال ألبير، الرئيس حميدو،تعريب محمد العربي الزبيري،المؤسسة الوطنية للطباعة،
الجزائر،1972.

عزتوا يوسف بك أضاف،تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن،مكتبة
مدبولي، القاهرة ،1995.

سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر،تعريب عبد القادر زبادية،الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع الجزائر ،1980.

سعد الله أبو القاسم،محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال،الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع ، الجزائر،1982.

سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979.

سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد
العثماني،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1999.

شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541،ترجمة جمال
حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1991.

شويتام ارزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

عباد صالح، الجزائر خلال العهد التركي، 1514-1830، ط. 2، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007.

عطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية /اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.

فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 1505-1792، دار هومة للنشر، الجزائر، 2012.

قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2010.

قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987.

كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة التميمي عبد الجليل، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.

محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، دار البصائر، الجزائر، 2011.

مروش منور، دراسات الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، الجزء الثاني، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.

وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500.1830، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

4/المراجع الأجنبية

Berbrugger Adrien ,*Le pègon d'Alger ou les origines du gouvernement turc*, Libraire commissionnaire pour l'Algérie et l'Orient, Paris, 1860.

Bouaba yamili ,*les turcs au Maghreb central du 16eme au 19eme siècle* , ed la société national d'édition et de distribution, Alger,1972.

CANO ALANCO , *La régence d'Alger au XVIII^{ème} siècle*, tr. Esmat Hasaine, Dar Elquds El Arabi, Alger, 2010.

Cat E, *Petite Histoire de l'Algérie ,Tunis ,Maroc*, T.01 ;éd Adolphe Jourdan, Alger ,1888 .

DANIEL Panzak ,*Les Corsaires Barbaresque La Fin D'une Epopée 1800-1820*,éd CNRS, Paris,1999.

Devoulx .A , *Registre Des Prises Maritimes .Traduction D'un Document Authentique Et Inédit* ,Ed typographique a Jourdan ,1872.

Devoulx Albert ,*Tachrifat ,recueil des notes historique sur l'administration régence d'Alger*, éd imprimerie du gouvernement, Alger,1852.

ESTERHAZY W, *De La Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger*, éd librairie de Charles Gasselin , ,Paris ,1840 .

Fey Léon Henri , *Histoire D'Oran Avant . Pendant Et Après La Domination Espagnol*, Ed typographie Adolphe Perrier éditeur , Oran, 1858.

Gaffarel paul ,*L'Algérie Histoire Conquête Et Colonisation*, éd, Firmin Didot , Paris ,1883.

Garrot Henri, *Histoire générale de l'Algérie* ,ed crescenzo ,Alger,1910.

Grammont(DE) ,*Correspondance Des Consuls D'Alger 1690 -1742*, Ed Adolphe Jourdan .Librairie éditeur ,Alger ,1980

Grammont Henri, *Histoire d'Alger sous la domination turque1515-1830*,ed Ernest Leroux éditeur ,Paris,1868.

Grammont .H ,*Relation Entre La France Et La Régence d'Alger Au XVII Siècle* ,éd Adolphe Jourdan librairie éditeur ,Alger,1879

Heers Jaques, *Les Barbaresques La Cours Et La Guerre En Méditerranée XIV-XVI Siècle* , éd ,perrin, France,2001 .

Kaddach Mahfoud ,*l'Algérie Durant La Période Ottomane* ,ed office des publication universitaire, Alger,1991.

Mercier Ernest, *Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française*, Tome troisième, éd Ernest Leroux ,Paris ,1868 .

Mercier E , *Histoire de Constantine*, éd Marle. J et F .Biron imprimeurs éditeurs , Constantine ,1903.

Misermont . L , *Le Double Bombardement D'Alger Par Duquesne Et La mort Du Consul Le Vacher* , éd Alphonse Picard et fils éditeurs ,Paris ,1905 .

Moulay Bel Hamissi ,*Marine Et Marins d'Alger 1518-1830*,T 3,éd bibliothèque nationale d'Alger,1996.

Nettement Alfred, *Histoire De La Conquête D'Alger*, Ed Librairie Jacques Lecoferre ,Paris,1867,

Pechot. L ,*Histoire De l'Afrique Du Nord Avant 1830*,Ed Gojosso Imprimerie Editeur ,Alger,1914 .

Plantet Eugène ,*Correspondance Des Deys d'Alger Avec La Cour De France 1579-1833*, T01, Paris,1889 .

primandaie Elie, *le commerce et la navigation de l'Algérie*, Paris,1860.

Rozet et carette ,*les états tripolitaine*, éd Bouslama ,Tunis,1850.

SHUVAL TAL, *La Ville d'Alger Vers La Fin Du18 Siècle*, éd CNRS, Paris, 1998.

5/دوريات عربية

ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة،
مجلة تاريخ وحضارة المغرب،العدد03،الجزائر،1967.

التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول1519
،المجلة التاريخية المغربية،العدد06،تونس،1976.

العبيدي علي،الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر1541، في مجلة عصور،العدد17،
جامعة وهران،2011،مجلة الأصالة،العدد25،الجزائر،1975 .

بلحميسي مولاي ،الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر ، مجلة التاريخ وحضارة
المغرب ،العدد04،الجزائر،1968.

بلحميسي مولاي، الثورة على الأتراك في الجزائر، شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر،
مجلة الثقافة، العدد 46، الجزائر، 1978.

بوشنافي محمد، الدائي مصطفى باشا 1798-1805، مجلة عصور جديدة، العدد 7-8،
جامعة وهران، 2012-2013.

بونو سلفاتور وضع الجاليات الأوربية في بلدان المغرب قبل الاستعمار، مجلة الأصالة
العدد 25، الجزائر، 1975.

دراج محمد، تأسيس إيالة الجزائر، في مجلة عصور، مخبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد
د 16، 2010.

سعد الله أبو القاسم، أربع رسائل لبشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، العدد 51،
الجزائر، 1979.

سعد الله أبو القاسم، من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1965، في مجلة التاريخ، العدد
18، الجزائر، 1980.

سعيدوني ناصر الدين، من أحداث بايلك قسنطينة في العهد العثماني نهاية صالح باي كما
أثبتها أحد الكتاب القسنطينيين، مجلة التاريخ، الجزائر، 1985.

سعيدوني ناصر الدين، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها، المجلة
التاريخية المغربية، العدد 7، 8، تونس، 1977.

شارف رقية، تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية، مجلة
الدراسات التاريخية، العدد 03، الجزائر، 2011.

شاطو محمد، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية، مجلة المواقف، العدد
03، جامعة معسكر، 2008.

شريد حورية، الدائي حسين والأسباب الحقيقية لسقوط الجزائر، حوليات المتحف الوطني
للآثار، العدد 13، الجزائر، 2003.

لعربي أسمهان، البسيتيون الفرنسي بالقالة من خلال مراسلات محلية، مجلة عصور، العدد 17
،جامعة وهران، 2011.

6/ دوريات أجنبية

ARNAUT ECHOBOUD, « *Attaque Des Batteries Algériennes Par Lord Exmouth En1816* », in RA, 19, Alger, 1875.

AUCAPITAIN ET FEDERMAN, *Notice sur l'Histoire et L'Administration Du Beylik De Titri*, in RA, N 09, Alger, 1865.

Berbrugger Adrien, *la mort du fondateur de la régence d'Alger*, RA ,N°04,Alger 1860.

BERBRUGGER , *Les Casernes Des Janissaires A Alger*, RA ,N° 3, Alger,1858.

Boyer Pierre , *Alger En 1645d'après Les Notes Du R.P.Hérault* ,in ROMM ,N°17 ,Paris ,1974.

Boyer Pierre, *La Révolution Dite Des Agha Dans La Régence d'Alger 1659-1671*,in ROMM , N°13-14,1973.

Boyer Pierre, *Le Problème Khouloughli Dans La Régence d'Alger*, in ROMM, Paris ,1970.

Braudel Fernand, *les espagnols et l'Afrique du nord de 1492-1877*, in revue Africain, N°63, 1928.

Cour A, *Constantine en 1802 d'après une chanson populaire* ,in RA,N°60,1919.

Devoulx , *Ahad Aman, Règlement Politique Et Militaire*, RA N04, Alger ,.1859 .

Devoulx. A ,Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, in R.A N°20 ,1876.

Devoulx. A, *Assassinat Du Pacha Mohammed Teklerli* ,in RA,N°15,1871.

Devoulx A, *Enlèvement d'un Pacha Par Les Kabiles*, in RA ,N 13,ALGER, 1869.

Devoulx .A, *Epigraphie Indigène Du Musée Archéologique d'Alger* , in RA ,N 17 ,Alger ,1873.

Devoulx. A, *La Première Révolte Des Janissaires A Alger*, in RA , N 15, ALGER ,1871.

Devoulx. A ,*La Tombe De Khedeur Pacha A Alger*, IN, R A, N°16,1872.

Devoulx . A, *Les Casernes Des Janissaires A Alger(2)*, RAN°3, Alger, 1858 .

Devoulx. A , *Mort Du Mohammed Khoga En 1754*, in ,R A,N°16 ,1872 .

Dournon A , *Kitab Tarikh qosantina par Elhadj Ahmed El Mobarek*, in RA ,N 57 , 1913.

Feraud Charle ,*Ephémérides D'un Secrétaire Officiel Sous La Domination Turque A Alger 1775 a 1805*,in RA , N 18,1874.

Feraud. Ch, *Lettres Autographes De Mohammed Manamani Bey De Constantine 1824*, In RA , N18 ,1874.

Feraud. L , *Epoque de l'établissement des turcs a Constantine* ,in RA ,N10 ,1866.

Marcel Emerit ,*Alger En 1800 D'après Les Mémoires Inédits De La Maye* ,in revue historique maghrébine ,N°02, Tunis,1974.

Marcel Emerit , *Le Voyage De La Condamine A Alger1731*,in RA ,N 98, 1954.

Rinn Louis , *le royaume d'Alger sous le dernier dey*; R A , N°42, Alger, 1898.

Robin, *Note Sur L'organisation Et Administratives Des Turcs Dans La Régence Kabylie*, in RA, N°17, 1873

S .*Note chronologique pour l'histoire de Constantine* ,in RA ,N°39,1895.

Vayssettes. E, *Histoire Des Derniers Beys De Constantine*, in R A, N°03, 1858.

Watbeld , *Documents Inédits Sur L'assassinat Du Pacha Teklerli* ,in R A,N°15 ,1871 .

Watbeld .E, *Pacha-Pacha deys* , in RA,N°17,1873.

7/ الرسائل الجامعية

الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بابلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992.1993.

بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 18.17، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002-2003.

شريدي سعيد، تطور وظيفة القايد في الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005-2006.

8/ الموسوعات

صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.

فهرس الأعلام ،الأماكن والقبائل والمصطلحات

فهرس الأعلام

—أ—

- إبراهيم بوشنافي (داي) 128 - 129 - 130 التجاني 196
- إبراهيم باشا 107 إكسمونث 79
- إبراهيم الغربي (باي) 185 - 186 أوزن حسن 137 - 189
- إبراهيم الكرنتلي 185 - 186 - 187
- إبراهيم باي 172 - 173
- إبراهيم الملياني 192
- ابن الأعرش 54 - 79 - 165 - 176
- ابن الصخري 166 - 167
- ابن قانة 170
- أبو حمو موسى 21
- أحمد الطوبال 179 - 180
- أحمد القلي 170 - 171
- أحمد أمقران 36
- أحمد المملوك 183 - 184 - 185
- أحمد الملي 184
- أحمد بن القاضي 14 - 17 - 22 - 24

أحمد(دائي) 146 - 147 - 148 - 162 - 177 - 208

أحمد باشا 101

أحمد بن تشاكر 122

أحمد شاوش 147 - 148 - 178-179-180

إسماعيل باشا 104 - 106 - 110 - 111

ب

بابا حسن 117- 116 - 118 - 119 - 120 - 126 - 207

بلقاسم الرحموني 176

بن تاشفين 14

بوجناح 146

بيدرو نفارو 15

ج

جعفر باشا 94 - 95

جعفر باي 166

ح

حسن باشا 100

حسين ابن صالح باي 177-178

حسن بوحنك(باي) 169 - 170

حسن بن حسين بوحنك 173-174

حسن بن خير الدين 36 - 67 - 70 - 74-83 - 84 - 85 - 86 - 87 - 96 - 102

حسن بوكمية (باي) 168-173

حسين زرق عينو 169 - 170 - 180

حسين داي 155-156 - 157 - 186

حسن شاوش 124-128 - 203 - 208

حسن فيزيانو 70 - 89 - 90 - 94

حسن قورصو 70 - 81 - 91 - 93

حسن نفتالي 141 - 143

خ

خضر باشا 27 - 98 - 99 - 100 - 102 - 103

خليل بولكباشي 104-105 - 106

خير الدين بريروس 17 - 19 - 20

22 - 23 - 24 - 25 - 33

37 - 74 - 81

ر

رمضان آغا 106-107

ز

زفيرة (زوجة التومي) 19 - 20

س

سالم تومي 14 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20

سليم السلطان العثماني 24 - 25 - 29 - 54 - 81

ش

شعبان آغا 107 - 108 - 109 - 110

شعبان (داي) 122 - 123 - 124 - 126 - 208

شارلكان 23 - 83

ص

صالح رابيس 25-35-80- 81 --83- 85-87- 91

صالح باي 140- 161 164 - 170 - 171 - 172 - 173 - 175 - 176

ع

عثمان بن محمد 195 - 197

عبد الله باي 176 - 177 - 181

عثمان باي 176

عروج 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22

علي آغا 110-112-115

علي خوجة 153- 154-155

علي خوجة 150 - 151 - 205

علي علج 68 - 70 - 74 - 81 - 89 - 90

علي نفسيس (داي) 138 - 140

عمر الغسال (الداي) 149 - 150

ف

فرحات باي 166

فرديناند 16

ق

قارة مصطفى 182

م

محمد الكبير (باي) 37 - 49 - 77

محمد بن بكر (داي) 136 - 137 - 138

محمد بكداش 126 - 127 - 128 - 129 - 188 - 189

محمد بن صالح رايس 62 - 88

محمد تريكي 115 - 117 - 118

محمد تكلرلي 86 - 91 - 93 - 94 - 95

محمد عثمان (داي) 139 - 140 - 141 - 142 - 164 - 172 - 175 - 203 - 204

مصطفى الأحمر المسراتي 191

مصطفى انجليز 175 - 176 - 177

مصطفى الوزناجي 175 - 176

مصطفى بوشلاغم 128 - 187 - 188 - 189 - 190

مصطفى (داي) 142 - 143 - 144 - 145 - 146 - 172

مناماني 186 - 187

ن

نعمان باي 181

هـ

هنري الثاني 85

هنري الرابع 100

هيغو دومونكاد 23

فهرس الأماكن والقبائل

—أ—

أزمير 27 - 56

إسطنبول 25 - 27 - 28 - 29 - 82 - 88 - 91 - 96 - 97 - 104

ألبانيا 55 - 70

الأندلس 14 - 69

الإسبان 14 - 15 - 16 - 20 - 21 - 22 - 23 - 25 - 37 - 83 - 84 - 128 - 194 - 196

أناضول 55 - 66

انجلترا 70 - 75 - 106 - 111 - 112 - 117-145-153-176-177

المغرب الأقصى 14 - 33

أولاد نايل 34 - 36

ب

بجاية 15 - 35 - 70 - 88 - 115

برجية (قبيلة) 53

بسكرة 36

بني جعد (قبيلة) 34

بني عامر (قبيلة) 54

بني عباس (قبيلة) 44

بوسنة 55

ت - ث

تلمسان 14 - 21 - 22 - 37 - 67 - 83 - 84 - 122 - 193 - 197

تنس (مدينة) 15 - 18 - 37 - 197

تونس 14 - 16 - 17 - 19 - 20 - 25 - 35 - 89 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 -

127 - 147 - 149 - 169 - 171 - 176 - 177 - 178

ثعالبية 14 - 15

ج - ح

جيجل 15 - 17 - 19 - 20 - 108 - 109

حراكتة (قبيلة) 51 - 171 - 186

حصن البينيون (قلعة) 16 - 18 - 20 - 82

حفصيون 14 - 22 - 33

حنانشة 34 - 125 - 167

د - ر - ز

دلس 15 - 33

رودس 55

زماله (قبيلة) 53

زيانيون 14 - 20 - 22 - 84

س - ش

ستورة 36

سردينيا 75

شرشال 15 - 17 - 33 - 70 - 109 - 118

ص - ط

صقلية 75

طرابلس الغرب 25 -118-124-127-203

ع - غ

عنابة 36

غرابية (قبيلة) 53

ف - ق

فرنسا 26 - 27 - 30 - 96 - 97 - 99 - 100 - 106 - 108 - 111 - 112 - 118-

120-121-144-145-175-177

قبرص 55

قسنطينة 32- 33 - 34-50-52-63-127-143-144-161-165-166-167-170-

171-173-177-180-183-185

ك

كورسيكا 75

كوكو (إمارة) 15 - 87

م

مازونة 35-37-52-183-184-187-188-201

متيجة 42

مجانة 36-170

معسكر 36 -188-197

مدية 33 - 34

مرسى الكبير (ميناء) 15

مستغانم 15 - 37 - 67 - 189-191

مرينيون 14

موحدين 14

هـ-و

هولندا 70 -134-153

وهران 15 - 21 - 33 - 37 - 54 - 70 - 88 - 91 - 128-188-189-191-194-

197

فهرس المصطلحات

أ

أعلاج 26 - 30 - 70-74-71 - 75 - 81 - 87 - 89-90-91-92-93

آغا الدائرة 49

أغوات 25 - 28 - 38 - 40 - 44- 103

الباب العالي 25 - 27 - 28 - 30 - 39 - 81 - 82 - 84 - 86 - 87 - 90 - 91- 92 -

95 - 96 - 97 - 103 - 104 - 105 - 112 - 115-116

إنكشارية 25 - 27 - 28 - 29 - 38 - 40 - 43 - 52 - 54 - 58 - 60 - 61 - 36 -

65 - 68 - 71 - 74 - 84 - 91 - 93 - 94 - 97 - 99 - 104 - 405 - 112

إستانة 28 - 67 - 81 - 96 - 106

أوضابشي 58 - 62 - 111

أياباشي 59 - 62 - 111

ب

باستيون 26 – 100 – 107

باش دفتر جي 44

باشوات 25 – 26 – 27 – 28 – 29 – 33 – 39 – 40 – 96 – 97 – 98 – 100 – 104
105 –

بولكباشي 59 – 62 – 67 – 104 – 111

بايلر باي 25 – 26 – 39 – 40 – 72 – 81 – 82 – 88 – 89 – 93 – 95 – 96 – 98

بايلك 33 – 35 – 36 – 39 – 48 – 49 – 50 – 52 – 53

خ

خزناجي 40 – 48 – 60 – 115 – 134 – 137 – 141 – 146 – 165 – 172

خوجة الخيل 42

خوجات 38 – 42 – 46 – 111

د- ر

دار السلطان 33 – 34 – 35 – 42 – 44 – 52

دنوش 39 – 41 – 45 – 48 – 49 – 160 – 162 – 163 – 165 – 175 – 181 – 184 – 185 – 187 –
189 – 191 – 194

دولاتلي 116 – 126 – 127 – 132

ديوان 27 – 28 – 29 – 37 – 38 – 39 – 40 – 59 – 87 – 99 – 102 – 107 – 110
111 – 112 – 113 – 115 – 122 – 123 – 137 – 182

رياس البحر 38 – 61 – 63 – 70 – 84 – 90 – 91 – 99 – 100 – 103 – 104 –
106 – 107 – 109 – 112 – 120 – 133

ش-ف-ق

شواش 46 – 50

فرمان 25 – 186-172-167-166-131-115-28

قبودان دوريا 29 – 90

قصبة 40-51-102 – 155-113

قياد 46 – 95

كـ م

كراغلة 84-99 – 101 -102-136-154-161-190

مخزن 43 – 51 – 52 – 53 – 54 -164

مزوار 47-51

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة	06.....
المدخل	14.....
الفصل الأول :التنظيم الإداري والعسكري للجزائر	
1/التنظيم الإداري	32.....
2/القوة البرية "الانكشارية"	54.....
3/القوة البحرية "الرياس"	68.....
الفصل الثاني : الاغتيال السياسي فترة ما قبل الدايات 1519- 1671	
1/الاغتيال السياسي فترة البايالربيات	81.....
2/الاغتيال السياسي فترة البشوات	96.....
3/الاغتيال السياسي فترة الأغوات	103.....
الفصل الثالث :الاغتيال السياسي خلال عهد الدايات 1671-1830	
1/اغتيال الدايات "عهد الازدواجية"	115.....
2 / اغتيال الدايات "عهد الأحادية"	130.....
الفصل الرابع : الاغتيال في أوساط المقاطعات وتأثيراته	
1/اغتيال بايات المقاطعة الشرقية	160
2 / اغتيال بايات المقاطعة الغربية	187.....
3/انعكاسات الاغتيال السياسي	202.....
الخاتمة	213.....
الملاحق	217.....

232.....	القائمة البيبليوغرافية
244.....	فهرس الأعلام والأماكن والقبائل والمصطلحات
257.....	فهرس الموضوعات

ملخص

ظاهرة الاغتيال السياسية مست الحكام العثمانيين بالجزائر بدايتها كانت من خلال التدبير لمحاولة قتل سالم التومي من طرف عروج تم تنصيبه حاكما على مدينة الجزائر.

برزت الظاهرة خلال العهود السياسية الاربعة حيث سنلحظ تدخل الجيش في السلطة عندما سيمنعون مبعوث الباب العالي البايبرباي تكلرلي من دخول مدينة الجزائر ومباشرة وظيفته كما ستظهر محاولة اخرى بتدبير اغتيال البايبرباي جعفر باشا بينما ستحتد الظاهرة فترة الاغوات والدايات التي ستعرف تهديدا خطيرا للاستقرار السياسي والتداول السلمي على السلطة وهذا مانستشفه عند تنفيذ الاغتيال في حق الاغوات الاربعة ونشير إلى عهد الدايات فمنهم من انتهت حياته نهاية دموية ومنهم من هددتهم محاولات الاغتيال

شكلت الظاهرة انعكاسات سلبية على الحاكم نفسه الذي اصبح حبيس قصره وهواجس الخوف التي كانت تعترهم فهي لم تقتصر على حكام دار السلطان وإنما لحقت حتى البايات

الكلمات المفتاحية:

العثمانيون؛ الاغتيال؛ الانكشارية؛ الباب العالي؛ الرياس؛ المؤامرات؛ الديوان؛ قصر الجنيته؛ الدايات؛ البايات.

نوفست يوم 25 جوان 2015